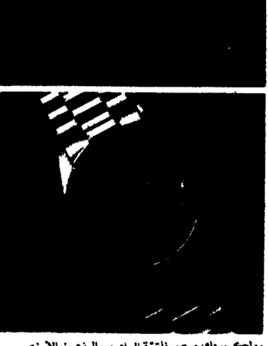
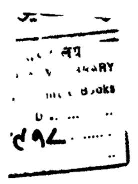
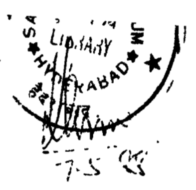

العربي
جرائد
١٣٠ عربي
أمة لن تموت
■ الجميلة لم تعد عذراء!
■ الإسلام والتوازن الاجتماعي


رولكس


ROLEX







مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الإعـ
بدولة الكـ

رئيس التحرير
د. محمّد الرميحي

sue No. 354 May. 1988. P.O.Box 748
ostal Code No. 13008
uwait. A Cultural Monthly - Arabic
lagazine in Colour Published by :
linistry Of Information - State Of
Kuwait.

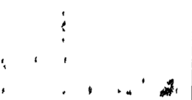
ص.ب : ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً: "العربي" - الكويت - تلكس MIIR.44041K1
تلفون فاكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب : ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	سلطنة عُمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران

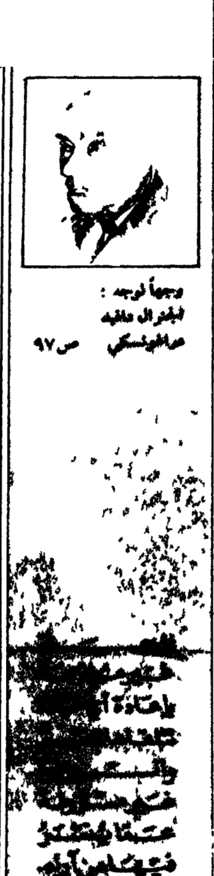




« اليونسكو » عطاء الثقافة والعلم والتربية ص١٣٢



تايوان الجميلة لم تعد عذراء ص٦٨



وجهاً لوجه :
الجنرال دانيل
جراهوفسكي ص٩٧

منتدى عربي

تاريخ وتراث وأشخاص

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

الانتفاضة الفلسطينية الراهنة حلقة جديدة من سلسلة انتفاضات فلسطينية لم تنقطع منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ .

[طالع الملف الفلسطيني ص ٣٥ - ٦٣]

عزيزي القارئ

في إطار الاهتمام بالقضية الفلسطينية وبمناسبة مرور اربعين عاما على النكبة . . وبعد ان طرأ عليها عنصر جديد منذ أشهر تمثل في انتفاضة الشعب الفلسطيني بقيادة « أطفال الحجارة » . . وجدنا ـ عزيزي القاريء ـ أن نقدم لك ملفا خاصا عن فلسطين ، يستعرض حلقة جديدة في سلسلة طويلة من النضال . . . وقد شارك في تحرير الملف الدكتور شفيق الغبرا فتحدث عن فلسطين من الاقتلاع الى الصراع من أجل البقاء ، وتوفيق أبو بكر عن الجيل الفلسطيني الجديد تحت الاحتلال ، ود . عبدالوهاب المسيري عن الأقليات اليهودية وظهور الرأسمالية في العالم ، وأمين هويدي عن اسرائيل كتهديد نووي ، ورياض معسعس عن فرنسا وجذور الصهيونية غير اليهودية .

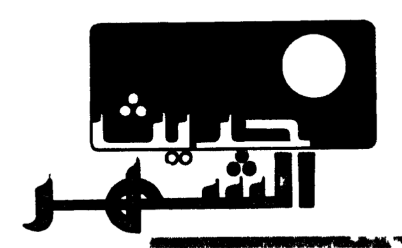
لم يشغلنا الملف عن تقديم العديد من المقالات في مختلف المجالات الثقافية التي عودتك العربي أن تضعها بين يديك . . فالدكتور عبدالله عبدالدايم يحدثك عن الايديولوجيا الناعمة ، وهي الموجة الجديدة في الغرب . . كما يقدم لك الدكتور عبدالرحمن زكي ابراهيم مقالا عن الاسلام والتوازن الاجتماعي ، كما يكتب فهمي هويدي عن التعددية والمعارضة في الاسلام ، وفي المجالات العلمية والطبية يحدثك د . علي مبارك عن علمين عربيين في سماء الطب ، ود . أمل المخزومي عن كهربائية الجسم والامراض النفسية . . كما يستعرض د . سمير رضوان معارك الاستنزاف بين البيئة والانسان . . ويقدم لك المهندس سعد شعبان الجديد عن المشاريع الأوروبية لغزو الفضاء . .

ولأن « العربي » هي عيونك على العالم فقد انطلقت الى تايوان . . لتقدم لك الجميلة التي لم تعد عذراء . . . والى باريس لتحدثك عن اليونسكو وعلماء الثقافة والعلوم والتربية . . والى موسكو لتجري وجها لوجه مع الجنرال دراغونسكي الحاصل مرتين على لقب بطل الاتحاد السوفيتي .

وهكذا تختار لك « العربي » باستمرار كل جديد ، فهي تهدف الى أن تضيف الى معرفتك واطلاعك كل مفيد في مختلف الميادين الثقافية . . وهي بذلك تضع في اعتبارها أنك من يقف وراءها باستمرار ويشد عضدها .

« فالعربي » دائما في خدمة قرائها على طريق الإسهام بمادتها التحريرية في إغناء الثقافة العربية . □

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

وعلى أرض فلسطين [illegible]



الحديث عن (الانتفاضة) حديث طويل ، وقد تشعب في الكثير المطبوعات العربية وغير العربية ، حتى أصبح من حق القارىء العادي يتساءل : وما الجديد في الانتفاضة كي نفرد له حديث هذا الشهر العربي ؟

قد يكون هذا التساؤ ل طبيعيا ، لذلك وجب تحديد دوافع هـ الحديث منذ البداية ، حتى يتعرف القاريء على خط الإبحار الذي نريد عرضنا هذا .

فدوافع الحديث أربع نقاط أساسية هي :

- أن ما يحدث هو استمرار لثورة .
- وأن ما يحدث قد كشف على أرض الواقع زيف ادعاء طويل من الصهاينة كاد بعضنا أن يصدقه !



ـ وأن ما يحدث هو طريق عبقري في المقاومة .
ـ وأن التوقعات والواجبات المستقبلية هي أهم ما يجب أن نساهم فيه في هذه المرحلة من الثورة .

ثورة مستمرة :

ومن الاختصار الى التفصيل :

بادىء ذي بدء ، لقد وقعنا جميعا ـ في وسائل الاعلام العربية ـ في اشكالية ليست سهلة ، عندما وصفنا ما يقع هناك في فلسطين على أنه (انتفاضة) ، انها في حقيقة الأمر ثورة ، أو قل استمرار لثورة ضد الاحتلال . قد تتأجج هذه الثورة وتخلق لها طرقا ووسائل اعلان عن نفسها ، وقد تخبو وتختفي قليلا تبحث عن وسائل جديدة ، لكنها ثورة متراكمة تعبر عن رفض أهلنا في الأرض المحتلة ، ومعهم كل العرب الشرفاء ، أن تظل فلسطين تحت هذا الاحتلال العنصري المدمر ، ثورة لها علاقة بكل ما جاء قبلها من نضالات وثورات منذ مطلع هذا القرن موصولة بكل ما سوف يجيء بعدها من نضالات وثورات حتى تحقيق التحرير الكامل ، ثورة تقول إن للشعب العربي حضارة فيها من روح المقاومة الكثير .

ما يحدث في الأراضي المحتلة هو استمرار لثورة

مـاهـو الشـبح الـذي يطـارد الإسرائيليين؟

فهي في أعماق الانسان الفلسطيني العادي ، وهي كذلك في أعماق الانسان العربي العادي . من هنا فإن ما جرى في الأشهر القليلة الأخيرة ويجري على الساحة الفلسطينية يجب أن نسميه باسمه : ان ما يحدث هو « استمرار للثورة »

ولقد كشفت هذه المرحلة من الثورة التي سماها البعض (بثورة الحجارة) عن أمرين : أولهما هو عبقرية المواطن الفلسطيني البسيط الذي كان الغضب يأكل من أعصابه يوميا على امتداد السنوات الطوال السابقة فقد كشف عن عبقرية تمثلت في المقاومة الايجابية في الشوارع والحواري والأزقة بطريقة يصعب - حتى الآن - أن يواجهها المجتمع « الاسرائيلي / المعسكر » هذه العبقرية تمثلت بقذف ذاك المجتمع - المعسكر - بالحجارة أمام أعين العالم ، هذه العبقرية تمثلت في بساطة الوسيلة ، « فاسرائيل » لديها حتى الآن من الوسائل ما يمكن أن تواجه به الكثير من مظاهر المقاومة - وخاصة المسلحة - لكنها لم تكتشف بعد وسيلة تقضى بها على هذه العبقرية ، الأهم من ذلك كله ان اكتشاف هذا الطريق سوف يؤدي الى اكتشاف طرق اخرى جديدة لا تستطيع المؤسسة العسكرية والسياسية « الاسرائيلية » احتواءها مثل ما عجزت عن احتواء ثورة الحجارة .

شبح الصليبيين :

الأمر الثاني الذي كشفت عنه ثورة الحجارة هو السقوط على أرض الواقع لمقولات وممارسات صهيونية كثيرة . هذا السقوط لم يكن مفاجئا للعرب ولا حتى للعالم الثالث ، لكنه كان قائما (نظريا) فأصبح مشاهدا ملموسا لا يمكن لأحد انكاره . فما هو هذا السقوط ؟

دعوني أشير إلى مصدر « إسرائيلي » في هذا الموضوع - حتى لا يبدو الحديث وكأنه طمأنة للنفس - هذا المصدر « الاسرائيلي » هو عبارة عن كتاب نشره في العام الماضي الكاتب (بنيامين بيت حلاحمي) وعنوانه « الاتصالات الاسرائيلية : من تسلحه اسرائيل؟ولماذا؟ » وأهمية هذا المصدر انه نشر قبل التحرك الجديد (ثورة الحجارة) لأهلنا في فلسطين .

يقول الكاتب في إحدى فقرات الكتاب :

(إن هناك شبحا يطارد المجتمع « الاسرائيلي » وقادته ، هذا الشبح هو شبح الصليبيين الذين أنشأوا لهم مملكة في القدس في القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم ليطردوا بعد ذلك بمائتي سنة . . وأشباح أخرى حديثة



تطارد « الاسرائيلي » كمصير المستوطنين في الجزائر وروديسيا وجنوب افريقيا . . مشكلة المشروع الصهيوني الحادة هي كيف يتجنب مصير دولة الصليبيين ؟) .

ويرى الكاتب أن القادة « الاسرائيليين » قد تفتق ذهنهم تاريخيا عن حلين لتجنب ذاك المصير :

الحل الأول هو التحالف مع قوة خارجية عظمى ، والحل الثاني هو تطوير أسلحة ذرية فتاكة لردع أي محاولة تحرك عسكري تقليدي ضدهم من الجيران !

يضيف الكاتب (ان التحالف مع قوة خارجية عظمى لا يمكن الوثوق بها الى الأبد . لكن القوة النووية والردع االعسكري يمكن أن يخيفا الآخرين) .

لنتذكر أن هذا الكلام قد قيل قبل (ثورة الحجارة) ومن هنا يأتي قولنا عن عبقرية الطريق التي تبنتها هذه الثورة ، فهذه الوسيلة قد أسقطت كلا من الحلين (التاريخيين) : التحالف مع قوة عظمى ، وتخزين ترسانة سلاح .

مشكلة المشروع الصهيوني الحادة هي كيف يتجنب مصير دولة الصليبيين

« فإسرائيل » تستطيع أن تقصف المفاعل النووي العراقي مثلا وتبرر ذلك أمام العالم ، بدواعٍ أمنية عديدة ، وقد لا يقبل البعض ذلك التبرير لكنها فعلت ذلك .

وتستطيع أن تهاجم سوريا عسكريا تحت شعارات مختلفة ومختلقة ، أو أن يقوم « الجيش الاسرائيلي » بضرب أهداف قريبة أو بعيدة كما حدث تكرارا في لبنان ومخيمات الفلسطينيين أو في أقطار عربية أخرى مثل تونس والأردن ومصر في أوقات سابقة ، أو افتعال حرب مباشرة مع العرب .

كل ذلك يمكن ان تفعله « اسرائيل » . وقد لاحظ أحد المراقبين أن « اسرائيل » تأتي بعد الولايات المتحدة في قائمة أكثر المتورطين في عدد الحروب . . منذ الحرب العالمية الثانية .

هذه القوة العسكرية هي التي أوجدت سمعة ضخمة « لاسرائيل » لدى الدكتاتوريات الصغيرة في كثير من أنحاء المعمورة . فهذا (المجتمع المعسكر) يصرف حوالي ٣٠٪ من مجموع إنتاجه القومي على السلاح وما يتفرع منه من أنشطة .

ولكن هذا (المجتمع المعسكر) كما قلنا لم يستطع أن يضع باعتباره ثورة داخلية يمكن أن يقوم بها المواطنون الفلسطينيون العزل إلا من ايمانهم

بوطنهم ، فسلكت هذه الثورة طريقا لا تستطيع معها (الآلة العسكرية) أن تفعل شيئا .

بهذه الملاحظة يمكن أن نتعرف على ورطة « اسرائيل » اليوم التي كشفت على أرض الواقع زيف ادعاءاتها بأنها تملك قوة مطلقة .

لقد كانت دائما تدفع القوى المناهضة لوجودها الى ساحات تملك هي العصا الغليظة فيها والقوة الكبرى ، فظهرت لها ساحة لا تملك اليوم تجاهها أي سلاح فعال !

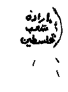
الشرعية الدولية :

ديفيد بن جوريون ـ الذي يعتبر من الآباء المؤسسين (لاسرائيل) ـ قال في يناير ١٩٥٧ (من وجهة نظر بقائنا وأمننا ، فإن صداقة بلد أوروبي واحد أكثر قيمة من وجهات نظر كل سكان آسيا) .

فعلاقة (اسرائيل) بالغرب والدعم الذي تجده هناك قضية أساسية لبقائها ، وهي فكرة نابعة من « التحالف مع قوة عظمى » وفكرة متفرعة أيضا من محاربة (اسرائيل) لأشكال تصفية الاستعمار المختلفة ، لأننا لا نجد نظاما ضد شعبه أو استعمارا قديما أو جديدا إلا وأصابع « اسرائيل » تدعمه بقوة .

لكن الأهم في مقولة بن جوريون هو ما يضعه هذا الكيان من أهمية لرأي المجتمع الدولي تجاهه وبخاصة الغربي منه .

ثورة الحجارة الأخيرة كادت أن تسقط هذا الشعار الرئيسي أو تخلخله ، وهو الحفاظ على علاقة طيبة مع الرأي العام الغربي . ديفيد كمحي المدير العام السابق لوزارة الخارجية « الاسرائيلية » ونائب مدير سابق لجهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) قال : لم تصبح « اسرائيل » هدفا للحجارة في شوارع غزة وفي الضفة الغربية فقط بل وفي اعمدة الصحف البريطانية والأمريكية أيضا .



إنه يقول هذا الكلام لا ليدافع عن أحد ، بقدر ما ينقد (الطرق التي اتخذتها اسرائيل للحفاظ على الأمن والنظام ، بأنها غير لطيفة وقاسية) .



وفي مجلة التايمز البريطانية يتخاطب رئيس الحاخامات البريطاني جاكوبوفيتش مع علي مغرم الغامدي سكرتير عام المركز الاسلامي في مطلع فبراير المنصرم حول ما يقوم به (هذا المجتمع المعسكر ضد المواطنين الفلسطينيين العزل التي ذكرت الناس بالفظائع التي ارتكبها النازيون) .

ثورة الحجارة استطاعت وحدها الدق على الجدار الغربي الصلد

صحيح أن رئيس الحاخامات دافع ـ من خلال اختياره لبعض الحوادث وإغفال بعضها ـ عن موقف « اسرائيل » إلا أن الحوار بحد ذاته لفت نظر الجمهور البريطاني إلى صور لم يكن يراها في السابق ، وهو حوار ينشر في مجلة « التايمز » التي لها ثقلها في تشكيل الرأي العام البريطاني .

إن « اسرائيل » لا تعنى كثيرا بالموقف السياسي للعالم الثالث حيالها ، والوقائع تحدثنا عن ذلك ، فاليوم لا توجد أكثر من ٧٥ دولة تعترف «بإسرائيل» ولكن كثيرا منها من دول الشمال الغني المؤثرة ، في حين أن ما يقارب المائة والخمس عشرة دولة تعترف « بمنظمة التحرير الفلسطينية » ، لكن معظمها من العالم الثالث ، واسرائيل لا تقيم وزنا لقرارات الامم المتحدة أو حتى مجلس الأمن ، فقرار مثل مساواة الصهيونية بالعنصرية لم يؤثر في « اسرائيل » . ومنذ ١٩٦٧ أقامت الأمم المتحدة مؤسسات عديدة للتعامل مع القضية الفلسطينية ومع قضايا المواطنين في الأرض المحتلة وعقدت كثيرا من المؤتمرات ، وقدمت هذه المؤسسات الكثير من المبادرات التي تحولت الى قرارات فيما بعد ، ووقفت « اسرائيل » وحدها ترفض هذه القرارات في وجه المجتمع الدولي ، وفي بعض الأوقات فإن صوتا آخر هو صوت الولايات المتحدة كان يؤيد ويدعم الصوت « الإسرائيلي » .

لقد حاول مجلس الأمن ـ على سبيل المثال ـ إصدار حوالي مائتي قرار ضد « اسرائيل » ، بعضها رفض عن طريق (الفيتو) الامريكي وبعضها عطل بعد أن صدر .

هذه القرارات في النتيجة تمثل الرأي العام العالمي ، خاصة في دول العالم الثالث والدول المحبة للسلام والعدل التي قد لا تكون لها قوة تنفيذ ، لكن هذه القرارات هي كتابة على الحائط كي يراها المجتمع الدولي دليلا على حق العرب وباطل « اسرائيل » . انها بداية دخول « اسرائيل » نفق المرحلة الحرجة ، لكن الأهم من ذلك موقف الرأي العام الغربي وبخاصة في الولايات المتحدة التي بدأت ثورة الحجارة تدق على جداره الصلد .

ثورة الحجارة : المناخ والشرارة .

تعددت التفسيرات التي قدمت حتى الآن لما يحدث في الأرض المحتلة ، بعضها كان سريعا والآخر عاطفيا ، وبعضها الآخر لم يخل من غرض ، وأفضل التصورات القريبة الى العقل والمنطق ان قاعدة التحرك الأخير الصلب هو التراكم الذي حدث خلال الاربعين عاما الماضية من

حروب وتحالفات وتنظيمات ومناورات فشل بعضها ونجح بعضها الآخر ، وسقط على الدرب آلاف الشهداء ، فكانت حصيلة هذا النضال الفلسطيني والعربي بكل عثراته تلك الأيادي العبقرية التي حملت الحجر وقذفته في وجه الاحتلال ، يعضدها الأب والأم والجد على الارض وفي المنفى .

وان ابتعدنا عن التعميم الى تحديد التفاصيل ، فإننا نجد شروطا علمية قد توافرت وواكبها مناخ صالح ، ثم حدثت شرارة ثم التحام وترابط الداخل بالخارج .

المناخ الصالح تعددت مدخلاته ، منها السلبي ومنها الايجابي ، لكنها جميعها شاركت في تكوين «المناخ الصالح» كالنار واللحم ، يتعاونان لينتج عنهما أكلة شهية ، ونحن موضوعيا لا نستغنى عن اللحم ، كما لا نستغني عن النار .

لعل الموقف (الإسرائيلي) من القضية برمتها منذ أن بدأت قد زاد في عمق الجرح وازداد ألم الفلسطينيين والعرب ، لعل هذا الموقف بأشكاله المختلفة من اعتقال ومصادرة وحرمان وتجويع وقتل قد كان أحد أهم العوامل في إعداد المناخ الصالح ، ونتيجة مواقف التعنت الصهيوني الاستفزازية تلك لم يكسب الى صفه بعد أربعين عاما من الاحتلال أية شريحة أو بعضا من شريحة اجتماعية من أهلنا هناك ، زد على ذلك الوضع الانساني الذي تركت فيه القرى والمدن العربية في فلسطين ، والوضع اللاإنساني الذي أصبحت عليه المخيمات التي يعيش فيها الفلسطينيون في الأرض المحتلة ، حتى أصبح شعار المرحلة ان « الشاة المذبوحة لا تخشى السلخ » ولم يقم أي احتلال عرفه الانسان المتمدن منذ فترة طويلة بمثل هذه الممارسات .

عامل آخر من عوامل إعداد المناخ الصالح ، هو مالاقاه ويلاقيه الفلسطينيون في بعض ديار هجرتهم ، ولعل ما قامت به بعض منظماتهم من تصرفات قد اتسمت في وقت من الأوقات بقصر النظر أو عدم الفهم ، ولا يمكن استبعاد أن (اسرائيل) تدخلت في بعض تلك التصرفات عن طريق (الأعمال السرية) التي تجيدها ، بل تتفوق فيها لضرب إسفين بين الفلسطينيين وبيئتهم الطبيعية ، ولعل لبنان من بين شواهد أخرى دليل كبير على ذلك ولا أود ذكر المزيد .

إلا ان حصيلة هذه النجاحات والأخطاء في البيئة الخارجية كان إيجابيا على الداخل ، فقامت المنظمات المختلفة خلال عشرين عاما من

مـــاهي "العبقريـــة" التي عجزت "إسرائيـــل" عـــن مواجهتها حتى الآن ؟

الاحتلال الأخير (١٩٦٧) بتشكيلات كانت عسكرية في البداية (فدائيين) لكنها بعد سنة ١٩٨٢ غيرت من بناء هياكلها كي لا تقتصر على العناصر القابلة والقادرة على العمل العسكري ، وهي بطبيعتها تحتاج الى استعداد فكري وكفاحي عالي المستوى ، بل تحولت الى العمل الجماهيري ، وبالحد الأدنى من الالتزام . وهكذا كانت الأرض صالحة في السنوات الأخيرة لقيام جبهة وطنية عريضة في داخل الأرض المحتلة .

كما غيرت المنظمات من شروطها ، فبعد هذه المسيرة الطويلة تبين أن المسألة (الايديولوجية) الضيقة تعمل على العزل بدلا من الضم ، فبدأت حدود تلك الايديولوجيات على اختلافها تذوب خضوعا لمواقع المقاومة على الارض . ولعل المؤتمر الفلسطيني الأخير في الجزائر كان محصلة حقيقية لهذا النضج التنظيمي ، وبعد ذلك المؤتمر أصبحت هناك جبهة وطنية شبه كاملة ، تذكرنا ـ حتى عن طريق المكان ـ بجبهة التحرير الجزائرية التى كانت وحدتها أحد أهم عوامل نجاحها في التحرير .

ثورة الحجارة أسقطت كلاً من الحلين الإسرائيليين التقليديين؟

ومن عناصر المناخ الصالح ما ينطبق عليه القول المأثور (رب ضارة نافعة) ، فقد كان التشرذم العربي الذي ظهر على الساحة في السنوات الأولى من الثمانينيات مخيفا ومنذرا بنذر خطيرة ، وهكذا جاءت القمة العربية في عمان التي سميت قمة الوفاق والاتفاق ، وان كان البعض يعتقد أن الموضوع الفلسطيني لم يأخذ الحيز المرجو فيها ، إلا أن نتائجها العامة التي أعادت الأمل للعرب قد أثرت بشكل إيجابي فيما حدث بعد أسابيع قليلة في الأرض المحتلة .

هذه بعض مكونات المناخ الصالح الذي نضجت من خلاله ثورة الحجارة ، أما الشرارة فقد كانت شهداء (قبية) أو شهداء الطائرة الشراعية الذين تمكنوا بجسارة وبطريقة مبتكرة أيضا من الوصول إلى مفصل من مفاصل (اسرائيل) العسكرية ، جاء بعده شهداء مخيم جباليا عندما قتلت سيارة « اسرائيلية » عمدا مع سبق الاصرار أربعة شهداء وهم يسيرون أبرياء في الشارع العام ، تلك هي الشرارة التي فجرت الوضع الذي كان يتراكم لفترة طويلة .

وبعد ذلك تم التلاحم بين الداخل والخارج ، وأفرزت الثورة هياكلها التي ما زالت على طريق التحرير الطويل تسير .

ثورة الحجارة : التوقعات والواجبات :

من المتوقع أن تزداد حركة الانشقاقات في (المجتمع العسكري الاسرائيلي) ويصبح الفرز واضحا بين اتجاهين : الاتجاه الاول يمين يطالب بأقصى ما يمكن اتخاذه ضد المقاومين الفلسطينيين ، هذا اليمين يتصف علميا بضعف الرؤية التاريخية بعيدة المدى ، فهو يعتقد أن الوضع العربي لابد أن يتجمد عند نتائج حرب ١٩٦٧ ، وإن لم يفعل فيجب شن حرب ضده ، وكانت النجاحات الجزئية التي حققها باتجاه هذا التجميد مغرية له في الامعان بتجاهل حركة التاريخ ، وحركة التاريخ لا تتجمد في مكان أو زمان ، وقوانين الشعوب أقوى من إرادة مستوطن أو مستعمر . أما الاتجاه الثاني في المجتمع العسكري « الاسرائيلي » فسوف يبحث عن حلول وسطية تستطيع أن تحتوي هذه الثورة ، وقد يتفتق ذهنه عن أمور ليست في حسابنا هذه الساعة . هذا الاتجاه يجب وضعه تحت المجهر ، ورصد تحركاته ، والتفاعل مع مناوراته بخطط بديلة .



قد تخضع أمتنا لفترة تحت ظروف قاسية لكنها بالقطع لاتموت

وقد تلجأ (اسرائيل) ـ كما ورد كثيرا ـ الى اتخاذ طريق تفريق الصف الفلسطيني أو اختراق الحائط العربي باتجاه ضرب الثورة ، وذلك ما حدث جزئيا لاحباط ثورة ٣٦ ـ ١٩٣٩ وما بعدها عندما كانت « اسرائيل » تبادر بالاعتداء على العرب كلما شعرت بأن حركة جادة للمقاومة بدأت تجمع قوتها ، وذلك بعض التوقعات .

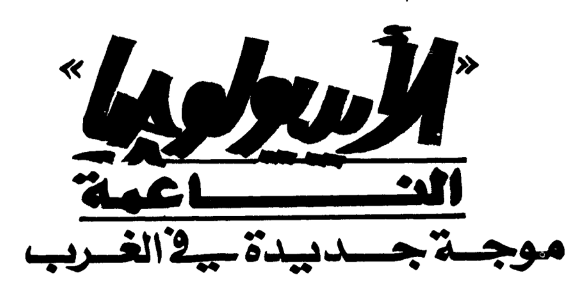
إلا أنه من أول الواجبات تحديد ما نريده بوضوح شديد ، وفي تقديري أن ما يجب أن يطرح في هذه الفترة التاريخية هو وضع قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن كلها موضع التنفيذ بدءا من القرار ١٨١ ذائع الصيت حتى آخر قرار ، والدعوة السياسية لذلك كله من خلال مؤتمر دولي كامل الصلاحية ، أما الواجبات فهي على أكتافنا جميعا ، وهي كثيرة ، وكذلك هي فرض عين ، فالهدف العظيم يجب أن يرفد بطرق عظيمة ، ومن أول الواجبات الدعم المباشر بكل أشكاله مع الأخذ بعين الاعتبار النجاح في طرق إيصاله الثلاثة : حسن توزيعه ، وتحديد القطاعات الأكثر حاجة إليه ، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار رفع درجة مشاركة الجماهير في الداخل بما فيهم جماهير ١٩٤٨ ، والذين قد يكون تحركهم بشكل أوسع ضربة قاصمة لخطط « اسرائيل » .

ويأتي الموقف السياسي والاعلامي ليعضد كل ذلك ، فاستمرار الأهل في الداخل في تطوير مقاومتهم يحتاج الى رفد إعلامي وسياسي دائم ، تقوم صحف العرب وإذاعاتهم وتلفازاتهم بجزء كبير منه ، لكن الجهد الأقصى يجب ان يبذل ليقف الرأي العام العالمي على فظائع الاحتلال ، وقد يكون من الأولويات الاعلامية فتح ملفات مجرمي الحرب الصهاينة وقائمتهم تطول .

وتلك بعض الواجبات فقط .

فالتحالف التنظيمي الراسخ على أرض الثورة ، والإرباك الذي سببته للقوى الصهيونية المحتلة ، يكشفان لنا حالة من الحيوية . واستعادة للثقة الكبرى المفقودة ، وهي حالة تجدد الأمة فيها نفسها ، وقد وعت ذاتها ، ووعت عدوها ، ووطدت نفسها على مواجهته ، وهي حالة جردت عدوها من أفضل أسلحته بابتكارها طرقا جديدة في الكفاح ، وهي حالة تؤكد لنا بكل الشواهد أن هذه الأمة وإن خضعت فترة ، إلا أنها أمة لن تموت . □

محمد الرميحي



بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدائم

تمحيص « الأيديولوجيات » وتنقيحها وإعادة النظر فيها ، بل ووضعها موضع التساؤل والشك ، مواقف ليست جديدة ، وإن لبست تبعاً للأحداث والملابسات حللا متجددة ، وتصويب « الأيديولوجيات » ، وتسديد مراميها في ضوء تقدم الحضارة الإنسانية وتطور مظاهرها وآثارها أمر مألوف كذلك ، لاسيما بعد ظهور الثورة الصناعية في تاريخ الإنسانية منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، لكن بروز موجة جديدة في الغرب تبشر « بالأيديولوجيا الناعمة » هو الجديد في الأمر . فما هي هذه « الأيديولوجيا » ؟

إن أضخم مراجعة عرفتها « الأيديولوجيات » في العصر الحديث سواء انتسبت الى اليمين أو اليسار ، هي تلك التي ولدتها الثورة العلمية التقنية المختلفة في الطبيعة لا في الدرجة كما يقول ثقات المحللين عن الثورة الصناعية التي سبقتها .

ولعل أبرز نتاج تلك المراجعة التي أطلقتها هذه الثورة العلمية التقنية مانجده في ذلك الكتاب الذي وضعه فريق كبير من الباحثين في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم التشيكية بإشراف « رادوفان ريشتا » الذي حملت ترجمته الفرنسية عنوان « الحضارة على مفترق الطرق » عام ١٩٦٨ . ولقد تم تأليف هذا الكتاب بدعوة من الحزب الشيوعي التشيكي قبل أحداث « ربيع براغ » الشهيرة عام ١٩٦٨ ، تلك الأحداث التي أطاحت بأصحاب الاتجاه السياسي الجديد في الحزب ، وأطاحت معهم بالحصاد الفكري « الأيديولوجي » الذي عبر عنه هذا الكتاب . ومحور هذا الكتاب هو تحليل النتائج التي تنجم عن الثورة العلمية التقنية ، وبيان ما تمليه من تعديل في « الأيديولوجية » السائدة .

وعلى منوال هذا الكتاب - بل تحت تأثيره المباشر - كتب « روجيه غارودي » عام ١٩٦٩ كتابه الشهير « منعطف الاشتراكية الكبير » .

وفي الجانب الآخر ، جانب « الأيديولوجية » الرأسمالية اليمينية ، ظهرت أيضا مؤلفات عديدة ، تحاول أن تعيد النظر في « الأيديولوجيات » الرأسمالية ، في ضوء التقدم العلمي التقني ، وما ولّد من عالم متسارع في تغيره ، وما أدى إليه من خضوع مسيرة الانسان ومصيره لارادة الاقتصاديين و« التكنوقراطيين » ومديري الانتاج ، ومن أبرز الأمثلة على هذه المؤلفات كتابات «ماركوز» الشهيرة العديدة ،، وبوجه خاص كتابات «ألفين توفلر،، بدءا بكتابه الشهير الذي أحدث دويا صارخا ، ونعني كتاب « صدمة المستقبل » (وقد ظهر عام ١٩٧٠) ، وانتهاء بكتابه الذي ظهر عام ١٩٨٣ ، وعنوانه « ارهاصات ومقدمات » .

ومن خلال تنقيح « ايديولوجيات » اليمين و« أيديولوجيات » اليسار ظهرت تيارات تحاول أن تقول بالتقارب المحتوم بين هاتين « الأيديولوجيتين » ، وبزوال الفروق الحادة بينهما تدريجيا ، بحكم التقدم العلمي التقني كذلك ، وكأنها تتنبأ بولادة « ايديولوجيات » واحدة ، لابد أن يمليها في نظرها تغير البنى الاقتصادية والاجتماعية تغيرا متماثلا في البلدان المختلفة ، بفعل انتشار آثار الثورة العلمية التقنية في كل مكان

« الأيديولوجيات » وحاجات الانسان

لقد كانت هذه المحاولات جميعها ـ محاولات التنقيح والتصحيح ومحاولات الجمع والتوفيق ـ تعبيرا عن جهود فكرية دائبة ، همها أن تجد « الأيديولوجيات » الملائمة للعصر ، وأن تتنبأ « بالأيديولوجيات » المرجوة في المستقبل . وكان وراء تلك الجهود دوما الواقع الجديد المتغير الذي تحدثه في عالم العمل وأدوات العمل وعلاقات العمل وحياة العمال التطورات السريعة التي تتم بسبب الثورة العلمية التقنية التي تجاوزت بالثورة الصناعية الى مجتمع مابعد الصناعة ، والتي شاعت فيها الآثار الاجتماعية والانسانية الفريدة « للأتمتة » ، وللتحرك الذاتي للآلة ، والتي غزت عوالم جديدة ، غيرت العلاقات الانسانية ، ورسمت لها اطارا جديدا كل الجدة ، كعوالم الألكترون والذرة والفضاء والمحيطات والهندسة البيولوجية والنسل وسوى ذلك .

الفردوس الموعود

من هنا بدت جهود مراجعة « الأيديولوجيات » في ضوء ذلك كله أمورا طبيعية ، بل لازمة ، وأخذ الكثير من المنظرين يبشرون بمجتمع جديد ، أبعد عن الصناعة واستعبادها للانسان ، وأقرب الى حاجات الانسان الحقيقية ، وأدنى الى إرواء منازعه ورغباته وصبواته ، سواء كانت جسدية أو فكرية أو انفعالية . ومن أبرز من تنبأ بمثل هذا الفردوس الجديد «دانييل بيل » من جامعة « هارفارد » في كتابه « نحو مجتمع مابعد الصناعة » (عام ١٩٧٣) ، وعالم الاقتصاد الفرنسي « جان فوراستييه » في العديد من كتبه ، لاسيما كتابه الشهير « أمل القرن العشرين الكبير » (الذي ترجم الى العربية منذ عقدين ونيف) ، وكتابه « تاريخ الغد » ، وكتابه « الأربعون ألف ساعة » ، بل حتى كتابه (مع ابنته) « من فرنسة الى أخرى » الذي ظهر في آخر عام ١٩٨٧ .

على أن هذا الفردوس لم يتحقق ، ولا تشير الاتجاهات السائدة الى إمكان تحقيقه خلال حقبة معينة ، ولا تكشف عن بوادر تبشر بمخاضه وولادته ، بل إن كل شيء يشير الى أن عالمنا يشهد أزمات متزايدة في شتى جوانب حياته ، وعلى رأسها الأزمات الاقتصادية ، كما أن كل شيء يشير الى أن هذه الأزمات آخذة في التزايد عاما بعد عام وعقدا بعد عقد .

ولاشك أن بروز أزمات العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وانتشارها وشمولها العالم المتقدم والعالم النامي على حد سواء ، جديرة بأن تجند أقلام الكتاب وأفكار المنظرين في سبيل البحث عن سبل الخروج منها . وقد فعل ذلك كثير من الكتاب والباحثين والعلماء في مختلف

الأمصار ، ومن شتى ميادين المعرفة ، وأدى ذلك الى مراجعات « أيديولوجية » متباينة المنازع .

الأيديولوجيا الناعمة :

غير أن ثمة منزعا ـ هو قصدنا في هذه الكلمة ـ أخذ في الشيوع والذيوع ، لاسيما خلال الثمانينيات ، يثير كثيرا من التساؤل والعجب ، بل والاستنكار . وهو على الرغم من غرابته منزع شائع لدى كتاب ومفكرين عديدين في الغرب[1] . بل يكاد يكون هو المنزع الشائع لدى كثرة كاثرة من الشبان هناك ، وهذا مادفعنا الى الحديث عنه وتفنيده . لاسيما أنه منزع لا يخلو من إغراء ، وأن أشعته بدأت تسري الى عالمنا النامي نفسه ، وأن تربة الواقع العربي ـ كما سنرى ـ مهيأة لغزوه . إنه المنزع الذي يواجه الأزمات مواجهة تبدو إيجابية ، لكنها في أعماقها تعبر عن استسلام للواقع وخضوع له ، ذلك أنه يدعو الى ماسماه « هوبيج » و« باريس » في كتاب لهما حديث (ظهر في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٧) باسم « الأيديولوجيات الناعمة » إن صحت الترجمة (Soft ideologie) .

ومن العسير تلخيص أفكار أصحاب هذا الاتجاه (وهي أفكار مبثوثة على نحو غير منظم في كتابات العديد من المفكرين في الولايات المتحدة وأوروبا) ، وحسبنا أن نقول ـ بلغة برقية ـ إنه اتجاه ينكر المشروعات النظرية الكبرى (أي الأيديولوجيات) التي تحاول بناء المجتمعات بناء جديدا ، ويرى أن عهد هذه المشروعات الاجتماعية عهد قد مضى وانقضى ، وفي مقابل ذلك يدعو الى « ايديولوجيات متواضعة » وفي حدودها الدنيا ، همها أن توفر حدا أدنى من الوفاق الاجتماعي الشامل في أي مجتمع . ومن هنا نرى أنه اتجاه يقبل بالواقع ، ويخضع لقوة الأشياء ، ولا تحمل الأيام غير طباعها ، ويرى أن أزمات هذا الواقع وصعوباته (وهي أزمات لا ينكرها) لاسبيل الى مغالبتها ، بل لاسبيل الى مغالبتها بوجه خاص عن طريق « ايديولوجيات » كبرى هي في نظره عاجزة ، بل هي عنده أدهى وأمر ، اذ تزيد في الداء وفي تعقيد الأمور ، وتؤدي الى أخطر نتيجة فيما يرى ، يعني التسلط والتحكم والبربرية . وكل شيء عند أصحاب هذا الاتجاه أفضل من الرؤى « الرومانتيكية » والرسالات الفكرية الحالمة ، تلك الرؤى والرسالات التي عانت الانسانية منها الكثير . وفي مقابل تمجيد أصحاب الرؤى والرسالات والمناضلين في سبيلها ، يمجد أصحاب هذه « الأيديولوجيا » (أو اللاايديولوجيا) الفرد اليائس القانع الرقيق الناعم في آن واحد ، وفي مقابل المجتمع الذي تسيطر عليه قيم « الذكورة » الصارمة يرسمون صورة لمجتمع حر « أنثوي » رفيق رقيق .

الفرد قبل المجتمع !

ذلك أن الفرد وسعادته ومتعته وحريته أهم أهداف أصحاب هذه « الايديولوجيا » ، إنهم يدعون الى « الفردانية » في حالها النقية الصافية المجردة من كل مشروع رسالة ، فلقد انقضى في زعمهم عصر الصراعات والتمرد والثورات والأوهام والمشروعات الاجتماعية الطوباوية ، وجاء عصر اللامبالاة ، وعدم الاكتراث والحياد ،

بالاضافة الى عصر المتعة الفردية والتفتح الفردي الكامل . و« الأيديولوجيات » التقليدية منبوذة عندها ، لأنها فاسدة منحرفة في قلبها وجوهرها ،

---

(١) من بين المتبنين بهذه « الأيديولوجيا » أتباع المدرسة الكاليفورنية في الولايات المتحدة ، وأتباع مدرسة « فرانكفورت» في المانيا (ادورنو وهوركا يمر وهابرماس وبلوك الخ بل وبعض الفرويديين الماركسيين امثال رايش وفروم وبعض الدين أطلق عليهم اسم الفلاسفة الجدد في فرنسا ، وكتاب متعرفون أمثال « ايدجار موران والان ميلك واندريه بركوف وجيل ليبوفتسكي و« غي سورمان » و« جان بودريار » و« ميشيل مافيسولي » و« موران ديسبو » وسواهم كثير .

ولأنها عائق دون المتعة الفردية

و« الأيديولوجيا » الجديدة هذه ترفض التأزم والمأساوية وترقب الحلول المعجزة ، وهي حين تدعو الى المتعة والارواء المحسوس للأهواء تدعو الى ذلك دعوة آنية ، ولا تقبل التأجيل ، فلا حاجة عندها الى المرور أولا « بالمطهر » - مطهر المشروعات الاجتماعية الكبرى - من أجل تحقيق السعادة الفردية ، ولا حاجة من أجل العثور على السعادة لانتظار قيام الثورة الاجتماعية او زيادة الدخل القومي ، بل علينا أن نقطف السعادة والمتعة الآن وهنا .

« الأيديولوجيا » الناعمة والأخلاق :

ومع ذلك لا تهمل هذه « الأيديولوجيا » الناعمة القيم الخلقية ، بل تعنى بها ، لكن عنايتها تتم من منظور خاص ، فالأخلاق عندها تستند الى الخوف اولا وقبل كل شيء ، ومطمحها الوحيد في عالم تقر بأنه ناقص وغير كامل هو الحيلولة دون الشر والسوء ، ذلك السوء الذي نجده أولا وقبل كل شيء في البربرية والعرقية والفاشية ونظائرها ، إنها تهتز لمساعدة الحبشة مثلا ، وكل ما يتصل بالاحسان والصدقة يغريها ، وهي تشعر بآلام الإنسانية ، وتدرك أن العالم قاس ومرعب وظالم ، لكن حسبها ، وهي الناعمة الرقيقة ، أن تعلن أن هذا العالم غير مقبول ، وأن تدعو مع ذلك الى الحياة فيه ومعه . والبطولة الخلقية غير غائبة عن نظرها ، غير أن قوامها هو ذلك الثالوث : النجاح والرياضة والمال . قوامها تلك القدرة على المغامرة والكسب والنجاح ، أما النواح وشكوى الزمان والتبرم من فراغ الحياة أو من مجتمع فاسد مفسد ، فتلك مواقف بالية ، ومن البلى كذلك أن يحمل المرء المجتمع مسؤولية مآسيه ومصائبه ، وكل مايتصل بالصحة والجسد يحمل المرء لدى أبناء هذه « الأيديولوجيا » قيمة خلقية خاصة ، فالجسد هو في آن واحد مصدر للمتعة ورأسمال ينبغي (تثميره) وإخصابه .

في عالم الاتصال :

على أن أوضح ما في هذه « الأيديولوجيا » الناعمة إكبارها الخاص للاتصال ، ولوسائل الاتصال الحديثة ، والنظر إليها كأنها اللغز الذي سيغير وجه الخليقة . ودخول وسائل الاتصال والمعلوماتية وسواها الى مجتمعاتنا واتساع نطاق استخدامها من أهم مايوحي لها بالأمل . ويزداد شأن هذه الوسائل بعد ولادة الجيل الثالث ثم الرابع من الحاسبات الألكترونية . والأمل معقود على هذه الوسائل من أجل خلق عالم انساني موحد يسوسه العقل . والعالم في سبيله إلى الانتقال من المجتمع الصناعي المستهلك للموارد الطبيعية الى المجتمع المعلوماتي المبدع للمنتجات المادية المطور للملكات الانسانية .

ويشط بنا القلم إن نحن حاولنا أن نفصل الحديث عن أهم قسمات هذه « الأيديولوجيا الناعمة » ولعلنا ندرك من خلال هذا العرض الخاطف ومن خلال هذه اللقطات العاجلة لأهم معالمها ، أنها في خاتمة المطاف دعوة الى الخروج من « الأيديولوجيات » والمشروعات الاجتماعية الكبرى ، وقبول بالواقع مهما تكن مساونه واتفاق على الحد الأدنى من الاصلاح وتمجيد للفرد والحياة الفردية ، وجنوح الى السعادة والمتع الآنية ، ورفض للسياسة بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة ، واصطناع لبعض المواقف الخلقية الانسانية التي تصدر عن الشفقة والتعاطف ، واكبار لمجتمع المعلوماتية والاتصال وما يولده من لقاء ووفاق على مستوى كل مجتمع ، وعلى مستوى الانسانية ، وابتعاد عن كل مايثير العنف والسلطة ، وأخذ بالحلول المؤقتة والجزئية والناعمة . لعلنا ندرك من خلال ما عرضنا أن « الأيديولوجيا الناعمة » لا تنكر أن ثمة أزمة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، غير أن ذلك كله في نظرها لا يحول دون البحث عن ضروب صغيرة من السعادة ، ذلك أن البحث عن الخير المطلق كان ومايزال وهما ، وقد آن الأوان لكي نتحرر من الأوهام كلها .

« أيديولوجيا » النهاية

وقد يعجب القارىء لوجود مثل هذه «الأيدولوجيا» ، بل قد يحسب أننا غلونا في وصف قسماتها وصفاتها . والحق أنها « ايديولوجيا » ذائعة - كما سبق أن ذكرنا - لدى الكثير من الكتاب والباحثين والمفكرين ، ولدى عدد كبير من الشبان في المجتمعات الغربية ، بل لعل القارىء يدرك أن السير في مثل هذا المنزلق في الغرب أو في سواه أمر متوقع ، بوصفه رد فعل عاجز ، لكنه متجلبب بجلباب الحداثة والتجديد ، على الأزمات الكبرى التي تعصف بالعصر ، والتي لا تبدو قريبة الزوال ،

ولا يتبين أبناء الانسانية بوضوح حتى الآن أين مستقرها ، وأيان موعد انحسارها ، وما السبيل الى مغالبتها . ان هذه « الأيديولوجيا » تذكرنا (ولكن بلغة أحدث وأعمق) بالنزعات التي ظهرت وتظهر بين الحين والحين ، والتي تدعو الى النكوص عن الحضارة العالمية والعود الى حياة الطبيعة ، فرارا من مآسي الحضارة . ولئن كان القضاء على مآسي الحضارة لايكون الا بالايغال فيها من أجل تقويمها من داخلها ، فكذلك لا يتم التخلص من عجز « الأيديولوجيات » بانكار « الأيديولوجيات » جملة وتفصيلا ، بل يكون بتطويرها وتجديدها ، ومثل هذه « الأيديولوجيات » الداعية الى زوال « الأيديولوجيات » لا تعدو في واقع الأمر أن تكون فرارا من الواقع ومن الجهد ومن التفكير الجاد في مصير الانسانية ، إنها كما يقول بعضهم ليست سوى وضع مسيرة الانسانية بين حاصرتين (معترضتين) لابد أن تزولا بعد حين ، وهي بذلك لا تبرهن على نهاية « الأيديولوجيات » بمقدار ما تفصح عن كونها « ايديولوجيا » النهاية ، نعني « الأيديولوجيا » التي تعلن نهاية السعي من أجل تغيير الانسانية ، وذلك الوجه الضاحك الذي تحاول أن تصطنعه لن يقنع أحداً أمام تفاقم المشكلات العالمية والأزمات الحقة الكبرى التي ستواجهها الانسانية فيما يبدو .

على أن من الانصاف أن نقول ان ثمة منطلقا ايجابيا يدفع القائلين بهذه « الأيديولوجيا » ، نعني حرصهم الشديد على الحرية الفردية ، وعلى الديمقراطية ، ذلك الحرص الذي يصل بهم الى حد رفض « الأيديولوجيات » مادامت تعني دوما في نظرهم حق أصحابها في التسلط والتحكم ، وممارسة الظلم والطغيان باسم المجتمع المنشود ، ومادامت الأفكار والمبادىء قد تنقلب أحيانا - كما حذر من ذلك ماركس نفسه الى تتويج رائع للبربرية (على حد تعبيره) ، غير أنه لا حاجة الى القول ان سبيل التغلب على مزالق « الأيديولوجيات » هذه ليس سبيل رفضها ، بل سبيل البحث الجاد الذي هو ضالة الانسانية دوما وأبدا ، عن الدمج العضوي المتكامل بين حرية الفرد وحرية المجتمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية كما يقال .

« الأيديولوجيا الناعمة » والمجتمع العربي

وبعد ، قد يقول قائل أين نحن من هذه « الأيديولوجيات » التي هي نتاج التأنق الفكري المفرط الذي نجده في المجتمعات الغربية ، ووليدة طراز الحياة التي يعيشها أبناء تلك الجماعات . والحق أن الأرضية التي ولدت مثل « الأيديولوجيا » الناكصة الهاربة ليست غريبة كل الغرابة عن الأرضية التي يسرح فوقها مجتمعنا العربي وسائر المجتمعات النامية ، فالأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية التي تعاني منها هذه المجتمعات النامية ،

والتي هي في أحد جوانبها انعكاس للأزمة العالمية هي عندنا أيضا ، كما هي في الغرب أزمات ترمقنا شذرا ، ونرمقها شذرا ، دون أن ندرك بوضوح سبل الخلاص منها ، ودون أن نقوى على توليد مشروعات مجتمعية قادرة على تجاوزها . ومن هنا فالتربة صالحة عندنا كذلك لولادة مثل هذه المواقف التي وجدناها في تلك « الأيديولوجيا » التائهة ، نعني المواقف التي تغلف استسلامها وعجزها بمنازع جديدة تدعو إليها ، لا تخلو من إغراء ويسر ، ولا يعوزها التحليل المتأنق الحديث ، غير أنها في أعماقها

تبرير لانصراف طاقات أبناء المجتمع نحو مصائرهم الفردية ومتعهم الذاتية ، ودفع لهم نحو اللامبالاة وعدم الاكتراث . ولن نتهم بالغلو إن قلنا إن بذور مثل هذه المواقف أصبحت منبثة لدى الكثير من أبناء الجيل الشاب بوجه خاص في سائر أرجاء المجتمع العربي ، بل لعلها أدركت جيل الكهول والشيوخ . ولئن كان المجتمع الغربي قادرا بفعل تقدمه وآليات بنيانه الذاتي المتطور على امتصاص مثل هذه الاتجاهات ، بله مقاومتها ، فان مجتمعنا العربي الناشىء قد يصاب في قلب حركة تقدمه كلها حين تغزوه مثل هذه المواقف اللامبالية ، وهو في ريعان حياته الجديدة .

من أجل « أيديولوجيا » عربية حية

الحق أن معالجة مشكلات مجتمعنا العربي والبحث في مصيره لابد أن يأخذا بعين الاعتبار حصاد التجربة العالمية وانعكاساتها ، وأن يجنبا هذا المجتمع في الوقت نفسه مخاطر هذه التجربة . والمنظرون الطامحون لبناء مشروع المستقبل العربي لا يمكن أن يهملوا مثل هذا التواصل والتآخذ بين التجربة العالمية والتجربة العربية ، ولابد أن يضعوا هذا المشروع في موضعه الصحيح ، وموقعه الصحيح ، من حياة العصر كلها ، ومن هنا كان البحث عن معالم « الأيديولوجيا »العربية المدركة للعصر والعالمة بواقع الوجود العربي وبموقعه في العصر والمتطلعة نحو المستقبل فضلا عن اتصالها بالماضي أهم ما ينبغي أن تشحذ له أقلام المفكرين العرب في أيامنا هذه . وقد أزف الحين من أجل بناء « ايديولوجيا » حية تجنب المجتمع العربي مزالق العصر ، عن طريق وعي هذا العصر ، ووعي الواقع العربي في آن واحد ، وتقوى على مغالبة أزمات حاضره وصياغة صورة مستقبله . □

الخيل أبدع اكتشافات الانسان



● يقول العالم الفرنسي « بوفون » ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالجواد ، فهو الحيوان الوحيد الذي لا يعرف إلا في الحالة الأليفة ، فالجواد أبدع اكتشافات الانسان .

وإننا عندما نعود بالفكر إلى فجر الحضارة الانسانية نجد أن من العسير أن نفصل بين حياة هذا الحيوان والعمران الانساني ، فمنذ أطلت الخيل على التاريخ البشري نجدها لا تحيا إلا في ظل الانسان ، وهي لم تكن فقط للانسان المطية التي تشاطره حروبه وأمجاده ، وإنما الرفيق الأمين الذي يشاركه متاعب العيش ومباهجها .

أما العالم بلوتاك فيقول : إن ظهور الخيل وترويضها لخدمة الانسان كانا من العوامل الحاسمة في تسيير التاريخ القديم ، فان قيام الكثير من الممالك القديمة كان رهنا بمدى ارتباط شعوبها بالخيول السريعة الخفيفة ، أو بمدى تحسينها لوسائل استخدامها . إن الجواد يبدو في كل صفحة من صفحات التاريخ ، وفي كل لفتة من أساطير الشعوب ، فكم من معركة قرر مصيرها وجوده وسرعته . وإن الكلمة التي أطلقها أحد غزاة العالم الجديد عندما قال : «إننا مدينون بنصرنا إلى الجواد بعد الله » تصح على الكثير من الفتوحات الانسانية في طريقها نحو التقدم .

الإسلام والتوازن الاجتماعى

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي ابراهيم*

لم يكتف النظام المالي الاسلامي بتمويل النفقات العامة للدولة ، بل استهدف المساهمة في إقرار التوازن الاجتماعي ، وحين وضع الاسلام مبدأ التوازن الاجتماعي شرح فكرته ، وأوضح أنه يتحقق بتوفير الغنى لسائر الأفراد .

إن التوازن الاجتماعي هو التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة ، لا في مستوى الدخل ، أي أن يحيا جميع الأفراد مستوى واحدا من المعيشة ،مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد ، تتفاوت بموجبها المعيشة . والتفاوت هنا تفاوت درجة ، وكلمة الدرجة تفيد وجود أصل الصفة محل الاشتراك ، والاختلاف إنما هو في مقدارها فقط ، فالغنى يجب أن يكون قاسما مشتركا بين الجميع ، والاختلاف من فرد لآخر إنما يكون في مقدار الغنى ، وليس في أصل الغنى وأساسه ، وإلا لما كان اختلاف درجة ، وإنما كان اختلافا جذريا ، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي .

ومسئولية الدولة على أساس مبدأ التوازن الاجتماعي لا تفرض عليها إشباع الحاجات الضرورية للفرد فقط ، بل تفرض عليها أن تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة التى يحياها أفراد المجتمع الاسلامي ، والكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الاسلامي يسرا ورخاء . وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن حد الكفاية في حديثه بأنه « توفير القوام من العيش » ، أي ما به تستقيم حياة الفرد ويصلح أمره ، ويكون ذلك بإشباع احتياجاته التى تجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد ، دون وجود فجوة واسعة تفصل بينه وبين غيره .

وقد أدرج الاسلام التوازن الاجتماعي ضمن أهداف نظامه المالي ، انطلاقا من حقيقتين ، إحداهما كونية والأخرى مذهبية ، فالحقيقة الكونية هي

* استاذ الاقتصاد ـ كلية التجارة ـ جامعة الزقازيق ، مصر .

تفاوت أفراد البشر في العقول والمفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة ، أما الحقيقة الأخرى فهي القاعدة المذهبية للتوزيع القائلة بأن العمل هو أساس الملكية وما لها من حقوق .

الاختلاف بين الأفراد

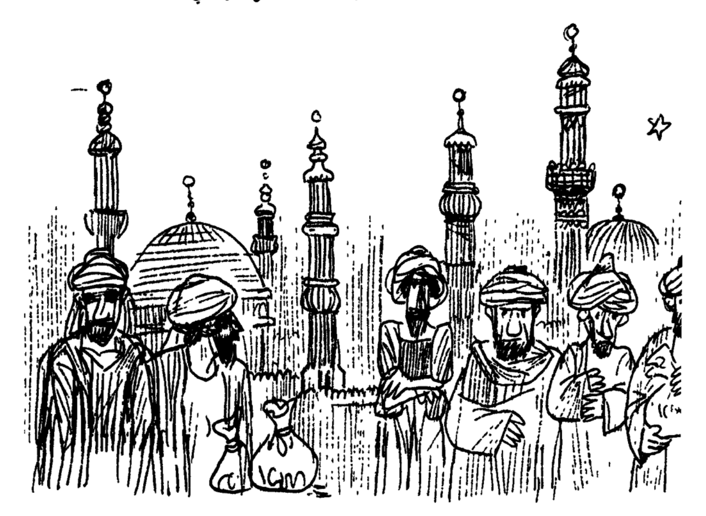
الاختلاف بين الأفراد في الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية سنة كونية ثابتة دائمة في كل مجتمع بشري على الاطلاق ، لا سبيل لإنسان أو نظام الى تغييرها ، وهي أن الله سبحانه وتعالى أخضع الخليقة للتمايز في المواهب والامكانيات والمقدرة على الابداع والاختراع ، وحدة الذكاء ، وسرعة البديهة ، وهم يختلفون في قوة العضلات ، وفي ثبات الأعصاب ، الى غير ذلك من مقومات الشخصية الانسانية التي ورعت بدرجات متفاوتة بين أفراد الجنس البشري .

هذه الاختلافات بين الأفراد في مختلف الخصائص والصفات حقيقة مطلقة ، ليست ناجمة عن أحداث عرضية في تاريخ الانسان ، أو على أساس ظرف اجتماعي معين ، فالناس يختلفون في مواهبهم وإمكاناتهم الخاصة قبل أي تفاوت اجتماعي بينهم في التركيب الطبقي للمجتمع . ولا يمكن لنظام اجتماعي إلغاء هذا التفاوت في تشريع أو في عملية تغيير لنوع العلاقات الاجتماعية .

العمل المشروع مصدر الملكية

قد قرر الاسلام أن العمل سبب الملكية ، واتخذ من العمل على هذا الأساس أداة رئيسية في جهاز التوزيع الاسلامي ، لأن كل عامل يحظى بالثروات الطبيعية التي يحصل عليها بالعمل ، ويمتلكها وفقا لقاعدة « أن العمل سبب الملكية » . ومن هذه القاعدة يمكن أن نستنتج أمرين هامين :

الأول · السماح بظهور الملكية الخاصة ، حيث يمتلك الانسان العامل الأموال التي أنتجها ، ذلك أن



في الانسان ميلاً طبيعيا الى الاختصاص بنتائج عمله عن الآخرين ، لكن نوعية الحقوق التي تترتب على هذا الاختصاص لا تتحدد وفقا لميل طبيعي ، وإنما يحددها النظام الاجتماعي وفقا لما يتبناه من أفكار ومبادىء . وقد تدخل الاسلام في تحديد حقوق الاختصاص ، فأنكر بعضها ، واعترف ببعضها الآخر وفقا للقيم والمثل التي يتبناها ، فقد أنكر حق المالك في الاسراف والتبذير بماله ، وأنكر كذلك حقه في تنمية أمواله عن طريق الربا ، لكنه أجاز له تنمية هذه الأموال عن طريق التجارة ضمن حدود وشروط معينة .

الثاني : تحديد مجال الملكية الخاصة ، حيث يقتصر نطاق الملكية الخاصة على الأموال التي يمكن للعمل أن يتدخل في إيجادها أو تركيبها دون الأموال التي ليس للعمل فيها أدنى تأثير ، وعلى ذلك فالثروة الخاصة هي كل مال يتكون أو يتكيف طبقا للعمل البشري المتفق عليه ، أما الأموال التي لا يمتزج بها العمل البشري فلا تدخل في المجال المحدد للملكية الخاصة ، وإنما هي أموال مباحة إباحة عامة أو مملوكة ملكية عامة .

التفاوت في الدخول والثروات

نتيجة للايمان بالحقيقتين السابقتين يظهر التفاوت بين الأفراد في الدخول والثروات ، فإذا افترضنا أن مجموعة من الأفراد استوطنت أرضا ، وقامت



بإعمارها ، وأنشأت عليها مجتمعا ، وأقامت العلاقات بين الأفراد على أساس أن العمل هو مصدر الملكية ، ولم يمارس أي فرد عليهم أي لون من ألوان الاستغلال نحو الآخر ، فسوف نجد بعد فترة من الزمن أن هؤلاء الأفراد يختلفون في ثرواتهم تبعا لاختلافهم في الخصائص الفكرية والروحية والحيوية ، وهذا التفاوت أمر يقره الاسلام ، لأنه وليد الحقيقتين اللتين يقرهما معا ، ولذلك تكفل الاسلام بتوفير الايرادات العامة ، لكي تمارس الدولة تطبيقها لمبدأ التوازن الاجتماعي ، وذلك بوسيلتين رئيسيتين هما :ـ

١ ـ فرض التزامات مالية ثابتة تؤخذ بصورة مستمرة كالزكاة .

٢ ـ إيجاد قطاعات عامة ، وتوجيه الدولة الى استثمار تلك القطاعات

الزكاة أهم الفرائض المالية الثابتة ، والدولة هي التي تجمع الزكاة وأمرها غير متروك للأفراد ، ولم يكتف الاسلام بحصيلة الزكاة ، وإنما قرر أن في المال حقا سوى الزكاة ، ذلك أنه إذا لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء ، فإن للسلطة العامة أن تأخذ من الأغنياء بعد الزكاة ما يمكنها من سد هذه الحاجات ، وهذا الحق لا يتقيد ولا يتحدد إلا بالكفاية ، فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذي يقوم بكفاية الفقراء .

والى جانب الالتزامات المالية والضريبية هناك القطاع العام الذي يعتبر حائلا دون احتكار الأقوياء للثروة كلها ، ورصيدا للدولة ، يمدها بالأموال اللازمة لممارسة التوازن الاجتماعي ، واعطاء كل فرد حقه في العيش الكريم من ثروات الطبيعة ،

حيث يقر الاسلام حق الجماعة كلها في ثروات الطبيعة التي خلقت للجماعة كافة لا لفئة دون أخرى ، ولعل أروع نص تشريعي يؤكد حق الجماعة كلها في الانتفاع بثروات الطبيعة قوله تعالى في سورة الحشر : « مَا أَفَاءَ اللهُ على رسولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرىَ فلِلهِ وللرسولِ ولِذي القربَى واليَتَامَى والمساكينِ وابنِ السبيلِ كي لا يكونَ دُولةً بين الأغنياءِ

مِنْكُم » ، فإذا كان الوضع المحظور هو أن يكون المال دولة بين الأغنياء ، فإن التطبيق العادل لتداوله بين الناس كافة هو توزيعه بينهم في ملكيات متفاوتة الفوارق .

تشريعات تمنع تركز الثروة

بالإضافة الى الوسيلتين السابقتين هناك مجموعة من التشريعات الاسلامية ، ذات صلة وثيقة بمبدأ التوازن الاجتماعي ، ويكفي أن نشير هنا الى محاربة الاسلام لاكتناز النقود ، وتحريم الفائدة على رأس المال ، وتشريعه أحكام الإرث والوصية ، ونهيه عن الاحتكار ، وإلغائه الاستثمار الرأسمالي للثروات الطبيعية ، الى غير ذلك من الأحكام .

ومن أحكام الاسلام تحريم كنز المال ، لأنه حق الأمة ، وحق فقرائها ، ينفق منه لدفع الحرمان ، والتأمين على العيش ، وتعهد الضمائر بما يؤيد نوازع الحق والعدل والخير ، وتوفير الرعاية الصحية ، والدفاع عن الأمة في مواجهة عدوها ، وكل نفقة تعود على الأمة جماعة وأفرادا برخاء العيش هي نفقة في سبيل الله . ولا يقر الاسلام الربا ، حيث أنه كسب غير مشروع ، يؤدي الى تركيز الثروة في أيدي الأغنياء ، ويؤدي الميراث والوصية بالملكية الى تجزئة في محيط من يرثون ومن لا يرثون من ذوي القربى وغيرهم ، وليس هنا مجال لتفصيل ذلك ، أما الاحتكار فقد نهى الاسلام عنه ، حيث أنه وسيلة لتركيز الثروة بطريقة جائرة ، لا تحقق تكافؤ الفرص للجميع .

وفي الرأسمالية يستمدالفرد مبرر ملكيته للموارد الطبيعية على أساس مبدأ الحرية الاقتصادية ، فالمذهب الرأسمالي يعتبر أن كل ثروة طبيعية يسيطر عليها الفرد تصبح ملكا له ، طالما أن ذلك لا يتعارض مع حرية التملك الممنوحة للآخرين ، وعليه فلن تكون هناك قيود تحد من حرية الملكية الخاصة لكل فرد ، إلا صيانة حق الآخرين في حرية التملك ، وهنا فالحقوق الخاصة في الموارد الطبيعية تعتبر مظهرا من مظاهر حرية الانسان في ظل النظام الرأسمالي ، بينما هي في ظل الاسلام مظهر من مظاهر جهد الانسان وعمله ، ولن يكون العمل مصدرا لتملك المال مالم يكن بطبيعته من أعمال الانتفاع والاستثمار ، وليس من أعمال الاحتكار والاستئثار ، فأعمال النوع الأول ذات صفة اقتصادية بطبيعتها ، أما أعمال النوع الثاني فهي تقوم على أساس القوة ، ولا تحقق انتفاعا ولا استثمارا مباشرا ، ولن تكون القوة مصدرا للحقوق الخاصة أو مبررا كافيا لها .

فحسب الانسان أن يقلع عن اتخاذ القوة المادية ـ مسلحة أو غير مسلحة ـ مصدرا للحقوق ، .أما القوة الاعتبارية ممثلة في الربا والاحتكار ونحوهما من ضروب الاستغلال فذلك مالم يكن ينكره الوعي المتدني يومئذ ، لقرب العهد من أساليب القوة السافرة ، ولعجزه عن النقد والتحليل ، وتبين ما في ذلك الأسلوب من جور ومجانبة للعدل والحق . □

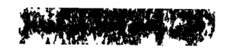


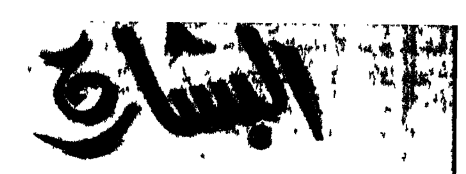
● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « من تتهمه فلا تأتمنه ومن تأتمنه فلا تتهمه » .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « الاجتهاد خير بضاعة » .

● قال لقمان لابنه : « لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال فإنه كالسيف حسن مخبره قبيح أثره » .

● لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه . (ابن الزبير)





شعر : الدكتور خليفة الوقيّان

الارضُ تـرجُمكُم حجارتُها
ويفقأُ عينَكم شَوْكُ النخيلْ
في القدس في العشّار
في ميسان في أنحاءِ غزّة
في الجليلْ
يتعانقُ الحجرُ النخيل
يعمّد الدَّمُ مهرجان البعث
في الليلِ الثقيلْ . .

* * *

هذا زمانٌ تستفيقُ به البشاره
ويهلّلُ القسّامُ
للطفلِ المدجّجِ بالحجاره
يختالُ سعدٌ
في الصفوف
تشّق خيلُ الله فجر القادسية
من جديدْ
يبهار بيتُ النار
تطفيءُ صولةُ الفرسان ناره

* * *

الهيكلُ المهدومُ
والايوانُ
والبغي العنيدْ
وهمُ السكارى
والطغاة الشاربين دم الاسارى
ليلٌ تمزّقه خيول الفتح
في الفجر الوليدْ



الوحلَ البليدْ.

* * *

هذا زمانٌ تستفيقُ به الحجاره
تندى
تُبرعمُ ألفَ حلمٍ مُزهرٍ
أحلى منارَه
هذا زمانٌ
ينهض البرديُّ فيه حَرْبَةً
سيْفاً
وتشتعلُ المياه
والضادُ في حُضنِ الخليلِ
يَضُمُّها للقلبِ
ينزفُ دونَها
تبقى شِمارَه

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

التعددية والمعارضة في الإسلام

التعددية السياسية ثمرة طبيعية للحرية ، والحرية هي الوجه الآخر للعبودية لله وحده ، بالتالي فإن مصادرة هذه الحرية بأية صورة من الصور هي بمثابة عدوان على حق الله سبحانه وتعالى ، سواء من حيث انها استلاب لحق المجموع في التعبير ، أو من حيث انها إخلال بعبودية الناس لله ، وفي إراداتهم ليتوجهوا بالامتثال والعبودية لغير الله

فالشورى - قاعدة الاساس في النظام السياسي الإسلامي - لاتتحقق بالصورة المرجوة إلا في ظل هذه التعددية . والتعاون على البر والتقوى يقود إلى التعددية . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أريد لهما ألا يتحولا إلى فوضى فإن التعددية تضمن لهما الفاعلية وعمق التأثير . والقاريء المدقق في الخطاب القرآني يلحظ أنه ضد « الأحادية » على طول الخط ، فهو دائم الاشارة إلى « أولي الأمر » بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد .

ومن هذا المنطلق استقرت القاعدة الشرعية التي تقول « تصرف الفرد في المجموع ممنوع » . وفضلا عن ذلك فإن الخطاب القرآني دائم الحث على إعلان الرأي والجهر به ، حتى اعتبر الفقهاء ذلك الإعلان واجبا وليس حقا فقط ، وعد المقصر في ذلك الواجب آثما ، يحاسب على تقاعسه ذاك أمام الله يوم الدين .

ولئن دعا القرآن المؤمنين لكي تنفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ، فإذا نفر آخرون ليعنوا بشئون الدنيا عبر مناهج مختلفة للاصلاح ففي ذلك توسيع أكيد لمحيط الخير والتسديد . وكما قلنا قبل ذلك مرارا فإنه إذا كانت التعددية في المذاهب الفقهية قد أثرت العقل والواقع الإسلاميين عبر التاريخ فلماذا نتردد في الإفادة من ثراء آخر محقق نجنيه من وراء التعددية السياسية ؟

إن مصادرة الرأي الآخر بحجة اتقاء الفرقة هو دعوة لإهدار مصلحة محققة تحسبا لمفسدة محتملة ، وهو مالايقول به عقل أو نقل ، ناهيك عن أن إهدار تلك المصلحة يشكل ذلك العدوان على حق الله الذي أشرنا إليه الذي هو - في قضية الحرية تحديدا - يعد في الوقت نفسه إهدارا لأحد مقاصد الشريعة

إن إساءة استخدام الحق لا تعالج بمصادرة أصل الحق ، وإنما تواجه بتقويم الاساءة ، وتوفير الضمانات اللازمة لعدم وقوع تلك الاساءة . تلك بديهية لاتحتاج إلى التذكير بها ونحن بصدد الحديث عن التعددية السياسية ، خصوصا إزاء الدعوات التي تقاوم فكرة التعددية ملوحة بمخاطر الفرقة المنهي عنها شرعا . وربما جاز لنا أن نقول إن تلك الفرقة المنكورة هي التي تؤدي إلى تمزيق الصف وتفتيت الكيان الاسلامي ، وهي مرتبة لايختلف أحد على رفضها ، لكن الذي نتحدث عنه هو ذلك التعدد الذي يثري ويبصر ويتيح الفرصة لتلاقح الآراء وإنضاج المواقف ، وإشراك الأمة في تقرير أمورها ومصائرها ، عبر قنوات شرعية فاعلة .

نعترف بأن الأحزاب السياسية ليست هي الصيغة المثلى لتحقيق التعددية السياسية ، لكننا نقر في الوقت

عينه بأنها الصيغة المتاحة المعتمدة في زماننا ، ولايملك منصف أن يغض الطرف عن مساويء النظام الحزبي التي تدفع بالمرء أحيانا إلى التعصب لحزبه ، سواء كان على حق أو كان على باطل .

لكن الانصاف يقتضي أيضا أن نوازن بين كمِّ المصالح التي يحققها توفير ذلك النظام ، وبين مثل تلك المفسدة المحتملة التي يمكن تجنبها بترشيد الوعي السياسي .

وتظل قضيتنا الأساسية هي التعددية السياسية ، وإتاحة الفرصة للرأي الآخر أن يعبر عن ذاته ، وأن يكون له حضوره الشرعي واعتباره في الساحة السياسية ، أما صيغة هذه التعددية وتفصيلاتها ، وكيفية ضمان عدم انحراف نظامها عن مقاصده ، فتلك أمور تالية في ترتيب أهميتها .

ولربما سأل سائل عن موقف النصوص الشرعية من تلك التعددية التي ندعو إليها.وردنا على مثل ذلك التساؤل من شقين : أحدهما أن هناك تكاليف ومقاصد شرعية ، لايمكن الالتزام بها أو تحقيقها إلا في ظل التعددية ، وهي التي أشرنا إليها قبل قليل ، أما الشق الثاني فيتمثل في خلو النصوص الشرعية عن حكم يحول دون المضي في تلك التعددية . ولئن قال أحد الفقهاء ـ كما ذكرنا في المقال السابق ـ إنها من جملة المصالح المرسلة التي لنا أن نطرق بابها لنجني ثمارها إلا أننا نضيف هنا أنها أيضا تعد من مقتضى السياسة الشرعية التي عرفها ابن عقيل بأنها « ماكان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يشرعه الرسول ولانزل به وحي » .

ولأن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولأن الله لم يحصر طريق إحقاق الحق وإرساء العدل في فرع واحد وأبطل غيره ، ولأنه « إذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العدل ، وأسفر صبحه بأي طريق كان ، فثمة شرع الله ودينه ورضاه وأمره » فإن « أي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها » ، وهو المعنى الذي أبرزه ابن القيم في « اعلام الموقعين » واستخدمنا كلماته وعباراته بقليل من التصرف (جـ ٤ ـ ص ٣٧٢) .

وفي رصد رؤية الاسلام لقضية التعددية وعنايته بالرأي الآخر فإن الباحث لايسعه إلا أن يسجل تقديره للمنهج الذي عولج به الموضوع في كتاب « المعارضة في الاسلام » لمؤلفه الدكتور جابر قميحة ، الأستاذ بجامعة عين شمس في القاهرة .

ذلك أن المؤلف وهو يقدم لبحثه أفرد الفصل الأول لما أسماه « الضمانات والمرتكزات » ، وذكر أن الاسلام قدم ضمانتين أساسيتين تكفلان للرأي الآخر الحصانة والبقاء : الضمانة الأولى تتمثل في تأكيده على قيمة الحرية ، والضمانة الثانية تتمثل في اعتبار العدل محور الشريعة ومدارها . أما مباشرة الرأي الآخر أو المعارضة فإنها تركز على أمرين هما : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشورى (ص ١٩ ـ ٦٠) .

على أرضية الحرية والعدل ، ومن خلال الأمر بالمعروف والشورى فإن الباب ينفتح واسعا لممارسة المعارضة التي هي ترجمة عملية لفكرة التعددية السياسية التي ندعو إليها .

وإذا استعرض المؤلف نماذج من تلك الممارسات في العصر الاسلامي الأول فإنه قدم لنا وقائع مما جرى في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (غزوات بدر وأحد والأحزاب وصلح الحديبية) عندما كان للرأي الآخر دوره وحضوره ، ثم ماجرى في مرحلة الخلفاء الراشدين من ممارسات مماثلة ، لكنه مر سريعا على تجربة الإمام علي بن أبي طالب مع الخوارج ، وإن سجّل بعضا من ملامح هذه التجربة بحسبانها طورا جديدا في المعارضة، حيث ذكر أنه كان قصارى جهد المعارضة الأولى عزل وال أو القصاص منه ، أو عزل الخليفة (كما جرى في عهد سيدنا عثمان بن عفان) ، أما المعارضة الخارجية ، فقد أخذت صوراً وامتدادات أبعد من ذلك بكثير ، فهي وإن انطلقت من الحكم على أشخاص كعثمان وعلي ، والحكم على وقائع كالتحكيم ، فإن هذه الآراء الأولية تطورت إلى ايديولوجية « مفصلة في الحكم والمجتمع والحلال والحرام » (ص١٩٠) ، ذلك فضلا عن أن تجربة

المعارضة في عهد الإمام علي تعد نموذجا للمعارضة الحزبية المسلحة التي واجهت الحكم الاسلامي في مراحله المبكرة .

لقد أشار المؤلف إلى ملامح هذه التجربة ، لكنه لم يتوقف عندها طويلا على الرغم من خصوصيتها وخصوبتها وأهميتها ، ذلك أنها مليئة بالدروس التي يتعين علينا أن ندقق في ملابساتها ، لنستوعب الحدود التي يحتملها الواقع الإسلامي لمباشرة مانسميه في زماننا المعارضة السياسية أو المسلحة .

ولعلنا لانبالغ إذا قلنا إن الفكر السياسي الاسلامي يبني الكثير من الاجتهادات على دروس تلك التجربة ، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحاول استرجاع تلك الدروس وما استخلصه فقهاء المسلمين منها .

فهناك تيار بارز بين فقهاء المسلمين يضم عديدا من أهل السلف والخلف استقر رأيه على أن الواقع الإسلامي يحتمل المعارضة السياسية التي يمكن أن تذهب بعيدا في النيل من القيادات الحاكمة ، سواء في سياساتها أو مدى إيمانها ـ (الخوارج كفروا الإمام علي فوق المنابر وتركهم وشأنهم) ـ لكن الذي ليس مقيدا عند هؤلاء المعارضة المسلحة التي تهدد كيان الدولة الاسلامية ، وتروع سكانها ، وتجرح وحدتها .

الدكتور يوسف القرضاوي من أبرز المعاصرين القائلين بذلك ، استنادا إلى قول الإمام علي لأحد الخوارج : لكن علينا ثلاث : لانمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نبدؤكم بقتال ، ولانمنعكم الفيء (الايراد الذي يحصله المسلمون بغير غزو) .

بنى الفقهاء على هذه المقولة ـ أضاف القرضاوى ـ أن قوما لو أظهروا رأي الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة وسب الصحابة ، ولم يخرجوا عن قبضة الإمام (لم يحاربوه بالسلاح) ـ لم يتعرض لهم (منار السبيل جـ ٢ ، ص ، ٤٠٢و ٤٠٣) .

وقد روى الغزالي في « المستصفى » أن قضاة البصرة استأذنوا الإمام علي في أن يقبلوا شهادة أهلها من الخوارج وغيرهم ـ الذين حاربوه ـ فأمر بقبولها كما كانت تقبل قبل حربهم له ، لأنهم حاربوا على تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد للخلاف . (القرضاوي ـ شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ـ ص ٦٢) .

ومما يقوله الماوردي في هذا الصدد : « وإذا بغت طائفة على المسلمين وخالفوا رأي الجماعة وانفردوا بمذهب ابتدعوه ـ فإذا لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ، ولا تحيزوا بدار اعتزلوا فيها ، وكانوا أفرادا متفرقين تنالهم القدرة وتمتد إليهم تركوا ولم يحاربوا ، وأجريت عليهم أحكام العدل فيمايجب لهم وعليهم من الحقوق والحدود .

(ذكر الماوردي مقولة الإمام علي التي مررنا بها ، ثم أضاف : فإن تظاهروا باعتقادهم وهم على اختلاطهم بأهل العدل أوضح لهم الإمام فساد ما اعتقدوا ليرجعوا (بالحوار بطبيعة الحال) . وجائز للامام أن يعزر منهم من تظاهر بالفساد أدبا وزجرا ولم يتجاوزه إلى قتل أو حدّ ، فإن اعتزلت الفئة الباغية أهل العدل ، وتحيزت بدار من مخالطة الجماعة ، فإن لم تمنع من حق ، ولم تخرج عن طاعة لم يحاربوا ، وإن امتنعوا حوربوا » ـ (الأحكام السلطانية ص ٤٧) .

(وللسرخسي صاحب« المبسوط » تعقيب على كلام الإمام علي للخوارج ملفت للنظر ، يقول فيه : « إن ذلك الكلام .. فيه دليل على أنهم مالم يعزموا على الخروج (التمرد المسلح) فالامام لايتعرض لهم بالحبس والقتل ، وفيه دليل على أن التعريض بالشتم (للامام) لايوجب التعزير. فإنه لم يعزرهم وقد عرضوا بنسبته إلى الكفر ، وفيه دليل على أنهم يقتلون دفعا لقتالهم حين يعزمون على القتال بالتجمع والتحيز دون أهل العدل » (جـ ١٠ ص ١٢٥ ـ ١٢٦) .

هذه النصوص والضوابط الهامة تطرح بين أيدينا نماذج من اجتهادات فقهاء المسلمين للحدود والضوابط التي يسوغ للمعارضة أن تتحرك ضمنها في ظل الواقع الاسلامي . وأحسب أن تلك الحدود لو صاغها الباحثون صياغة عصرية لاستخلصنا منها اطارا متقدما للغاية بمباشرة ما نسميه الحقوق

السياسية أو التعددية الحزبية . ولو اجتهدوا في الاضافة إليها من واقع التطورات السياسية الراهنة لأثروا الفكر السياسي الاسلامي ثراء له قيمته الكبرى .

ولعل من الأمور التي تحتاج إلى اجتهاد في زماننا الضوابط الايديولوجية التي يجوز للمعارضة أن تتحرك في حدودها ، أعني أننا إذا قبلنا نظريا بالمعارضة السياسية ، وقلنا إن المعارض ينبغي أن تكفل له كل الحقوق والضمانات طالما أنه لم يلجأ إلى العنف المسلح ، استنادا إلى كلام الإمام علي واجتهاد الفقهاء المبني عليه فما هي الحدود الفكرية أو الايديولوجية التي يجوز للمعارضة أن تنشط في إطارها ؟

فقد أشرنا في المقال السابق إلى فتوى ابن تيمية التي تجيز الأحزاب التي تدعو إلى الخير والحق ، وتمنع الأحزاب التي تقوم على محادة الله ورسوله ، وهي الفتوى التي عقب عليها الدكتور محمد العوا قائلا بجواز التعددية الحزبية ، « شريطة أن تلتزم هذه الأحزاب بقيم الاسلام وتعاليمه ، ثم تترك بعد ذلك لتدعو إلى ما تشاء من برامج سياسية واقتصادية واجتماعية » - (في النظام السياسي للدول الاسلامية - ص ٨٤) .

ونحن نفهم أن يفتح الباب واسعا للتعددية التي تقوم على أرضية إسلامية ، كما نفهم أن تحظر الأحزاب التي تقوم على العداء للإسلام ، وإنكار تعاليمه ، لأن ذلك يعني التصريح بنقض أساس الدولة وإهدارها نسميه النظام العام للمجتمع ، وهو مما لاتسمح به أية دولة في عالمنا المعاصر ، مهما بلغت طبيعة الممارسة الديمقراطية فيها .

أقول إننا نفهم هذا وذاك ، لكن الذي يمكن أن يثير تساؤلا هنا هو:ماذا عن التيارات الفكرية التي تقف بين النقطتين ؟ أعني تلك التي لاتقف على كامل أرضية الاسلام ، ولا تقف على كامل أرضية المعادين لله من قبيل مانسميه الأحزاب الليبرالية أو العلمانية أو الاشتراكية التي لاتتخذ بعض تياراتها المعتدلة موقفا معاديا للاسلام على الجملة ، لكن ربما كانت لها بعض التحفظات على حدود التطبيق الاسلامي وقضية النظام السياسي ، أو دعوة الفصل بين الدين والسياسة نموذج لذلك من حيث ان بعض الذين يرددون هذه الدعوة مسلمون مؤمنون بالله ، ولا يمكن تصنيفهم بحسبانهم ممن يحادون الله ورسوله ، أمثال هؤلاء هل يوجد لهم مكان في ساحة التعددية التي نرجوها للواقع الاسلامي ؟

الأمر يحتاج إلى مناقشة واجتهاد ، وإذ أعترف بأني لست من أهل الاجتهاد إلا أنى قد أزعم انتسابا إلى « أهل المناقشة »، مما يدخر قد يوفر لي قسمة اجتريء من خلالها على الرد بالايجاب عن السؤال !

وهو إيجاب ليس مطلقا ، لكنه مشروط بأمرين اثنين أولهما : أن يظل الخلاف مع هذه التيارات في الفروع وليس في الأصول الإسلامية ، علما بأن مسألة الحكم على ضرورتها وأهميتها هي من الفروع وليست من الأصول بحسبانها فعلا وليست اعتقادا .

وثاني الشرطين أن يكون الفيصل في واجبات والتزامات كل طرف مشارك في التعددية السياسية والفكرية هو العهد المكتوب بين الجميع ، وإذا كانت تجربة«الصحيفة» التي أنشأها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، هي صيغة مبكرة لمثل ذلك العهد ، واتفق الباحثون لاحقا على اعتبارها أول دستور مكتوب في الاسلام ، بل في التاريخ الانساني ، فإننا نذهب إلى أن دستور الدولة هو العهد الذي تلتزم به أمة الإسلام بكل مللها وفصائلها الفكرية والسياسية . وما هو متفق عليه في ذلك الدستور لايجوز لأحد نقضه أو العمل على هدمه ، وإلا وقع تحت طائلة القانون .

نعم كانت الصحيفة عهدا بين المسلمين وغير المسلمين ، لكننا نستقي الفكرة ونقيس عليها مذكرين بأنه لم يكن هناك وجود لفرق أخرى في ذلك الوقت المبكر من التاريخ الاسلامي .

في إطار تلك الحدود والضوابط فلسنا نرى ما يمنع أي تيار فكري أو سياسي من أن يثبت حضوره ، ويمارس دوره في أي مجتمع إسلامي معاصر . والله أعلم . □

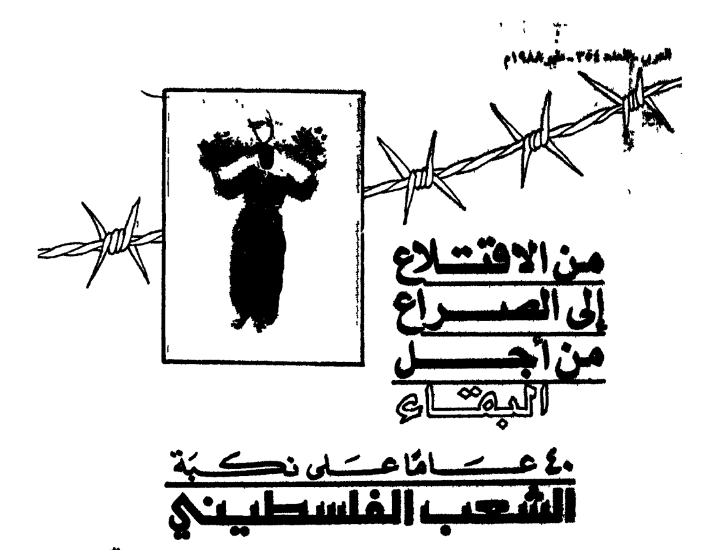


مرحلة جَديدة في سلسلة طويلة من النضال

... انطلق أول حجر في [illegible] ة لم ينتبه الكثيرون الى ما في الحجر من قوة وصلابة ، ولم يروا ما في [illegible] الفلسطيني لم يصب جبهة الجندي « الاسرائيلي » فحسب ، بل [illegible] ظل يلف ذلك الكيان المدجج بالبنادق والحقد مدة أر[illegible] طيني ، وعمر ثورته الحديثة في الوقت نفسه .

كانت الانتفاضة [illegible] سلسلة [illegible] ، لم تنقطع منذ صدور وعد بلفور [illegible] ما لا يملك لمن لا [illegible] الحقد الصهيوني قد بدأ قبل [illegible] عملية تكون النظام الرأسمالي [illegible] الذي لعب فيه اليهود [illegible] كما يقول « عبد الوهاب المسيري في مقال [illegible] ، وتحول ذلك الدور [illegible] الى دور استعماري مع دخول النظام الرأسمالي [illegible] الكبرى التي [illegible] منطقتنا العربية ، والتي أصبحت الصهيونية فيها أداة [illegible] حربته في فلسطين المحتلة ، كما جاء في دراسة رياض معسعس المنشورة في هذا [illegible] وتحولت تلك الأداة التي حملت اسم « اسرائيل » من بعد الى قاعدة للاستعمار والامبريالية [illegible] الأقطار العربية النازعة الى التحرر والاستقلال والوحدة (كما جاء في مقال أمين هويدي) .

وعبر ذلك التاريخ لم يتوقف الشعب الفلسطيني عن العطاء ، فمن مظاهرات الاحتجاج الأولى وحتى أطول اضراب في التاريخ (١٩٣٦) ، ومن الاشتباكات مع أوائل المستوطنين الصهاينة و[illegible] الانتفاضة الأخيرة المجيدة ، ومن الحجر الى الرصاصة ، ومن الكفاح الجماهيري الى الكفاح المسلح [illegible] خاض الشعب الفلسطيني نضاله ضد هذه الحركة العنصرية التي ولدت من رحم [illegible] الاستعمار الأوروبي ، وكان كل جيل فلسطيني يبدع أشكال نضاله المناسبة [illegible] و[illegible] الرغم مما في الأمر من [illegible] فان الجيل الفلسطيني الجديد هو الجيل الذي [illegible] الكبير ، فصنع ثورة تنطق بالغضب [illegible] الحجارة الصماء . ومن هذه المسيرة المليئة بالبطولة [illegible] والعذاب كان [illegible]



من الاقتلاع إلى الصراع من أجل البقاء

٤٠ عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني

بقلم : الدكتور شفيق الغبرا*

منذ أربعين عاما تحول الشعب الفلسطيني من حالة المواطنة والاستقرار الى حالة اللجوء والشتات . وكلمح البصر سقطت آمال الاستقلال الوطني والمستقبل الحر ، لتطغى عليها حياة المنافي والبحث عن الوطن السليب . أما كيف أخرج الشعب الفلسطيني من بلاده ، وكيف تعامل مع نتائج الاقتلاع والتشريد ، فهذا ما ستحاول هذه المقالة توضيحه .

من أوائل نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، أي قبل ٤٠ يوما من اعلان قيام دولة « اسرائيل » ودخول الجيوش العربية الى فلسطين ، شنت القوات الصهيونية هجوما مسلحا كان جزءا من خطة عرفت بخطة داليت . وقد شملت منطقة الهجوم الساحل الفلسطيني والمناطق الاخرى الواقعة غرب القدس . وخلال نيسان (ابريل) ارتكبت مجزرة دير ياسين ، وهزمت القوات الفلسطينية القليلة العدد والضعيفة التدريب بعد استشهاد قائدها عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وسقطت مدن يافا ، وحيفا ، وطبريا وطوقت عكا . وقد نتج عن هذه المرحلة اقتلاع ما يقارب ٣٠٠ ألف مواطن فلسطيني من مدنهم وقراهم ، خرجوا بحالة فزع وهلع شديدين ، بعد رؤية ما حل بأبناء قرية دير ياسين . فقد تركت المجزرة أثرا نفسيا عميقا على مجتمع عربي أعزل من السلاح ، ينقصه الكثير من التنظيم بعد أن

* مدرس العلوم السياسية ـ جامعة الكويت

لرحمة أشكال القمع البريطاني على مدى ٢٨ عاما .
وبما لا شك فيه أنه لم تكن للفلسطينيين أية قوة عسكرية قادرة على تحدي أكثر من ٦٠ ألف جندي اسرائيلي تدربوا قبل وابان الحرب العالمية الثانية وتخرجوا في مدرستها القتالية .

ولقد حدثت تحولات مهمة في المجتمع الفلسطيني بعد تدخل الجيوش العربية في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، والتي ادخلت ما مجموعه ٢٧,٠٠٠ مقاتل لتواجه ٦٢ الف مقاتل صهيوني . إذ مع بداية الهدنة الأولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، يبدأ الفلسطينيون يعون أبعاد المخطط وحدود الامكانات العربية العسكرية والسياسية . كما أنهم رأوا ما حل باللاجئين الأوائل ، وشاهدوا بأعينهم كيف صدت القوات الاسرائيلية محاولات الكثيرين منهم للعودة . وهكذا قررت بقية أجزاء المجتمع الفلسطيني الاعزل ، وعلى الرغم من المجازر ، البقاء في قراها ومدنها ، لقد قرر الفلسطينيون لأول مرة منذ الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ طرد شبح دير ياسين ، حيا في الارض وخوفا من مصير مجهول .

وتشكل الاحداث الواقعة بمدينتي اللد والرملة ، في الفترة ما بين التاسع والثالث عشر من تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، مثالاً واضحا لبداية هذه المرحلة الحاسمة . فاستنادا الى الباحث الاسرائيلي بني موريس ، الذي درس الوثائق الاسرائيلية السرية الخاصة بالحرب ، والتي سمحت اسرائيل مؤخرا للباحثين بالاطلاع عليها ، شنت القوات الاسرائيلية هجوما بالمدفعية والطيران هدفه اخراج سكان المدينتين البالغ عددهم ٨٠ الف نسمة وفي اليوم الثالث للهجوم انسحبت أغلبية القوات العربية المرابطة في المدينتين والبالغ عددها ١٥٠ مقاتلا كما نجحت القوات الاسرائيلية ، حسب الوثائق الاسرائيلية نفسها ، باعتقال بعض وجهاء الرملة خارج المدينة مجبرة اياهم على توقيع وثيقة استسلام مقابل عدم مساس السكان بالاذى وبالفعل دخلت القوات الاسرائيلية المدينة ، وقامت قواتها باقتحام مدينة اللد التي استمر فصيل من الجيش العربي وعدد من سكان البلدة [illegible]
[illegible] . وعلى الرغم من [illegible] المجزرة رفض سكان اللد والرملة [illegible] وحسب ما أورده موريس ، فان هذا الوضع [illegible] في [illegible] من بين [illegible] الاستقلال [illegible] الوراد بطرد سكان المدينتين ، وتم وضع [illegible] من السكان بالشاحنات الاسرائيلية [illegible] وارغم [illegible] على البقية السير على أقدامهم ، [illegible] القوات الاسرائيلية [illegible] اللاجئين [illegible] ممتلكاتهم الشخصية وخلع [illegible] من أيدي النساء . ومات الكثير من الاطفال عطشا خلال رحلة السير الى الخطوط العربية . وقامت القوات الاسرائيلية ، ومنذ [illegible] العربية ، بعمليات اخراج السكان ، [illegible] . [illegible] بدأت القوات الاسرائيلية ، منذ شهر تموز (يوليو) ، الا في حالات استثنائية (الناصرة مثلا) ، وذلك نتيجة تردد القائد الاسرائيلي بطرد السكان) في الدخول الى القرى الفلسطينية الآمنة والقيام بقتل بعض الشباب في الساحات العامة وباغتصاب بعض الفتيات (في حالات محددة) وتهديد بقية السكان بمصير مشابه اذا لم يغادروا ، وبلغ عدد المجازر المرتكبة بحق المدنيين خلال الحرب ما يزيد على ٣٠ مجزرة من بينها مجزرة الدوايمة التي أودت بحياة ما يقارب ٢٥٠ مواطنا مدنيا فلسطينيا رمي الكثير منهم في آبار البلدة أو دفنوا بمغاراتها

ومع حلول اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٨ تحول ٩٠٠,٠٠٠ (تسعمائة ألف) فلسطيني من أصل ١,٤٠٠,٠٠٠ (مليون وأربعمائة ألف) الى لاجئين

ولقد شكل الفلسطينيون قبل الحرب ثلثي



● عجوز فلسطيني وجنود اسرائيليون . . هو الباقي وهم العابرون

السكان ، على الرغم من كل أشكال الهجرة اليهودية العلنية والسرية التي سهلتها بريطانيا وامتلك ن ٩٢٪ من الاراضي الفلسطينية ، ٩٪ من الاراضي المزروعة . أي أن الملكية اليهودية لم تتجاوز ٧/ من الأراضي الفلسطينية

مع نهاية الحرب ، وتوقيع اتفاقات رودوس احتلت « اسرائيل » ٧٧,٤٪ من أراضي ومياه فلسطين (٢٠,٨٥٠ كيلومترا) وخضعت بقية أراضي فلسطين ٢٣,٦/ أي الضفة الغربية والقدس الى حكم الأردن ، بينما خضعت غزة للادارة المصرية .

نتج عن هذه الحرب فقد الفلسطينيين لأراضيهم ومزارعهم ، وقراهم ومدنهم ، كما دمرت محلاتهم وبنوكهم . ومستشفياتهم ومدارسهم ، وأحزابهم ونواديهم ، أي أنهم فقدوا وطنا كاملا . أما دولة « اسرائيل » ، فقد أقرت فور قيامها ، حق كل يهودي بالهجرة لفلسطين ، بينما منعت الفلسطينيين بعد طردهم من ممارسة حقهم بالعودة . هكذا وإبان السنوات الأولى من قيام دولة جاء مئات الالوف من المهاجرين ليملأوا المدن والقرى والاحياء الفلسطينية الخاوية ، وليزرعوا الارض التي زرعها الفلسطينيون عبر القرون واستمرت « اسرائيل » بسياسة سحق كل ما هو فلسطيني ، فدمرت ٤٠٠ من القرى الفلسطينية في الاراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ ، لتقيم على أنقاضها المستعمرات والمتنزهات . وصدرت قوانين اسرائيلية بمصادرة كل أملاك اللاجئين ، كما سنت قوانين على مراحل صادرت فيها أغلبية أراضي الاقلية الفلسطينية التي استطاعت البقاء على الارض عام ١٩٤٨ ، وهكذا تحولت « اسرائيل » منذ انشائها الى أداة مهمتها تهويد

الارض والغاء الوجود الفلسطيني المشكك بشرعيتها ، وتحقيق حلم الدولة اليهودية القوية الممتدة والمسيطرة على العرب والفاصلة بين مشرقهم ومغربهم .

الرد على النكبة

في الايام والشهور الأولى من لجوء ١٩٤٨ انزوى اللاجئون الفلسطينيون يلعقون جراحهم وسط برد الشتاء في خيام أصبحت علامة لمأساتهم . ولكنهم وعبر دور مميز لعلاقتهم الاسرية والقروية والبلدية القديمة نجحوا باعادة تشكيل مجتمعهم . فبينما استطاعت « اسرائيل » أن تحيل وطننا كاملا الى حطام ، دمرت مؤسساته ، واقتصاده ، وبنيانه ، الا أنها لم تستطع أن تلغي روابط الدم والقرابة . فقام الفلسطينيون في الشتات وفي كل مراكز وجودهم باحياء روابط الدم وروابط القرية والمدينة الاصل ، وروابط الصداقة والمعرفة القديمة . ونتيجة لذلك بدأت تبرز شبكة هامة من المساعدة والتكافل الاجتماعي التي سهلت السفر ، والعمل والتعليم والتنقل لهذا الشعب المنكوب . ففي السنوات الاولى من النكبة كان هم الفلسطينيين توكيد قدرتهم على تحويل أسرهم وقراهم الاصلية الى حاضن اجتماعي كبير يعمل في ظل غياب المؤسسات والارض والوطن .

وقد شكلت مرحلة البحث عن لقمة العيش والعمل والانتاج مدخلا هاما لاستعادة التوازن في الذات الفلسطينية المحطمة . وبينما كان جيل الآباء في الاسرة الفلسطينية يعاني حسرة الغربة وتبعة فقدان الارض وفقدان ما بناه كدحهم وجهدهم خلال عقود من العمل ، كان جيل شاب يتحرك ليأخذ زمام الأمور بيده ، فيهاجر من الخيام الى المدينة ، ومن بلد عربي الى آخر ، من أجل اعالة اسرة ممتدة ، وارسال الأخوة والاخوات الصغار للمدرسة أو الجامعة .

علاقة جديدة مع الارض

ولكن المجتمع الذي نجح بحماية بناه الاجتماعية بعد النكبة لم تكن أبعاده لتتكامل دون الارض . فلا يوجد بناء اجتماعي بعيدا عن أرض مرتبطة به ، تتفاعل معه وتمده بأسباب البقاء والاستمرار . وبينما الارض سليبة ، أصبحت قوة الذاكرة والعاطفة ، أي قوة البعث الروحية وسيلة لحضور الأرض بين أوساط مجتمع النكبة . وهكذا ومنذ الايام الأولى للجوء ، كانت محاولات العودة للارض كبيرة .

ولكن « اسرائيل » تصدت لهذه المحاولات ، فالقت القبض على الكثير من الفلسطينيين ، قبل إعادة طردهم ، قتلت بعضا منهم وذلك للحد من ظاهرة التسلل عبر الحدود العربية بهدف العودة . وهكذا شكل هذا المانع للعودة بداية تجذر فكرة العودة المسلحة ، أي قيام الفلسطينيين بالعودة ومعهم السلاح للاشتباك مع القوات الاسرائيلية حينما تعترضهم .

وأخذت الارض بعد النكبة الكثير من المعاني المستمدة من واقع علاقة السكان التاريخية بها فهي ارض الاجداد وأرض الوطن ، أرض القرية المهدومة وأرض المدينة الاصل ، إنها أيضا أرض الانبياء وأرض الاسراء والمعراج . هي البيت والذكريات ، فيها قبور الآباء والاجداد التي فقدت زوارها ، إنها الجذور التي لاتحيا نبتة بدونها . وهكذا نقل الفلسطينيون حنينهم للارض وارتباطهم بها الى اطفالهم المولودين في الشتات ، فنشروا بين الاجيال الصاعدة قصص الحصاد والنبع ، وقصص التين والزيتون . وعلموهم أخبار القرية والاسرة والبيت المهدوم . هكذا رسمت الذاكرة ، الارض الفلسطينية ، فبعثتها حية بناسها وعلاقاتها ، بأفراحها وأحزانها

الكفاح المسلح

ولكن التماسك الاجتماعي والارتباط بالارض لم يكونا كافيين وكان لابد من محور جديد ذي أبعاد كفاحية سياسية ، تسهم في رحلة العودة لفلسطين . ورغم أن جذور هذا المحور تعود لاعلان الكفاح المسلح الفلسطيني عام ١٩٦٥ ، الا أن حرب ١٩٦٧ وسقوط بقية فلسطين (غزة ، والضفة الغربية

[illegible] في الضفة و« اسرائيل » ترك الأثر الأكبر في [illegible] الصهيونية . وبخلاف [illegible] حركة الكرامة عام [illegible] التعذيب الانتقالي ضد [illegible] استطاعت [illegible] التحرير الفلسطينية [illegible] الفلاحين الى قضية شعب (داخل [illegible] الارض المحتلة) يسعى لنيل حقه في تقرير المصير . [illegible] بمثل للمجتمع الفلسطيني دائرة العودة الى جغرافية السلم السياسية . فالبناء الاجتماعي [illegible] ، وتحرير الاسرة ، وأهمية العمل ، والتعليم [illegible] والعلاقة مع الارض ، تحولوا جميعا الى فعل سياسي في أبعاد نضالية تحررية . فاصبح المجتمع المرتبط بنفسه ، وتاريخه ، وأرضه ، مضطرا للحفاظ على وجوده عن طريق بناء مؤسسات ، ومنظمات ، واقتصاد ، وجيش ومراكز بحث ، وادارات . أي أصبح ذلك المجتمع غير القادر على [illegible] عن حكومة يتجاوز بناء المؤسسات والبنى التي [illegible] في الوصول الى دولة خاصة به على أرضه .

[illegible] مرت الحركة الوطنية الفلسطينية ـ بمختلف [illegible] ـ بالكثير من النكبات . واصطدمت العلاقة [illegible] القيادة السياسية لعبور الحدود باتجاه فلسطين ، ومنطق الدولة المحاذية « لاسرائيل » ، التي تمتلك حسابات خاصة حول اولويات الصراع ومصادرها عليه ، وهكذا دخلت حركة التحرر الفلسطينية المتبلورة في الشتات ، في صدامات ومعارك جانبية دامية استنزفت جزءا هائلا من قواها .

من المنفى الى الارض :

وبينما استمرت نضالات الشعب الفلسطيني ، خارج وداخل الارض المحتلة ، تصاعدت محاولات تهويد الارض المحتلة ١٩٦٧ ومصادرتها ، (٤٠٪ من الارض أصبحت مملوكة للاستيطان الاسرائيلي) وانشاء عشرات المستعمرات الجديدة ، ومد شبكة الاتصال والطرق المرتبطة بالاحتلال ، وربط اقتصاد الارض المحتلة باقتصاد « اسرائيل » ، وقمع صوت الحركة الوطنية الفلسطينية بالداخل

ولكن ، وهنا تكمن المفارقة التاريخية المؤلمة . فبينما سعت « اسرائيل » لابتلاع بقية فلسطين عبر موجة استيطانية جديدة في الضفة الغربية والقدس وغزة ، وقفت عاجزة عن هضم النتائج السياسية لاحتلالها ، ففي غمرة التركيز على الضم والتهويد والالحاق في الضفة الغربية والقدس وغزة ، حولت « اسرائيل » بالعمل الفلسطيني المقاوم الى واقع ترتسم ملامحه المستقبلية داخل أحشاء الكيان الاسرائيلي عوضا عن أن ترتسم على حدوده الشمالية حيث يسهل الانقضاض عليها بين الحين والآخر . وكما هو حال الحركة الصهيونية ، التي ربطت المستعمرة بالاقتصاد ، والايديولوجية بالزراعة ، تربط الحركة الفلسطينية في الداخل ، بنجاح واضح ، بين الفكر والممارسة ، بين الارض والاقتصاد . فالمسرح (مثل مسرح الحكواتي وغيره) ، وفرق الغناء الوطني والصحافة ، ومراكز البحث ، والمستشفيات ، والجامعات والمدارس ، والنقابات ، والمنظمات ، والمساجد ، وأشكال العمل التطوعي ، جميعها متجذرة بواقع السكان وحاجاتهم المرتبطة بالمشروع البديل للاحتلال . وعلى مدى السنوات القاسية وعبر الصمود في البيت ، والحقل ، والمصنع ، تعلم الفلسطينيون كيف يعملون في مصنع العدو ويواجهونه . وكيف يزرعون الارض ليعززوا الصمود . وكيف يبنون مؤسسة ، وناديا ، وجمعية ، ونقابة ، وتنظيما ، وجامعة ، تعمل جميعها تحت الاحتلال وتقاومه . هذا النمو الصامت الفاعل ، يمتد ويتشكل ، ليتداخل مع كل مشكلات الانسان المضطهد الذي يقبع تحت الاحتلال

لقد أدى هذا الوضع القائم بداخل الارض المحتلة عام ١٩٦٧ ، والتداخل مع تعثر تجربة الكفاح الفلسطيني بالخارج ، حيث المخيم المحاصر ، والمنظمة الملاحقة ، والشعب المنفي ، الى احتقان الوضع الفلسطيني في الداخل وبداية الانتفاضة العارمة المنطلقة في ٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ فالاعوام من ١٩٨٢ الى ١٩٨٧ ، والتي تلت غزو « اسرائيل » للبنان ، وما رافقها من مجازر

وانقسامات وشتات جديد ، وضعت الفلسطينيين في وضع هو أقرب لخيام الهزيمة التي نصبت لهم قبل أربعين عاما . وهكذا جاء هبوط ما بعد ١٩٨٢ بعد مرحلة طويلة من ارتفاع الآمال (في الاعوام ١٩٦٨ - ١٩٨٢) ليخلق أرضية أساسية لانتفاضة الفلسطينيين الكبرى على الاحتلال .

الانتفاضة : مرحلة تاريخية مهمة :

لقد ادخلت انتفاضة الارض المحتلة الصدام التاريخي ، بين المشروع التهويدي الاخلاقي والمشروع الفلسطيني الاستقلالي ، مرحلة استقطاب وصراع جديدين . فكما أرست معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ بداية علاقة جديدة ، بين الشعب المشتت من أرضه والصهيونية المستوطنة للارض (أساسها العنف المسلح القادم من الشتات) ، أرست الانتفاضة الفلسطينية بداية علاقة جديدة ، أساسها المواجهة بين قوة الاحتلال المدججة بالحديد والسلاح ، وقوة الشعب المحصنة بالايمان والانتماء . وبهذا التشكيل الجديد للعلاقة بين سلطان السلاح وسلطان الايمان ، قطعت فلسطين أشواطا مهمة من المسافة الواقعة بين الاستعباد والتحرر . فمنذ اللحظة التي أقام الفلسطينيون متاريسهم الجماعية الاولى ، ورأوا كيف يتقهقر الاحتلال لدقائق أو لساعات أمام حجارتهم ، اكتشفوا لانفسهم وجودا جماعيا جديدا ، وقوة كامنة مصدرها وعيهم لآفاقها وامكاناتها . فامسكوا حلقة مهمة في لحظة تاريخية قائمة ، ليعيدوا عبرها تشكيل روح المجتمع الفلسطيني والعربي برمته . لقد حطموا اغلالا مكونة من الخوف والرهبة ، وكسروا حواجز أقامها لنا العدو في قلوبنا . لقد بدأوا برسم ألوان لحياة مستقلية فلسطينية - عربية جديرة بهم .

إن فلسطينيي الارض المحتلة الذين أعادوا للتحرر الفلسطيني نبضه ، المتصدرين لمهمة حل ازمة الثورة الفلسطينية المعاصرة ، والمستندين على بنية اجتماعية مؤثرة ، هم أكثر الفلسطينيين وعيا باشكال العمل النضالي الفعالة . لقد تعلموا الكثير على مدى العشرين عاما الماضية . إنهم الاكثر معرفة بالعدو لذا فانهم لايخشونه . وبينما هم ، الاعلم ، من بين كل الفلسطينيين بنقاط ضعف منظمة التحرير الفلسطينية ، هم الاكثر تمسكا وارتباطا بشرعيتها ، فهم الاعلم بان جسر تقرير المصير والدولة الفلسطينية لايمكن أن يمر الا عبر تنميتهم ومساهمتهم بالكيان الفلسطيني المتكامل الاطراف والفارض للمسألة الفلسطينية كقضية شعب موحد بالداخل والخارج . فلا تحرر من دون اداة وطنية للنضال ، تترجم الاضراب ، والعصيان والثورة ، الى لغة تحررية عربية عالمية الابعاد .

آفاق جديدة

على مدى أربعين عاما قطعت مسيرة الفلسطينيين من أجل البقاء أشواطا كثيرة . ومن الانتكاسات والهزائم خرجت الموجات الفلسطينية المكافحة للصهيونية . ففي البداية كان اللجوء ، ثم الرد على اللجوء بالسعي للحفاظ على التماسك المجتمعي واحياء الذاكرة الخصبة . ثم جاءت موجة التحرر الوطني والكيانية الفلسطينية التي جمعت الفلسطينيين حول ممثل شرعي هو الأول لهم منذ اقتلاع ١٩٤٨ .

وقد واجهت الحركة الوطنية الفلسطينية نكسات ومآزق كبرى . ولكنها ونتيجة لانتفاضة الارض المحتلة التاريخية ، اكتسبت بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بعدا جديدا وآفاقا مهمة ، أساسها انتقال مركز ثقل الحركة الوطنية الفلسطينية الى الارض المحتلة ، أي الى داخل احشاء الكيان المحتل .

ان قصة الفلسطينيين التاريخية ، التي بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر ، هي قصة الحرمان من تقرير المصير . هذا الحرمان المرتبط بالاقتلاع والسحق والمعاناة ، قد شحن العاطفة ، والذاكرة والارادة وخلق جدلا فلسطينيا خاصا بالصراع .

فأينما تكون « اسرائيل » فإن فلسطين تسعى لاثبات حضورها . وحيث يرفع العدو علمه يرفع الفلسطينيون أعلامهم . وأمام ارادته تنمو اراداتهم . إن صهيونيته ثبتت فلسطينيتهم وعنصريته عمقت عروبتهم . □



الجيل الفلسطيني الجديد تحت الاحتلال

بقلم : توفيق أبوبكر

[illegible]

[illegible] بعد حرب حزيران [illegible] ١٩٦٧م على الجنود الإسرائيليين المدججين بالسلاح ، وهم يجوبون مدنه وقراه ، باحتيال وعنصرية ، ينصبون الحواجز ، ويعتقلون العشرات ، ثم ينطلقون بسياراتهم العسكرية إلى مواقعهم الحصينة وقواعدهم ، وكبر هذا الجيل على الوعود العربية بالزحف المقدس الذي لم يأت بعد ، وسمعوا من آبائهم كيف انتظروا المارد العربي الجبار ، بعد النكبة الأولى ، وبعد الخروج الكبير عام ١٩٤٨ ، وكيف تركت ربات البيوت في مدن فلسطين وقراها كل شيء على حاله في المنزل ، على أمل العودة ، بين عشية وضحاها ، كما تقول كل الاذاعات العربية التي لايمكن أن تتفق جميعها مرة واحدة ، على قول ما لا يمكن (وما لايريدونَ)

سمع الفتيان تلك الحكايات المرة كالعلقم من آبائهم ، واختزنوها في ذاكرتهم ، ولما كبروا رأوا أن التاريخ يوشك أن يعيد نفسه معهم ، فقرروا ألا ينتظروا الفرج من الخارج ، وقرروا أن يحملوا العبء على أكتافهم .

تقول الطالبة حميدة من جامعة بير زيت : « لقد فهمنا في وقت مبكر أنه إذا أردنا تحرير وطننا فلا بد أن نضحي بأنفسنا . معظم رفاقي دخلوا السجن ، ولم يعد ذلك يرهبهم » وفي ندوة عقدت بالعاصمة الأردنية في ديسمبر ١٩٨٦م ، بدعوة من منتدى الفكر العربي وجامعة القدس المفتوحة ، قدم د . منذر صلاح رئيس جامعة النجاح الوطنية الذي أبعدته سلطات الاحتلال ، بحثا عن التعليم في

الأراضي المحتلة . وفي النقاش الذي أعقب المحاضرة قال د . صلاح « إن الجامعة كانت تعفي الطلاب الذين دخلوا السجون أثناء دراستهم الثانوية من الأقساط الجامعية ، وتبين أنه لا بد من تنظيم دقيق لهذه العملية ، إذ أن أكثر من نصف الطلاب سبق لهم أن دخلوا سجون الاحتلال فترات متفاوتة » .

ولذلك ، وحتى تصبح شخصية طلابية قيادية ، لايكفي أن تحمل كل صفات القائد الطلابي المتعارف عليها في الجامعات ، بل لا بد أن يكون لك رصيد آخر ، وهو قضاء بضع سنوات في زنزانات الاحتلال الصهيوني وسجونه حتى تقبل بك جموع الطلاب والطالبات قائدا نقابيا .

شروط القياديين

والاستفتاء الشهير الذي أجرته صحيفة الفجر المقدسية وشبكة التلفاز الاسترالي ، وإحدى الصحف الأمريكية ، وأشرف عليه د . محمد شديد ، من جامعة النجاح في آب ١٩٨٦م ، يوضح الحجم الهائل للثمن المباشر الذي يدفعه السكان في الداخل الذين قرروا حمل العبء منفردين ، لمقاومة الاحتلال . وقد كان السؤال الخامس والعشرون الذي طرحه الاستفتاء على عينة من ١١٠٠ شخص ، من مختلف المدن والقرى والمخيمات في الضفة الغربية ، ومن مختلف الشرائح الاجتماعية . هو : هل تعرضت أنت أو أحد أفراد أسرتك لأي من الاجراءات التالية :-

١ - اعتقال سياسي : ٤٧,٥ ٪
٢ - ضرب أو معاناة جسدية أو تهديد من قبل السلطات « الاسرائيلية » : ٥٠,٧ ٪
٣ - منع السفر : ٣٤,١ ٪
٤ - إبعاد أو إقامة جبرية : ١٥,٧ ٪
٥ - مضايقات أو إهانات مباشرة على الحواجز : ٥٥,٧ ٪
٦ - منع التجول : ٧٤,٢ ٪
٧ - هدم أو إغلاق منازل : ١٧,٦ ٪
٨ - غرامات مالية : ٣٧,٦ ٪
٩ - مصادرة أراضي أو أملاك من قبل السلطات « الاسرائيلية » : ٢٢,٨ ٪
١٠ - لم أتعرض لأي إجراء : ٦,٣ ٪

لو قرر السكان - والجيل الجديد هو طليعتهم القيادية - أن ينتظروا عملا من الخارج ، لتحرير أرضهم وإرادتهم ، لما كانوا مضطرين لمثل هذه المقاومة العنيدة التي دفعت الغالبية الساحقة منهم ثمنا مباشرا لها ، كما أوضحت نتائج الاستطلاع التي وردت في السؤال السابق ، وبخاصة أن الاحتلال كان مستعدا لو ابتعد الناس عن مثل هذه المقاومة أن يكون معهم « ليبراليا » إلى أقصى الحدود ، للتباهي بالصورة « الديمقراطية » المخادعة « لاسرائيل » أمام العالم ، وكذلك من أجل دفع بروز قيادات جديدة شابة ، تتعامل مع الواقع الجديد ، وتذعن لمعطياته ، وتقبل بالأمر الواقع .

اتساع الهوة

وقد كان بعض الاستراتيجيين في الكيان « الاسرائيلي » يراهنون طول الوقت خلال السنوات العشرين الماضية أن يكون الجيل الجديد الذي عاش في رحاب الاحتلال أكثر واقعية ، (بالمعنى « الاسرائيلي » لهذا التعبير) ، وأن يقبل التفاوض والتعايش بالشروط « الاسرائيلية » ، وقد أوضحت حقائق الحياة أن شيئا من تلك النبوءات لم يتحقق .

تقول احدى الاعضاء في هيئة الحقوق المدنية في « اسرائيل » : « خلال عشرين سنة نما جيل (فلسطيني الاحتلال) ، وجيل (يهود الاحتلال) ، والنتيجة مذهلة عند الطرفين ، إذ تزداد الهوة اتساعا مع مرور الزمن » .

هذا الجيل الجديد ليس جيل الشعارات الكبيرة التي تميز بها تاريخ الحركة الوطنية السابق ، بل هو جيل عرف ثغرات عدوه ، وحاول خوض معاركه للنفاذ من هذه الثغرات .

وأهم الثغرات التي بات الجيل الفلسطيني الجديد في الأرض المحتلة يركز عليها هي (الأزمة التي تعيشها « اسرائيل ») ، أقصد الأزمة المستقبلية

المعلنة بمخاطر التوازن السكاني « الديمغرافي » ، فالنظرية الأساسية الصهيونية التي حاولت تسويقها للدول العالمية، هي ضرورة بناء دولة خاصة لليهود : « دولة يهودية صافية لا يلوثها الغرباء » .

كيان يقول عنها هرتزل ، مؤسس الصهيونية السياسية : « دولة يهودية مثلما فرنسا فرنسية وكنتاكي أمريكية » لكن استمرار الاحتلال لأكثر من مليون ونصف مليون فلسطيني ، يتكاثرون بمعدل ضعف التكاثر اليهودي ، إضافة لسبعمائة ألف فلسطيني مزروعين في المثلث والجليل والنقب داخل الكيان « الاسرائيلي » ، فكل ذلك يهدد يهودية الدولة مع نهاية هذا القرن ، وبخاصة مع ازدياد منسوب الهجرة المعاكسة (النزوح من اسرائيل) . ومع نضوب منابع الهجرة اليهودية لفلسطين المحتلة ، نضوبا لا يكاد يكون كاملا ، باستثناء بضع مئات يفدون من الاتحاد السوفيتي ، ومن الدول الأوروبية .

الأزمة في نظر الجيل الجديد

الجيل الفلسطيني الجديد يعرف جيدا هذه الأزمة العامة التي تعيشها « اسرائيل » ، فقد تحدثوا عنها جميعا بمناسبة مرور عشرين عاما على الاحتلال ، ولذلك يصعد نضالاته مستشرفا آفاق المستقبل بالكثير من الطمأنينة ، إذ ليس أمام الأعداء في نهاية المطاف إلا التسليم بالانسحاب ، أو ضم هذه المناطق وإعطاء السكان الجنسية « الاسرائيلية » ، لتصبح الدولة دولة ثنائية القومية ، وهو أبعد ما يكون عن دولة يهودية ، كما أرادها الآباء المؤسسون الأوائل ، أما الاحتمال الثالث وهو طرد العرب الفلسطينيين من أراضيهم ، فهو احتمال أمامه صعوبات لا حصر لها ، فإبعاد أربعة مناضلين في يناير الماضي دعا مجلس الأمن للاجتماع ، وأحدث ضجة دولية واسعة . فكيف سيكون الأمر مع ابعاد مئات الآلاف من وطنهم ؟!

هذا احتمال لم يعد ممكنا ، طالما أنه لم يتم عشية حروب حزيران ١٩٦٧م . فالمأزق الديمقراطي سيحيول « اسرائيل » لنموذج جنوب افريقيا في المستقبل القريب ، بل إن الانتفاضة الوطنية المجيدة قد أظهرت تلك الدولة العبرية بشكل صريح مكشوف ، وكأنها النموذج الأكثر عضا من نموذج جنوب افريقيا .

يقول المفكر « الاسرائيلي » « حيدي تسيمح » : « الآن يولد في البلاد عرب أكثر من اليهود ، وفي غضون ثلاثين عاما ستصبح مثل جنوب افريقيا ، حيث تكون هناك أكثرية عربية ساحقة ، لقد قال موشي أرينز أنه مستعد لمنح سكان المناطق الجنسية « الاسرائيلية » ، وهذا يعني تسليم تل أبيب وبيت ألفا وصناعة الطيران إلى أيدي العرب . إن غباء سياسيينا يكمن في أنهم لايعرفون أن هناك مشكلة على بعد دقيقتين ، ولا يفقهون شيئا في ديناميكية الزمن » .

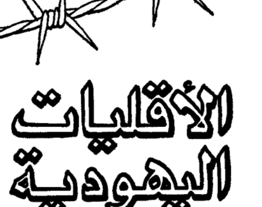
لكن شموخ الانتفاضة الوطنية الباسلة وعظمتها أنها اختصرت الثلاثين عاما التي تحدث عنها المفكر « تسيمح » ، وجرت المشكلة التي هي على بعد دقيقتين ، لتصبح مشكلة راهنة ، وتصبح « اسرائيل » في نظر العالم كله وفي نظر الرأي العام العالمي « جنوب افريقيا » جديدة ، كما تكتب كل يوم غالبية صحف العالم في القارات الخمس .

شمعون بيريز يصف الادانة الدولية الكاملة للكيان « الاسرائيلي » من خلال صور التلفاز للقمع الصهيوني لأطفال الحجارة ، ويقول بحسرة وألم .

« لقد انتصر التلفاز على الدبابة » ، لكن في الحقيقة أن إرادة الانسان العربي في فلسطين هي التي انتصرت على « اسبارطة » المسلحة بالتقنية الامريكية حتى الأسنان . تقول المحامية الاسرائيلية فيليسيا لانجر في كتابها (رجال الحجارة) :

« في آخر القرن العشرين زمن لا يعقل أن يظل فيه بروميثيوس راسخا في القيد » بل لعل هذا هو الاستنتاج الأساسي لدروس الحجارة التي تقصم ظهر آخر القلاع العنصرية في عالمنا المعاصر . □□





الأقليات اليهودية

وظهور الرأسمالية في العالم

بقلم : الدكتور عبدالوهاب المسيري

لم يكن ليهود أوروبا وجود متجذر في المجتمعات التي عاشوا فيها ، بل كان وجوداً عائماً ، يعيش على الإختلافات بينها . وعندما تحولت المجتمعات الأوروبية إلى المرحلة الرأسمالية كان للمال اليهودي دور خاص يلقي عليه الكاتب بعضاً من الضوء .

يمكن القول بشكل عام أن يهود العالم العربي والإسلامي لم يلعبوا دورا اقتصاديا متميزا ، ولم يضطلعوا بوظائف اقتصادية خاصة مقصورة عليهم دون بقية أعضاء المجتمع ، ولذا فإنهم لم يلعبوا دوراً خاصاً أو متميزاً في نشأة الرأسمالية أو في المشروعات الرأسمالية الحرة في العالم العربي الإسلامي ، خاصة أن البلاد العربية والإسلامية التي أسست نظاما اقتصاديا يتبع نموذج الاقتصاد الحر (مثل تركيا ودول الخليج ولبنان) لم يكن فيها أقليات يهودية كبيرة ، وحتى حين وجدت ، كما هو الحال في المغرب ، فهي لم تسهم بشكل خاص في تاريخ المغرب الاقتصادي . هذا التعميم لاينفى بطبيعة الحال وجود أي شكل من أشكال التميز بين الأقلية اليهودية والأغلبية ، فهذا ضد طبيعة الأشياء .

سومبارت وفيبر

لكن الوضع في العالم الغربي يختلف بشكل جوهري . ويرى العالم الألماني فرنر سومبارت (١٨٦٣ - ١٩٤١) ان ثمة علاقة قوية بين أعضاء الطوائف اليهودية في الغرب (خاصة يهود المارانو) ، وظهور الرأسمالية وتطورها . ويقدم سومبارت أطروحته في مقابل أطروحة ماكس فيبر فقد وصف فيبر اليهودية القديمة بأنها كانت ديانة فريدة في العالم القديم لعقلانيتها وعدم تأكيدها لأهمية السحر أو الأسطورة ولتوجهها الدنيوي (في مقابل الديانات الشرقية الأخرى) . وبتأكيد تحكم الإنسان في مصيره وبيئته . وكل الصفات الآنفة تبين أن اليهود قد ظهرت بينهم روح الإنجاز . ويرى فيبر أن ثمة علاقة واضحة بين روح الإنجاز وإحساس

الإنسان بالتحكم في مصيره وبيئته من جهة وتوجهه نحو المستقبل من جهة أخرى ، وهي أحد العناصر الأساسية التي تؤدي إلى التراكم وظهور الرأسمالية ، ومع هذا لم يجد فيبر سوى علاقة واهية غير مباشرة بين الأخلاق اليهودية وروح الرأسمالية (ثم كتب دراسته الشهيرة عن علاقة الأخلاق البروتستانتية بروح الرأسمالية التي طرح فيها تصوره للعلاقة الوثيقة بينهما) .

يرى سومبارت ، على عكس فيبر ، أن الأخلاق اليهودية أكثر علاقة بالرأسمالية من البروتستانتية . فاليهودية لا تحرم التجارة وإنما قامت بتنظيمها ، بل وتشجيعها وقد أبدت اهتماما خاصا بالأعمال المالية من أجل تحقيق الربح . ولا يوجد في اليهودية أخلاقيات أخروية أو غير دنيوية ، ولا تشجع على الزهد (ويمكن أن أضيف أن عدم استقرار فكرة البعث في اليهودية والفكر الأخروي بشكل عام قد شجع الاتجاهات الدنيوية) . وتشجع اليهودية الاعتدال والتحكم في الذات ، والتعبير عن العواطف والدوافع من خلال قنوات معترف بها دينيا ، مما كان يعني في واقع الأمر تحويل طاقات حيوية هائلة للنشاطات الاقتصادية (ماهو في الواقع تحقيق الربح ؟ ليس الترشيد الاقتصادي سوى تطبيق تلك القواعد التي صاغت الديانة اليهودية من خلالها حياة اليهود على النشاطات الاقتصادية ، كما قال سومبارت) .

ويمكن أن نضيف أن اليهودية قد حرمت الاقراض بالربا بين اليهود ولكنها أحلته بين اليهودي وغير اليهودي مما فتح الباب على مصراعيه لليهود للاشتغال بالأعمال المالية . وبتراكم رأس المال (وقد رأى سومبارت هذه الأخلاق على أنها ذات « روح سامية » في مقابل الروح الآرية ، ولذا استفاد النازيون من كتاباته) .

وأطروحة سومبارت متطرفة بسبب عموميتها ، فهو يحاول أن يفسر تجربة الأقليات اليهودية الاقتصادية في الغرب استنادا للنسق الديني . وهو نسق يحتوي كل العناصر التي أشار إليها ، ولكنه يحتوي أيضا على عكسها . فاليهودية ، خاصة في كتب الأنبياء تحتوي على أخلاقيات اشتراكية متطرفة ـ إن صح التعبير ـ كما أن مفهوم اليوبيل الخاص بتوزيع كل الأراضي كل خمسين عاماً يمنع أي تراكم للثروة إن طبق . وتعطى اليهودية الحاخامية مرتبة دنيا للتجارة ، فالشخصية الأساسية في الجيتو لم يكن التاجر وإنما كان العالم التلمودي الذي يدرس التوراة . ولو كان النسق الفكري الديني هو الذي يفسر الدور الاقتصادي لكان دور يهود الاقطار العربية يشبه دور يهود وسط أوروبا في القرن التاسع عشر . ولكن الأمر عكس ذلك تماما .

ولكن مع هذا ثمة عنصرا من الصحة في أطروحة سومبارت . فالنسق الديني اليهودي (في صياغته الأولى ثم في صياغاته التلمودية) يخلق ترابطا اختياريا بين اليهودية والرأسمالية لايمكن إنكاره ، وهو ترابط يخلق تربة خصبة يمكن للرأسمالية كأخلاق وكنسق أن تنمو فيها . ولكن لعل العنصر الحاسم في تحديد العلاقة بين أعضاء الطوائف في أوروبا وظهور الرأسمالية هو علاقتهم بالمجتمع الغربي ودورهم فيه . وأهم سمات هذه العلاقة هي أن موقع اليهودي ظل خارج علاقات المجتمع الاقطاعي الاقتصادية والدينية والأخلاقية ، فكان شخصا غريبا بمعنى الكلمة فقد كان يهوديا في مجتمع مسيحي ، وعضـوا في طبقـة وسيـطة لاتنتمي لا للمستغِلين ولا للمستغَلين .

وقد اضطلع أعضاء الطوائف حتى بداية عصر الثورة التجارية ، بدور تجاري هام رغم هامشيته فكانوا يقومون بنقل الفائض الزراعي والسلع الترفية ، ويؤدون وظائف مالية وتجارية مختلفة في غاية الحيوية للمجتمع الإقطاعي ومع هذا فهي لاتقع في صميم العلاقات الإنتاجية لهذا المجتمع ، ولم يكن بوسع بقية أعضاء المجتمع القيام بها . وقد كان يتم « التسامح » تجاه اليهود طالما أن المجتمع كان في حاجة لهم ، ولكنهم لم يعطوا قط حقوقاً قانونية محددة مثل حقوق وواجبات أهل الذمة في الإسلام . وكانت تصدر مواثيق خاصة تؤمن حقوقهم وتحدد واجباتهم

ومقدار الضرائب المفروضة عليهم وأماكن إقامتهم . وكانت هذه المواثيق تلغى في أي وقت تنتفي فيه الحاجة لليهود أو لدورهم الاقتصادي ، فكان بالتالي يتم طردهم . وكان يشار لليهود على أنهم « أقنان بلاط » ، أي أنهم كانوا خاضعين للملك أو الامبراطور مباشرة بل ويعدون ملكية خاصة له يدينون له وحده بالولاء الأمر الذي حقق لهم قسطا كبيرا من حرية الحركة ، ولكن زاد من عزلتهم عن بقية قطاعات المجتمع .

الحركي والثابت

وقد نتج عن ذلك أن وجود اليهود في الحضارة الغربية كان يتسم بعدم التجذر أو الإنتماء الكامل لأي تشكيل ثقافي أو طبقي محدد فتحولوا إلى عنصر بشري دينامي يحتفظ برأسماله على هيئة نقود سائلة يمكن نقلها بسهولة من مكان لآخر . وقد دعم من هذا الاتجاه أنه كان لايسمح لليهود في معظم الأحوال بشراء العقارات الثابتة .

إن اليهود لغربتهم وعدم تجذرهم وبسبب الطبيعة السائلة لثروتهم تحولوا إلى عنصر بشري متحرك موضوعي ومجرد ، موضوعي لأنه ينظر له دائما من الخارج ، ومجرد لأنه لا يوجد داخل سياق محدد ، وأصبح أعضاء الطائفة يجسدون ضربا من الاقتصاد الحركي المجرد داخل الاقتصاد الزراعي الثابت الطبيعي . وقد وصل هذا التجريد إلى قمته في التنظيم الكامل لعلاقة اليهود بالمجتمع ، وفي احلال العلاقات القانونية التعاقدية محل العلاقات التقليدية الشخصية المبنية على كلمة الشرف والثقة التي كانت سائدة في المجتمع الاقطاعي . فكانت المواثيق التي تمنح لليهود تحاول أن تنظم كل جوانب العلاقات الممكنة بين المجتمع المسيحي وأعضاء الطائفة ، وهي علاقة كان الهدف منها ، بالنسبة للطرفين ، الربح الاقتصادي المحصن . وفكرة القانون اللاشخصي وتموضع العلاقات البشرية (علاقات إنسانية بين أشياء وعلاقات إنتاج بين بشر) هو الجوهر النفعي للاقتصاد والمجتمع الرأسماليين .

لكن هذا ، أي عدم انتماء اليهود وتموضعهم وتجريدهم ، إلى جانب وجود التبادل الاختياري بين اليهودية والرأسمالية تحول أعضاء الطائفة الى الخميرة التي ساعدت على نشوء الرأسمالية ، دون أن يكونوا بالضرورة السبب الوحيد أو حتى الأساسي في العملية التاريخية المركبة التي أدت الى ظهور الرأسمالية .

ويظهر دور أعضاء الأقليات اليهودية كخميرة للنظام الرأسمالي في الغرب في كثير من النشاطات التي لعبوها وفي إبداعاتهم ، فهم كانوا من أوائل من طوروا فكرة الأسهم والسندات التي تحقق تراكما رأسماليا يمكن توجيهه لأي مجال استثماري قد يظهر ؛ أي أنهم أسرعوا بعملية تجريد النقود بفصلها عن الأفراد وعن الرغبات البشرية والعواطف والأخلاق ، وزادوا من كفاءتها كرأسمال ، وجعلوا مقياس الكفاءة الذي يطبق عليها هو معدل الربحية وحسب .

واليهودي الذي تم استبعاده من النظام الإقطاعي كان يقع خارج نطاق قيم المجتمع الدينية والأخلاقية ، كما أن قيمه التجارية الموضوعية المجردة كانت مختلفة عن القيم المسيحية التي كانت تنظر بعين الشك للنشاط التجاري ككل وللربا على وجه الخصوص ، وتهدف إلى أن تجعل من السوق مكانا يلتزم بالحد الأدنى من الأخلاق ، وبأفكار مثل فكرة الثمن العادل والأجر الكافي ، وضرورة إتاحة الفرصة لكل التجار لتحقيق ربح معقول مع وضع حد أقصى للأرباح، وقد أدت هذه الأخلاقيات (المختلفة من منظور رأسمالي دنيوي) التي تخلط بين الاقتصاد والأخلاق إلى الحد من دينامية التجارة . أما العنصر اليهودي فلم يكن يدين بالولاء لمثل هذه الأخلاقيات ولذا لعب دوراً أساسيا في تحطيمها وفي تقويض دعائم هذا الضرب من الاقتصاد المحافظ الذي تتداخل فيه العناصر الاقتصادية بالعناصر الأخلاقية والدينية . فأسهم أعضاء الطائفة في عملية العلمنة والترشيد ، أي فصل العنصر الاقتصادي عن العناصر الأخرى ، بحيث ظهر اقتصاد تجاري مبني على التنافس،وعلى محاولة تعظيم الربح ويطرح فكرة

إشباع حاجات المستهلك والاستيلاء على نقوده كمثل أعلى .

كما كان أعضاء الطائفة - بسبب عدم انتمائهم - من أكثر العناصر حركية والتزاما بقوانين السوق الاقتصادية كقيمة مطلقة . فنجد أنهم حاولوا دائما أن يوسعوا من نطاق السوق ومن انتشاره (وهي العملية التي انتهت إلى تحويل المجتمع بأسره إلى النمط الرأسمالي والتي أطلق عليها ماركس عملية « تهويد المجتمع ») . فكانوا دائما يبحثون عن أسواق جديدة وعن زبائن جدد وعن سلع جديدة ، كما انهم كانوا على استعداد لأن ينتجوا سلعا أقل جودة وأقل تكلفة مما كان ينتجه الحرفي أو التاجر في العصر الوسيط الذي كان يعتز بحرفته وتجارته ، ونعود على انتاج سلعة بعينها يرقى بها إلى مستوى معين من الجودة . لايمكنه أن يتنازل عنه أو يتهاون فيه ، فحرفته كانت جزءاً من ميراثه الشخصي .

بشر عابرون للقارات

ولعل من العناصر الأساسية التي جعلت من اليهود خميرة للنظام الرأسمالي أنهم كانوا عنصرا بشريا « عابرا للقارات » إن صح التعبير ، فكان يهود بولنده على علاقات تجارية ومالية وثيقة مع يهود ألمانيا ، ومع يهود الشرق ، وهكذا . وقد أسهم هذا في تسهيل عملية التجارة الدولية وتوسيع نطاق السوق . كما أنه سهل عملية جمع المعلومات التجارية ، مما جعلهم قادرين على المنافسة .

وقد لعب يهود شرق أوروبا (بولنده) دورا خاصا . فالباعة اليهود ، وكذا اليهود الذين كانوا يقومون بأعمال الفنادق الصغيرة وتقطير الكحول وتربية الماشية في المناطق الريفية وجمع الضرائب (الأرندة) لحساب كبار الملاك ، ساعدوا على إدخال عناصر التبادل واقتصاد المال وكان نشاط صغار التجار اليهود في المناطق الريفية يشجع انتاج فائض زراعي لزيادة استهلاك البضائع غير الزراعية ، كما كان يسهم في إبعاد جزء من قوة العمل الزراعي عن الأراضي ، وتوجيهها إلى صناعة الأكواخ المنزلية وخدمات النقل ، وهذا النشاط هو الذي ساعد على خلق قوة عمل غير زراعي في المناطق الريفية تعتمد على الأجور أكثر من اعتمادها على العائد من الأرض .

وبظهور النظرية المركنتيلية زاد الدور الذي يلعبه اليهود داخل النظام الرأسمالي . فهذه النظرية تجعل من « مصلحة الدولة » المبدأ المقبول لدى الجميع بحيث يتم الحكم على الإنسان لا حسب انتمائه الديني وإنما بمدى نفعه للدولة . وقد ظهرت في هذه الفترة فكرة مدى نفع اليهود وفتح المجال أمامهم للاسهام في جميع النشاطات الاقتصادية . وابتداء من منتصف القرن السابع عشر استعان الملوك والأمراء في وسط أوروبا - في ألمانيا وغيرها من الدول - باليهود في كثير من النشاطات الاقتصادية مثل التجارة الدولية ، وتمويل الجيوش وعقد القروض والصفقات .

لكل ماتقدم نجد أن تاريخ الطوائف اليهودية في الغرب مرتبط بتاريخ الرأسمالية في كثير من الوجوه . ومن الملاحظ أن كثيرا من الدول التي كانت لها مشاريع تجارية أو استعمارية كانت ترى أن العنصر اليهودي عنصر أساسي في هذه العملية ، ويمكن الاستفادة من خبراته ورأسماله ، ويمكن توظيفه في أماكن نائية وجديدة ، فهو عنصر مجرد دينامي . وقد تم توطين اليهود في بولنده في القرن الرابع عشر (مع التجار الألمان) لتشجيع الاقتصاد التجاري ، ثم تم توطينهم في أوكرانيا بعد ضمها إلى بولنده لنفس السبب . كما تم توطين اليهود في كثير من المستعمرات الاستيطانية والمراكز التجارية التابعة لانجلترا وهولنده في العالم الجديد

وقد رحب كرومويل بتوطين اليهود في انجلترا حتى ينعشوا الاقتصاد الانجليزي وحتى يكونوا جواسيس له يأتون له بالمعلومات التجارية وسمحت فرنسا ليهود المارانو المطرودين من أسبانيا بالاستيطان في بعض المراكز التجارية الهامة فيها مثل بايون وبوردو . وقد كان توطين اليهود يأخذ عادة النمط التالي : يبدأ توطين اليهود السفارديين بمالهم من خبرات تجارية مالية ورؤوس أموال واتصالات

دولية في الدول الغربية والدولة العثمانية ، ثم يضمهم في معظم الأحوال جاعات من اليهود الاشكناز الذين بدأوا في الهجرة بعد ثورة شميلنكي .

هذه هي البانوراما العامة للدور الذي لعبه اليهود في تكوين الرأسمالية والاقتصاد التجاري ، ويمكننا الآن أن نترك المرحلة التكوينية لنرى أثر ظهور الرأسمالية على أعضاء الطوائف اليهودية ومقدار إسهامهم في الاقتصاد الرأسمالي ذلك . . وسنلاحظ أن دور يهود غرب أوروبا يختلف عن الدور الذي لعبه يهود وسط أوروبا وشرقها . وهذا يعود إلى معدلات النمو الرأسمالي في هذه البلاد وإلى علاقة اليهود بالمجتمع ككل . ووضعهم فيه ، فهم في فرنسا وانجلترا وهولنده لعبوا دورا ثانويا ، أو لنقل لعبوا دور الجزء في الكل الاقتصادي الأكبر الذي كان قد اكتسب كثيرا من ملامحه الرأسمالية الحديثة في غيبة اليهود ، وكان يتبعه مشروعه الاستعماري الضخم ، ولذا لم يلعبوا سوى دور منشط جزئياً . أما في شرق أوروبا فإن المجتمعات الأوروبية هناك لم تكن متطورة بما فيه الكفاية ، ولم يقدر للرأسمالية (التي نشأت في مرحلة متأخرة) أن تتطور ، ولم يكن لها مشروع استعماري مهم ، وانتهى الأمر بأن حل النمط الاشتراكي في الإنتاج محل النمط الرأسمالي . ولذا تحول اليهود هناك اما إلى طبقة عاملة أو طبقة برجوازية صغيرة لاوظيفة لها ، وكان من بينهم رأسماليون ولكنهم كانوا نسبة صغيرة لاتتجاوز ٢٪ .

أما وسط أوروبا ، وخاصة المانيا ، فقد ظهر فيها النظام الرأسمالي وأخذ يتطور بسرعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتبلور لألمانيا مشروعها الاستعماري الخاص . وكان اليهود يشكلون عنصرا هاما في عملية التطور الرأسمالي هذه . ولكن تم ضرب الرأسمالية الألمانية ومشروعها الاستعماري ثم تحويل المانيا نفسها الى مايشبه المستعمرة بعد اتفاقية فرساي . وحينما عاودت محاولة التصنيع مرة أخرى لم يتم ذلك حسب النمط الرأسمالي الحر ، وإنما تم بتدخل الدولة . وقد راح الرأسمال اليهودي ضحية هذه العملية .

ويتضح تباين معدلات إسهام أعضاء الطائفة في نمو الرأسمالية من بلد لآخر في علاقتهم بالمدن ومدى تركزهم فيها . وظهور المدن وازدياد أهميتها كان يعني أن الوظائف المالية والتجارية الهامشية القديمة أصبحت تحتل المركز . وقد صاحب ذلك تحول في وضع اليهود . فبدلا من كونهم عنصراً بشريا متحركا يحمل رأسمال متحرك ، ويتحرك على أطراف المجتمع تحولوا إلى عنصر بشري يقطن المدينة في داخل المجتمع وليس على هامشه ، لأنهم أصبحوا جزءاً لايتجزأ من الاقتصاد الوطني ، وقد أتاح ظهور الرأسمالية فرصة أمام الرأسمال اليهودي المتحرك في أن يدخل الاقتصاد الجديد بنسبة أعلى من الرأسمالي المحلي غير اليهودي الثابت (المستثمر في العقارات والمزارع) . وهو الأمر الذي تم انجازه في انجلترا وفرنسا ثم المانيا . أما في شرق أوروبا فعلى الرغم من أن تركز أعضاء الأقلية اليهودية في المدن قد ازداد ؛ إلا أن سياقه الطبقي كان مختلفا ، إذ أن وجودهم في المدن هو الذي حولهم إلى بروليتاريا .

أما بخصوص علاقة الصهيونية بالرأسمالية فيمكن القول أنها ليست مباشرة ، فالصهيونية ليست جزءاً من التشكيل الحضاري الغربي وإنما هي جزء من التشكيل الإمبريالي الغربي ، يخدم مصالحه الاستراتيجية تحت ظروف خاصة ، هي ظروف الاستيطان في فلسطين . ولذا ، لم تصر الامبريالية الغربية أو البرجوازية اليهودية الغربية أن يأخذ المشروع الصهيوني شكلا رأسماليا محددا ، وإنما سمحت له أن يأخذ الشكل الاقتصادي المناسب ، الذي يضمن بقاءه حتى يستمر في خدمتها . وقد تم التوصل إلى أن الأشكال الجماعية في الإنتاج هي أنسب الطرق لتنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني الاحلالي ، ولذا بينما كانت الولايات المتحدة المكارثية تحارب الشيوعية في الولايات المتحدة كان الصهاينة في الخمسينيات يحتفلون بعيد العمال في مايو وينتسبون إلى الدولية الاشتراكية ويتلقون المعونات بسخاء من الحكومات الغربية ومن أعضاء الأقليات في العالم الرأسمالي ، ويقومون على خدمة الإمبريالية ! . □



«اسرائيل» كتهديد نووي

بقلم : أمين هويدي

ليس هناك مايثبت أن « اسرائيل » لاتملك القنبلة النووية ، لذا فاحتمال وجودها واستخدامها في حرب قادمة ضد العرب يبقى واردا . ولأنه لاتبدو في الأفق نهاية للصراع العربي « الاسرائيلي » فإن تهديد « اسرائيل » النووي يبقى قائما . لكن كيف ؟ وضمن أي الظروف ؟ في هذا المقال محاولة للاجابة .

لايبدو في الأفق أن للصراع العربي « الاسرائيلي » نهاية قريبة ، لأنه لم « يفرغ » بعد من العوامل الحقيقية التي أدت اليه ، ولأن « اسرائيل » في نفس الوقت تعتقد أن « القوة » هي الحل الوحيد لكل مشاكلها ، الأمر الذي يجعلها تستخدم « القوة » بكثافة وهي تمارس السياسة ، سواء على المستوى الاقليمي أو العالمي ، فهي لاتؤمن « بالدبلوماسية » وسيلة من الوسائل لحل التناقضات ، ولاتؤمن بسياسة « الاقناع » ، بل تميل دائما الى تطبيق سياسة « التخويف » ، وبذلك تصاعدت « غرائزها » العدوانية بمرور الزمن ، وخاصة أمام « تقوقع » الارادة العربية وعجزها عن رد العدوان .

هذه العقيدة العدوانية تجعل من « اسرائيل » « حالة خاصة » ، لاتتمشى مع التغير الذي حدث في مفهوم « الصراع » في ظل العصر النووي ، فالتعريف الشائع للصراع هو أنه « تصادم ارادات وقوى بين خصمين أو أكثر ، حيث يكون هدف كل طرف من الأطراف تحطيم الآخر كليا أو جزئيا ، بحيث تحكم ارادته في ارادة الخصم ، ومن ثم يمكنه أن ينهي الصراع بما يحقق أهدافه وأغراضه » ، هذا التعريف لايتمشى أبدا مع التطور الخطير الذي حدث في ممارسة الصراع ، اذ أصبحت الصراعات الاقليمية« صراعات اقليمية عالمية » في حقيقتها ، وان كانت«اقليمية» في ظاهرها ، وربما أصبحت هذه الصراعات الاقليمية « صراعات اقليمية بالوكالة » ،

ونتج عن ذلك أنه أصبح من المحتم أن يصل الصراع الى نقطة بين « الهزيمة » و « الانتصار » ، أي أنه لايمكن أن ينتهي بتحقيق « الأغراض الكاملة » أو « الأمن المطلق » لأي طرف من الأطراف ، بل يقتصر مايحققه على « الأغراض الناقصة » أو « الأمن المتبادل » للأطراف المتصارعة ـ بعض الانتصارات وبعض الهزائم ـ الاكتفاء بالممكن وليس التطلع الى المرجو ـ وبذلك أصبح الغرض من الصراع ليس تحطيم ارادة الطرف الآخر ، بل تليين هذه الارادة ليتم التلاقي في منتصف الطريق ، فالسلام الحقيقي لايمكن فرضه بالقوة ، لأنه ان تم ذلك أصبح السلام مجرد « وقفة » في طريق الصراع ، اذ تكون الاتفاقيات المفروضة معبرة عن « توازن القوى » بين الموقعين عليها ، وليس « توازن مصالحهم » ، فالسلام الحقيقي يعبر عنه بالمعادلة الآتية .

السلام الحقيقي اختفاء الجوانب المادية والمعنوية للصراع + تطبيع العلاقات .

أما اذا تم التطبيع دون القضاء على الجوانب المادية والمعنوية للصراع فان هذا يعتبر مجرد « تسوية مؤقتة » ، تزول بتغير « موازين القوى » لصالح هذا أو ذاك .

وعلى ضوء ادارة الأزمات بالعقيدة التي شرحناها أصبح كل من توازن القوى والردع ركنين أساسيين في الصراع الدائر بين العرب و « اسرائيل »

وتوازن القوى ـ في رأيي ـ هو الحالة التي تصل فيها أطراف النزاع الى وضع يتعذر عليها في ظله اللجوء الى استخدام القوة لفض النزاع ، واذا لجأت الى استخدام القوة يكون القتال محدودا وفي أضيق الحدود ، أو أنه هو الذي يحقق الاستقرار الاستراتيجي بالعمل على التقليل من اشتعال الحروب والحد منها لو استمرت . ومعنى ذلك أن « التوازن القوي » عامل مهم في تحقيق « الردع » الذي نعني به منع الأطراف من اللجوء الى القوة في تحقيق أغراضها ، أو هو في عدم استخدام القوة على الرغم من توافرها ، أو هو في تجنب القتال ويهدف « الردع » الى منع قوة معادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها ، أو منعها من الاقدام على فعل أو رد فعل باستخدام أسلحة القتال ازاء موقف معين .

وعلى ذلك فالاستراتيجية الرادعة لاتستخدم أسلحتها ، لأنها تعمل على المقارنة بين المخاطرة المتوقعة والمصلحة المحققة . ولابد أن نفرق بين الردع والقتال ، فالردع يهدف الى منع العدو من استخدام قرار بالتدخل أو العدوان ، أما القتال فيهدف الى اجبار الطرف الآخر على اتخاذ قرار بقبول الشروط المطلوب فرضها عليه . ويفشل « الردع » حينما يبدأ « القتال » .

وواضح أن الصراع الدائر في المنطقة بين « اسرائيل » والعرب وهو صراع بين فرض الأمر الواقع الذي تقوم به « اسرائيل » ورفض الأمر الواقع بواسطة العرب ـ قد أثبت أن توازن القوى التقليدي بين الأطراف لم يصل الى حد يمكن أحدها من تحقيق كل أغراضه ، كما أثبت فشل الرادع التقليدي ، بدليل أن القتال مستمر، تتخلله فترات سكون ، تعيد فيها الأطراف تنظم قواها ، ليبدأ القتال من جديد وسبب فشل الرادع التقليدي « الاسرائيلي » هو أنها قلبت مفاهيم الردع ، فبدلا من استخدامه لمنع القتال استخدمت القتال وسيلة للردع ، أما سبب فشل الرادع التقليدي العربي فيرجع أساسا الى وجود فجوتين ، الأولى تتمثل في الفجوة بين توافر وسائل الردع وغياب العزيمة على استخدامها مما أوجد الفرصة للعدوان الصغير أو الكبير للمرور دون عقاب أو توقع العقاب ، والفجوة الثانية تكمن في غياب العمل العربي المشترك ، على الرغم مما يحققه من ضمان وأمان .

الرادع النووي « الاسرائيلي » بديل لرادعها التقليدي عند فشله

أدت السياسة التوسعية « لاسرائيل » وخوفها من التعرض لضغوط عالمية أو اقليمية تحول بينها وبين ضم الأراضي الى لجوئها الى تصعيد سلم الردع التقليدي الى منتهاه ، ولم يعد ذلك كافيا لحالة القلق المزمنة التي تعيشها من جراء خوفها من يوم تتخلى فيه الولايات المتحدة الامريكية عن تأييدها الأعمى لها ،

أن وصول العرب الى حالة التعادل التقليدي معها Conventional Parity سيدفعها الى الخيار النووي .

وقد عبر « ايجال آلون » في كتابه (انشاء الجيش الاسرائيلي وتكوينه) عن ذلك بدقة حينما قال : « يجب على اسرائيل ألا تسمح ـ مهما كانت الظروف بجعل وجودها يعتمد على ضمان خارجي لعدة أسباب . فقد يؤدي ذلك الى تعرض « اسرائيل » لضغط سياسي حول حل النزاع العربي « الاسرائيلي » يكون في صالح الأعداء ، أو قد لاتكون الدولة الضامنة متفقة معنا تماما في تقديرنا للموقف ، أو قد تصلنا مساعدة حلفائنا بعد فوات الأوان في حالة الحرب . وأخيرا فإننا نعيش في عالم « اصنعها لنفسك » ، واستمرار بقائنا يعتمد على قدرتنا الذاتية في الدفاع عن أنفسنا دون معونة خارجية » .

وهناك عوامل أخرى ألجأت « اسرائيل » الى الخيار النووي أهمها :

١ ـ سرعة تآكل السلاح التقليدي في المعارك الحالية

ففي حرب اكتوبر ١٩٧٣ مثلا التقى الجانبان ٥٠٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ طائرة في معارك ضارية ، وكانت الخسائر جسيمة في الأرواح والمعدات طوال الأسابيع الثلاثة التي استغرقتها عمليات القتال ، حتى وصل معدل الخسائر الى تدمير أكثر من دبابة كل ١٥ دقيقة ، وأكثر من طائرة كل ساعة ، وهذا العامل في صالح العرب لقدرتهم المتفوقة على تحمل الخسائر . ومن الأيام الأولى لحرب ١٩٧٣ تبخرت الامكانيات « الاسرائيلية » ، ورفعت القيادة « الاسرائيلية » شعار « انقذوا اسرائيل » Save Israel ، وهي تطلب تعويض المعدات من الولايات المتحدة .

٢ ـ زيادة تكلفة الرادع التقليدي وتعقيده :

وصل الجيش « الاسرائيلي » الى حده الأقصى ، ومن الصعب زيادة حجمه أكثر من ذلك ، للتناقض بين الزيادة في الحجم مع الضرورة الحتمية للبناء الاقتصادي للدولة ، ومواجهة استيطان المهاجرين الجدد ، وبناء المستعمرات الجديدة ، والتوسع في برامج التعليم والصحة وقد وصلت « اسرائيل » الى نهاية حدود قدرتها على تطوير الأسلحة التقليدية وشرائها ، ولذلك فإن السلاح النووي يحل مشكلة الردع بتكاليف أقل ، وبصورة ثابتة . ثم عاد دايان في حديث الى يديعوت احرونوت في ١٩٧٦/٤/١١ ليؤكد أن « اسرائيل » وصلت الى أقصى حدود القدرة على استيعاب كمية اضافية من الأسلحة التقليدية ، ويجب الوصول الى خيار نووي ، حتى يعرف العرب أننا نستطيع تدميرهم . . . اننا لانستطيع أن نطور الى ما لانهاية أجيالا جديدة من الطائرات ، وتحول البلاد الى مخزن سلاح كبير ، وعلينا التزود بسلاح مدمر ، كرادع للأقطار العربية ، اذ لانستطيع اللحاق بكميات السلاح الضخمة التي يتزود بها العرب . » .

وهناك عوامل أخرى لاتقل أهمية عن العاملين السابقين ، تعمل حافزاً « لاسرائيل » للاتجاه الى الخيار النووي ، مثل صعوبة حيازة العرب للرادع النووي في المدى القريب ، وخاصة بعد أن أعطت لنفسها الحق في تحديد المستوى التقني الذي لايجوز للدول الاقليمية أن تتعداه ، وكذلك لاستنزاف الطاقات العربية ، خاصة بعد أن بدأ العرب في تعبئة مواردهم .

بعض « الاسرائيليين » يعارضون الخيار النووي « الاسرائيلي » ، منهم أبا ايبان ويسرائيل جاليلي ، على اساس أن الرادع النووي « الاسرائيلي » سوف يصبح حافزا للرادع النووي العربي ، أو حافزا لدخول روادع أخرى الى المنطقة ، على أساس أنه ليس بالضرورة أن يردع السلاح النووي بسلاح من العائلة نفسها ، كما يرى أصحاب هذه المدرسة أن الرادع النووي « الاسرائيلي » لايحل المشاكل التي

دعت الى السعي اليه ، وأنه يسزيد من عزلة « اسرائيل » بل هناك من يشكك في أن « لاسرائيل » قدرة نووية أصلا ، وخاصة بعد اتباعها سياسة « الردع بالظن » .

ويؤيد هذا الاتجاه تقرير لجنة الخبراء التي شكلها السكرتير العام للأمم المتحدة ، بناء على تكليف المنظمة الدولية والمقدم الى اللجنة المتخصصة في الدورة ٣٥ لعام ١٩٨٠ ، اذ ينص على « وجود دول نووية غير معلنة مثل جنوب افريقيا و « اسرائيل » » ، وفي ١٩ يونيو ١٩٨١ قدمت لجنة الخبراء تقريرا ورد في البند ٥٥ منه النص الآتي : « هناك اقتناع عام عند الخبراء الفنيين أن لدى « اسرائيل » القدرة على صناعة قنابل ذرية ، وتتوافر لديها امكانيات الاطلاق » .

وعلى أي حال ، وإزاء الغموض والشك هناك تصورات أربعة عن قدرة « اسرائيل » النووية :

التصور الأول : أن « اسرائيل » تملك فعلا عدة رءوس نووية ، وأجهزة لإطلاقها .

التصور الثاني : أن « اسرائيل صنعت أجزاء عدة رءوس نووية ، وحفظتها مفككة في مخازنها ، لإعادة تجميعها في فترات محدودة ، حينما تدعوها الضرورة لذلك

التصور الثالث أن « اسرائيل » حصلت على المعرفة التقنية لصنع سلاح نووي ، وتوقفت عند ذلك ، لتفادي التعقيدات الدولية ، ولتجنب كثرة النفقات

التصور الرابع أن « اسرائيل » لاتملك المعرفة التقنية لصناعة سلاح نووي ، ولذلك فإنها لاتملكه ، وتكتفي بمنع أي دولة اقليمية من الحصول على هذا السلاح

اذن ، فان حيازة « اسرائيل » لقدرة نووية من نوع ما أمر غالب ، وهناك قاعدة ذهبية في التعامل الاستراتيجي هي أنه مالم تتوافر لدينا معلومات مؤكدة عن نفي وجوده يظل احتمالا قائما ، لابد من وضعه في الحسبان ، منعا من أن تفاجئنا الأيام بموقف تصعب مواجهته .

٣ - تقييم الرادع النووي « الاسرائيلي »

ترى « اسرائيل » أن القوانين التي تنظم الحروب تفقد قوة الزامها اذا تعارضت مع تحقيق أغراضها ، أو اذا وقفت حائلا دون مواجهة أخطار تهددها « فالضرورات تبيح المحظورات كما تأخذ بنظرية « حق المحافظة على الوجود » « Self Preservation » ، أي اتخاذ اجراء وقائي في دولة أخرى ، لوقف عدوان منتظر ، تحت شعار الضربة الوقائية ، أو الضربة الجراحية ، على الرغم من أن هذا الاجراء يعتبر تدخلا أكثر منه دفاعا عن النفس ، ويعتبر عدوانا بكل المعاني ، مثل قيامها في ٧ يونيو ١٩٨١ بضرب المركز النووي العراقي وتدميره « اوزاريك » بالقرب من بغداد . وخطورة هذا الإجراء أن « اسرائيل » لم تعد تكتفي بخرق الحدود الدولية للدول المجاورة فحسب ، بل أخذت تخترق الحدود الدولية اختراقا رأسيا على الرغم من المسافات الشاسعة ، والقوانين الدولية والأخطر من ذلك رد فعل القوتين العظميين الذي كان أقرب الى المباركة والتشجيع منه الى الاحتجاج والعقاب واعتبرت الدولة النووية فعلا في حالة دفاع شرعي ضد دولة وقعت على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، بل أخضعت نفسها لاجراءات تفتيش وكالة الطاقة الذرية

وعلينا في ضوء هذه العقائد الشاذة أن نقيم الرادع النووي « الاسرائيلي » في ضوء مقارنته مع الرادع التقليدي الاقليمي والرادع النووي العالمي

الفرق بين الردع التقليدي الاقليمي والرادع النووي الاقليمي

الرادع التقليدي الاقليمي	الرادع النووي الاقليمي
أكثر مصداقية في الدفاع أو الهجوم أو ضد أعمال العدوان والتسلل . وليس على استخدامه في القتال قيود دولية .	لم يستخدم في القتال بعد هيروشيما وناجازاكي ، ولايمكن استخدامه الا في الضرورة القصوى ، في حالة تعرض البقاء للخطر ، وعليه قيود دولية اختيارية لمنع انتشاره .
يستهدف القوات المسلحة كأسبقية أولى ، والأهداف المدنية كأسبقية ثانية في حالة الصراع العربي - الاسرائيلي » .	يستهدف الأغراض المدنية الممتازة كاسبقية أولى لعدم توافر الرءوس الذرية أو وسائل الاطلاق الكافية .
خطورته في قوته التدميرية .	خطورته الحقيقية في الاشعاعات الحرارية ، والاشعاعات الفورية (أشعة جاما والنيترونات وجزيئات الفا وبيتا المنبعثة خلال دقيقة واحدة من الانفجار) أو الاشعاعات الآجلة (التلوث نتيجة السحب التي تهبط على الأرض) .
تحديد الأغراض وتحليلها ، وتجميع المعلومات عنها [illegible] خطة معلومات معقدة ، تشترك فيها أجهزة [illegible] مختلفة	الأغراض هنا أغراض القيمة المضادة ، كأسبقية أولى وتكون أهداف القوة المضادة كأسبقية ثانية ، والمعلومات عنها متيسرة حتى من المصادر المكشوفة .
فرص نجاح الرادع تعتمد على منابع من القوى المركزية	يعطي حرية أكبر لصاحب القرار .
يحتاج الى عدد من القوة البشرية وتجهيزات ومعدات ضخمة متطورة .	تشغيله يحتاج الى عدد محدود من الأفراد
[illegible] ونتيجته الحاسمة لابد من أن يصل [illegible]	يمكنه أن يصل الى أغراضه بالاستخدام المحدود والمتدرج
[illegible] الصـ[illegible]	هناك احتكار نووي « اسرائيلي »

[illegible]

* [illegible] الرادع النووي الاسرائيلي ، يحل [illegible] مشاكلها من ناحيتي ارتفاع تكلفة الرادع التقليدي والقوة البشرية

* ويحقق لها حرية القرار ، خاصة في فترة الاحتكار النووي .

وهناك عامل مهم ، يحتاج الى بحث تفصيلي ، وهو مايتعلق بالمصداقية ، أي بمصداقية استخدام السلاح النووي في القتال في الصراعات الاقليمية ، وخاصة وهو في يد جهة « كاسرائيل » ، وهذا يقودنا الى مقارنة استخدام الرادع النووي على المستويين العالمي والاقليمي .

ثانيا : الفرق بين الردع النووي الاقليمي والردع النووي العالمي

ـ من الخطأ الفادح التعميم في موضوع الرادع النووى ، ليس على المستويين العالمي والاقليمي فقط ، بل بين الأقاليم المختلفة أيضا وفي داخل الاقليم الواحد لاختلاف الظروف والمخزون

المتاح . فعلى سبيل المثال لم يكن من المحتمل أن تستخدم « اسرائيل » الرادع النووي حينما عبرت القوات المصرية القناة في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لكن كان من المحتمل استخدامه لو أن الموقف تطور الى هزيمة ساحقة تهدد وجودها ، أو لو أن القوات المصرية عبرت حدودها عام ١٩٦٧ ، وحققت انتصارات تهدد كيانها حينما كانت القوات المصرية في مراكز حشدها بالقرب من الحدود السياسية .

٢ ـ واذا كان هناك هذا التفاوت بين المستوى العالمي والاقليمي فانه لا يجوز والحالة هذه تطبيق القوانين التي تنظم عملية « ادارة الأزمة أو الصراع » على مستوى القوتين العظميين على المستوى الاقليمي في الصراع العربي « الاسرائيلي » ، اذ لا يعقل تطبيق قواعد الاشتباك بالمدفعية على اشتباك يحدث بالبنادق ، كما لايمكن تطبيق قواعد الاشتباك بين قوتين في أرض المعركة على اشتباك يحدث لتفريق المظاهرات . فعلى المستوى العالمي يملك السوفييت آلافا من الرءوس النووية الذرية وكذلك الأمريكان ، أما على المستوى الاقليمي فيمكن اعتبار أن الدولة نووية ـ كما ورد في تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة عام ١٩٨١ ـ اذا امتلكت ١٢ رأسا نوويا على الأقل مع وسائل اطلاقها ، اذ يعطي هذا الحجم القدرة على ضرب أربع مدن ، بواقع ثلاثة رءوس ذرية قوتها ٢٠ كيلو طنا لمدينة واحدة أو ١٢ مدينة اذا خصص لكل منها رأس ذرّي واحد . واذا حسبنا احتمال الأخطاء التي تحدث بواقع رأس واحد من كل ثلاثة رءوس فيمكن للاثنى عشر احداث خسائر جسيمة في مدن يتراوح عددها من ٣ ـ ٨ .

٣ ـ هذا التفاوت في الحجم المتاح على المستويين العالمي والاقليمي غير معنى المصطلحات الفنية المتفق عليها ، مثل : القوى النووية لمسارح العمليات (TNF) ، والتدمير غير المحتمل ، والتدمير المؤكد ، وأقل درجات الردع ، والرد المرن،والتعادل وغيرها .

٤ ـ لاتتعدد المستويات في الرادع النووي الاقليمي ، اذ لايوجد مايسمى « الردع المتدرج » ، بل وتوجد على المستوى العالمي: الحرب النووية ، التكتيكية وكذلك الاستراتيجية ، وهذا غير موجود على المستوى الاقليمي .

٥ ـ لايحتاج الرادع النووي الاقليمي الى نفس الترتيبات المعقدة التي يحتاجها على المستوى العالمي ، فلا هو يحتاج الى قيادات وأجهزة سيطرة تعمل من الجو ، ولا الى تحصينات هائلة ، ولا الى قاذفات حاملة للقنابل الذرية على درجة استعداد وهي تطير في الجو خوفا من ضربها وهي على الأرض ، ولا الى صواريخ محملة على قطارات تجري على قضبانها .

٦ ـ الصفوة الحاكمة التي تمسك بزمام الرادع النووي العالمي صفوة « نصف عاقلة » ، تجري حوارها على أساس حسابات منطقية ، لكن الصفوة التي قد تدير الرادع النووي الاقليمي صفوة اما مجنونة أو جاهلة أصول الصراع . ولنا أن نتخيل رادعا نوويا تحت سيطرة مناحيم بيجن ،أو اسحاق شامير ، أو ايريل شارون ، وفي هذا الصدد يقول الجنرال بوفر : « في ظل الانتشار النووي سيكون المصير في يد عدد متزايد ليس بينهم الا قلة يمكنها تحمل هذه المسئولية الثقيلة . ان افتراض الجنون بين هؤلاء الرجال شيء متوقع ، لكن الأكثر توقعا والداعي للقلق المتزايد في نفس الوقت هو عدم المعرفة ، اذ أن المشكلات المتعلقة بالسلام والحرب أصبحت بالغة الدقة ، مما يجعلها غير مفهومة تماما لكل رجال السياسة الذين تأتي بهم المصادفة الى السلطة ، كما أن بقاء بعض المفاهيم التقليدية في الحرب التي لاتصلح لمفاهيم اليوم قد تُسبب وقوع كوارث مروعة ، وباختصار فان الانتشار النووي مدعاة لأقصى درجات القلق ، فلا يمكن أن يتحقق الاستقرار الا في الدول النووية العاقلة ، ولابد من الحذر من وضع أعواد الثقاب في أيدي الأطفال » .

ونخرج من ذلك أن المقاييس التي تتحكم في الروادع النووية على الصعيد العالمي لايمكن أن تتحقق وتطبق في الصراعات الاقليمية . ومعنى ذلك أن استخدام الرادع النووي في القتال في حالة توافره أكثر احتمالا في الصراعات الاقليمية ، وهو أمر

عقلاً لايمكن استبعاده ، وخاصة أن التاريخ قد سجل لنا أنه ما من سلاح دخل مرحلة الانتاج الا استخدم فعلا .

وهذا المفهوم الذي يميز الصراعات النووية العالمية عن الصراعات النووية الاقليمية هو الخطر الحقيقي الذي نتوقعه من « اسرائيل » النووية ، وخاصة اذا ظلت تؤمن أن القوة هي العامل الوحيد للممارسة الدبلوماسية .

لكن هل الرادع النووي « الاسرائيلي » يمكنه فرض استقرار اقليمي لايحققه توازن المصالح لأطراف الصراع ؟ وهنا أيضا تختلف الآراء بين مؤيد ومعارض .

١ ـ فالذين يرون أن الرادع النووي « الاسرائيلي » يفرض استقرارا ظالما جائرا يؤيدون وجهة نظرهم بآراء عديدة أهمها : ـ

أ ـ الخوف الذي يفرضه الرادع النووي الذي يعمل ككفاح مهدىء للعنف .

ب ـ الرادع النووي هو الوسيلة الوحيدة للسباق في التسليح التقليدي مع العرب ، فالرادع النووي « الاسرائيلي » هو البديل الوحيد للرادع العربي التقليدي ، اذ يفرض الاستقرار على أساس قاعدة « التدمير » المرفوض أو غير المحتمل Unacceptable Deterrence .

ج ـ الردع المحقق عن طريق الرادع النووي « الاسرائيلي » يفرض فترة هدوء اجبارية ، تكون بمثابة تمهيد لتهدئة التوتر فالتقنية تؤدي الى زوال الحروب الذي يؤدي بدوره الى السلام

د ـ الاحتكار النووي « الاسرائيلي » يفرض الاستقرار ، وفي حالة تعدد القدرات النووية في يوم ما سوف يتحقق الاستقرار عن طريق الرعب النووي، أو الخوف من التدمير المتبادل لتوافر القدرة على الضربة الثانية لدى كل الأطراف ، وهذا كفيل بتردد كل الأطراف في اللجوء الى الضربة الأولى ، أي العدوان .

٢ ـ وفي المقابل هناك آراء تعارض ذلك ـ ونحن معهم ـ ونرى أن الرادع النووي « الاسرائيلي » لايمكنه أن يفرض استقرارا مجحفا للآتي : ـ

أ ـ الرادع النووي بالحجم المحدود ليست لديه المصداقية اللازمة لردع أي حرب تقليدية عادلة .

ب ـ يمكن مواجهة الرادع النووي برادع آخر من فصيلة أخرى لايقل تأثيرا عنه ، وهو ما سميناه « الرادع فوق التقليدي » ، وهو عبارة عن الأسلحة الخارقة أو الكيماوية والبيولوجية .

ج ـ القدرة العربية على امتصاص الضربة الأولى أكبر من القدرة الاسرائيلية ، حتى على المستوى القطري .

د ـ كل طرف رهينة عند الطرف الآخر ، فاذا كان الشعب العربي رهينة عند « الاسرائيليين » فالشعب « الاسرائيلي » رهينة عند العرب .

وعلى « اسرائيل » أن تجيب عن الأسئلة الآتية ، لتعرف الفرق بين قدرة العرب على امتصاص الضربات مقارنا بقدرتها : ما الذي كان يحدث « لاسرائيل » لو واجهت نفس موقفنا في حرب ١٩٦٧ بعد ضرب قواتنا الجوية ؟ وما الذي كان يحدث لها لو ضربت تل أبيب والقدس وبير السبع بالغازات والمدفعية والصواريخ كما ضربت السويس والاسماعيلية والقاهرة وبحر البقر وحلوان والمعادي وبيروت وبغداد وحمص ودمشق ؟

الخاتمة :

إن « إسرائيل » وهي تسعى لفرض استقرار إقليمي يحقق لها مطامعها أخذت في تصعيد مستوى الروادع حتى وصلت إلى الرادع النووي ، ولكن للاستقرار جناحان : توازن القوى وتوازن المصالح فالاتفاقيات التي تحقق الاستقرار إن عبرت عن قوى الموقعين عليها كانت اتفاقيات رديئة : ولو تمت تحت مظلة نووية ، والاتفاقيات الرديئة هي وقفة حتى يعاد تغيير توازن للقوى ، ولذلك فإن الاتفاقيات يجب أن تكون عاقلة تراعي توازن المصالح لأن القوة وحدها سواء كانت تقليدية أو نووية لن تحقق الاستقرار □



فرنسا وجذور الحركة الصهيونية غير اليهودية

بقلم : رياض معسعس *

قبل إعلان الحركة الصهيونية رسميا في مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧، لم تكن الصهيونية حركة يهودية ، بل كانت مرتبطة بشكل وثيق بأعتى دول الاستعمار الغربي ، وإن كان الدور البريطاني معروفا في إنشاء الصهيونية غير اليهودية فإن دور فرنسا لم يكن ليقل خطورة .

هذا المقال محاولة لتتبع ظهور الصهيونية غير اليهودية في تلك الدولة الاستعمارية منذ البدايات الأولى حتى وعد بلفور .

كثيرا ما يعتقد بعض الناس بأن الصهيونية أيدلوجيا وتطبيقاً هي وقف على الطائفة اليهودية التي تعمل على ترويجها وتنفيذ مخططاتها دون غيرها ، بيد أن هذا الاعتقاد خاطيء ، فالصهيونية غير اليهودية هي أشد فاعلية وخطرا من الصهيونية اليهودية نفسها في مواقف ومواضع شتى .

وتؤكد الأحداث التاريخية ، والوثائق العديدة على أن الصهيونية غير اليهودية كانت ومازال الأداة الأساسية التي عملت على ترسيخ أقدام اليهود في فلسطين العربية ودعمهم ماديا ، وسياسيا ، وفكريا .

ويطول المقام إذا أردنا التحدث عن هذه الظاهرة بأكملها ، والتطرق لجميع جوانبها ، ولنشأتها في البلدان المختلفة ، على الرغم من الترابط العضوي بين جميع أطرافها ، لذا فإننا نقصر مقالنا هذا على فترة معينة وبلد معين .

إن الصهيونية كايديولوجية وحركة سياسية منظمة، لم تطف على السطح على صعيد فرنسا مثلا ، ولم يظهر

---

* كاتب من القطر العربي السوري مقيم في باريس .

لها أي أثر إلا في أواخر القرن التاسع عشر ، إلا أنها كفكرة قد سبق ظهورها هذا التاريخ بقرون عديدة .

فالمؤتمر الصهيوني الأول في بال عام ١٨٩٧ لم يكن الانطلاقة الأولى ، بل كان تتويجا لتطورات مختلفة ، وولادة لجنين اكتمل تشكيله في رحم الأحداث والانقلابات السياسية والاقتصادية في أوروبا منذ بداية عصر النهضة .

اليهود والماشيح

ولاستكمال الصورة وتوضيحها لابد من العودة إلى الجذور الأولى في المسألة اليهودية ، فبالنسبة للمسيحية الكاثوليكية التقليدية لم يكن في أدبياتها أدنى إشارة إلى مقولة الاساطير اليهودية في عودة « الماشيح » وقيادته لشعب الله المختار إلى ارض الميعاد ، وطبقا « للعقيدة الكاثوليكية » فان اليهود كانوا قد طردوا من فلسطين إلى منفاهم في بابل قصاصا لهم لاقترافهم الذنب الأكبر ، وأن أرض فلسطين هي ملك للمسيحية ، وعندما أنكر اليهود أن عيسى بن مريم هو المسيح ، نفاهم الله مرة أخرى إلى الأبد وأنهى وجودهم كأمة ، أما كأفراد فبإمكان أي يهودي العودة إلى الايمان الحقيقي وطلب الخلاص الروحي باعتناقه المسيحية » حتى أن بيير ليرميت عندما راح يدعو أوروبا المسيحية إلى القيام بغزو فلسطين لم يكن يقوم بذلك ليعيدها إلى « أصحابها اليهود » ، وإنما كان من أجل طرد المسلمين الكفار ، وإقامة « الامبراطورية المسيحية » ، حتى أن الصليبيين عندما احتلوا بيت المقدس حمعوا يهود المدينة في الكنيس وأحرقوهم فيها أحياء

ففلسطين بهذا المفهوم تعتبر الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه المسيحين

وخلاصة القول ان الصهيونية غير اليهودية حتى عصر النهضة كانت غائبة تماما عن أوروبا ، غير أن قدوم مارتن لوثر ، وانبثاق حركة الاصلاح الديني قد قلبت المفاهيم رأسا على عقب ، فمبادىء لوثر كانت مغايرة تماما لمبادىء الكاثوليكية ، لاسيما ما يخص المسألة اليهودية ، إذ أن التغييرات اللاهوتية في الحركة الدينية الجديدة قد روحت لفكرة أن اليهود أمة مختارة ، وأكدت على فكرة « أرض الميعاد » ، فإن إعادة اكتشاف « العهد القديم » في الحر البروتستانتية واعتباره عنصراً أساسيا في مذ الحركة ، بعد أن كان مهملا من قبل الكاثوليك قد عزز النزعة اليهودية ، ودعم وجهة نظره الأوساط المسيحية الجديدة ، فأضحت بـ فلسطين أرضا يهودية في الفكر المسيحي في أو البروتستانتية ، وبدأ منذ ذلك الوقت الاه بتحقيق النبوءات التوراتية ، لاسيما « العصر ا السعيد » الذي هو الاعتقاد بعودة الماشيح ا الذي سيقيم مملكة في فلسطين تدوم ألف عام .

وبهذا يمكن القول بأن القرن السادس عشر بداية التأكيد على الشخصية اليهودية . وقد است هذه الحركة في الانتشار عبر القرون اللاحقة إ بلغت ذروتها في القرن العشرين مع مـ « العصمة الحرفية » المنتشر في أمريكا ، الذي بأن « اسرائيل » في وضعها الحالي هي الته الواقعي للنبوءة في العصر الحديث .

امتدت أفكار الاصلاح الديني إلى فرنسا ، حلت معها ـ بطبيعة الحال ـ فكرة « العصر ا السعيد » التي وجدت من يروجها ، ويعمل أجلها ، ففي بداية القرن السابع عشر كتب ا دولا بيرير كتابه « دعوة اليهود » الذي دعا فيه إ يد العون لليهود ومساعدتهم في العودة إلى الا المقدسة ، ثم تبعه قس فرنسي آخر هو بيير غ ليطالب بإعادة تأسيس المملكة اليهودية في الميعاد في كتابه « استكمال النبوءات »

وقد تعدت هذه الأفكار رجال الكنيسة إلى المفكرين الفرنسيين كجان جاك روسو وباسك فظهرت في كتاباتهم الدعوة لقيام دولة يهودية تعدتهم هذه الفكرة لرجال السياسة الذين و فيها خير وسيلة للوصول إلى مآرب سيـ واقتصادية في الشرق

نابليون بونابرت : صهيونية الامبراط

لقد طرحت قضية اليهود إبان الثورة الفرنـ وفور إعلان حقوق الانسان أعطي اليهو



* جندي اسرائيلي يصفع فتاة فلسطينية على مرأى من العالم

البرجوازية الكاملة . ومنحت الجمعية الوطنية الفرنسية اليهود الجنسية الفرنسية والحقوق المدنية الكاملة ، وبهذا الصدد صرح أحد القادة الفرنسيين بقوله : « أبذل شيء لليهود كأفراد ، ولاشيء لليهود كشعب ، ففرنسا ترفض أن تكون هناك أمة داخل أمة » . كان هذا على الصعيد الفرنسي ، أما على صعيد فلسطين فقد كان حديث آخر ، فقد كانت فرنسا هي أول دولة اوروبية تطرح جديا على المستوى السياسي فكرة توطين اليهود في فلسطين ، فإدارة الحكومة الفرنسية كانت قد أعدت خطة سرية في عام ١٧٩٨ لاقامة كومونويلث يهودي في فلسطين في حال نجاح الحملة الفرنسية باحتلال المشرق العربي ، شريطة أن يتقدم أغنياء اليهود بقروض مالية كبيرة للحكومة الفرنسية التي كانت تعاني من أزمة مالية خانقة ،

انصبت هذه الفكرة في رأس نابليون الذي كان بحكم مركزه على اطلاع بالاتصالات الجارية بين إدارة الحكومة الفرنسية وزعماء يهود فرنسا ، وقد قدر إلى أي مدى يمكن له استغلال هذه الفكرة في اكتساب خدمات اليهود له في كل مكان ، وتأييده تأييدا مطلقا ، لذا فإنه بمجرد وصوله إلى مصر أصدر بيانا حث فيه اليهود على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة بناء « مملكة القدس » ، ثم وجه نداء آخر أثناء حصار عكا جاء فيه :

« من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا ، إلى ورثة فلسطين الشرعيين .

أيها الاسرائيليون ، أيها الشعب الفريد ، انهضوا بسرور أيها المبعدون ، إن حربا لم يشهد لها التاريخ مثيلا تخوضها أمة دفاعا عن نفسها بعد أن اعتبر اعداؤها أرضها التي توارثوها عن الأجداد غنيمة يجب أن تقسم بينهم حسب أهوائهم .

إن الجيش الذي ارسلتني العناية الالهية على رأسه ، والذي يقوده العدل ، ويواكبه النصر ، جعل القدس مقر قيادتي ، وبعد بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي لم تعد ترهب مدينة داوود .

يا ورثة فلسطين ، سارعوا ، إن هذه هي اللحظة المناسبة التي قد لاتتكرر لآلاف السنين ، للمطالبة باستعادة حقوقكم ووجودكم السياسي كأمة بين الأمم » .

غير أن الهزيمة النكراء التي مني بها نابليون في عكا جعلت جهوده تذهب أدراج الرياح ، لكن الفكرة بقيت قائمة في ذهنه ، إذ بعد عودته إلى فرنسا دعا في عام ١٨٠٦ إلى عقد اجتماع « السنهدرين » وهي الهيئة القضائية العليا للطائفة اليهودية ، وأعلن نابليون على اثره بأنه سيكون لليهود كيان رسمي داخل الدولة ، وأن الديانة اليهودية ستكون إحدى الديانات الرسمية في فرنسا ، ووعد بأن يقوم بالضغط على الدول الأوروبية الأخرى لتحذو حذو فرنسا في هذا الشأن ، بيد أن هذه الدعوة قد تلاشت واضمحلت مع آخر هزيمة نكراء له في واترلو عام ١٨١٥ .

نابليون الثالث الأكثر صهيونية

إن وصول محمد علي إلى سدة الحكم في مصر جعل فكرة توطين اليهود تأخذ طريقها إلى بريطانيا ، وتجد رواجا عظيما ، إذ أن بريطانيا قد وجدت أن الأقليات اليهودية المتواجدة في فلسطين حينذاك لم يكن عددها يتعدى في تلك الفترة ثمانية آلاف يهودي ، وذلك حسب إحصائيات القنصل البريطاني في فلسطين وأ لا يمكنها أن تكون ذريعة لها للتدخل بشؤون فلسطين بحجة « حماية الأقليات اليهودية » أسوة بفرنسا التي كانت قد اتخذت الذريعة نفسها في حماية الموارنة في لبنان .

وكانت بريطانيا بمكرها ودهائها تخطط لضرب محمد علي من جهة ، ولقطع الطريق على فرنسا قبل أن يصيح الديك الفرنسي على الأراضي الفلسطينية من جهة أخرى .

ومهما يكن من أمر فموت نابليون الأول ونسيه وهو قابع في جزيرة القديسة هيلانة بعد هزائمه يكن يعني نسيان فرنسا للأفكار الصهيونية التي زرعها امبراطورها في الديار المقدسة ، إذ أنها لم تكن أقل حماسة من بريطانيا في إقامة دولة يهودية

[illegible]

أثر وراءه جلبه الحملة تكمن بداية السيطرة على الشرق الأوسط .

في نهاية القرن الثامن عشر كانت الأفكار الصهيونية قد ترسخت في الأوساط السياسية والفكرية والدينية ، حتى أنها تغلغلت في نفوس قسم لا بأس به من الشعب الفرنسي ، وقد بلغت ذروتها خلال فترة حكم الامبراطور نابليون الثالث (الامبراطورية الثانية ١٨٥٢ ـ ١٨٧٠) ، إذ تجددت في هذه الفترة النشاطات الاستعمارية ، ففي عهده تمت عملية ضم الجزائر العربية واعتبارها قطعة من الأراضي الفرنسية ، وتم إقامة عمية في المعبد الصينية أيضا . وراح بعض المفكرين والكتاب السياسيين يدفعون الدعوة للمناداة بفلسطين « إقليما يهوديا » على نحو مماثل للدعوة الصادرة بجعل لبنان « إقليما مسيحيا » . وقد أبدى نابليون الثالث لويس فيليب اهتماما ملحوظا بفكرة توطين اليهود في فلسطين ، لاسيما أن فرنسا كانت قد حصلت على امتياز شق قناة السويس في مصر ، وبدأ يلوح أمام عينيه حلم عمه الامبراطور الأول في احتلال مصر وفلسطين ، ويدغدغ طموحاته بامتداد امبراطوريته لتلتهم الامبراطورية العثمانية بأكملها . كان يقول لمساعديه المقربين : لقد ضممنا الجزائر ، وسنعود إلى مصر ، وفلسطين ومن ثم . . . ، ومن ثم . . . ، ومن يدري ؟ وكانت الإمبراطورية العثمانية تهشم أمام عينيه .

طبق حلوى لذيذة

جان دونان من الشخصيات المقربة من الامبراطور التي كان لها أكبر الأثر في ترويج الأفكار الصهيونية وهو الذي قام بنشاطات واسعة لكسب تأييد الرأي العام الفرنسي والأوروبي من أجل الاستيطان اليهودي في فلسطين ، وكان قد أسس لهذا الغرض مايسمى « جمعية استعمار فلسطين » والاكثر منه تأثيرا، هو سكرتير الامبراطور الخاص إرنست لاهاران ، الممثل الرئيسي للصهيونية غير اليهودية الذي كان يؤيد خطط الامبراطور في احتلال الشرق ، ففي عام ١٨٦٠ [illegible] « المسألة الشرقية الجديدة [illegible] الصهيونية » ، عرض فيه وجهات نظر [illegible] المؤيدين لهذا المشروع ، وأكد على [illegible] الامبريالية الغربية ممثلا في [illegible] تمكن لها في منطقة الشرق ، ويصف العرب بأنهم قبائل همجية وحشية يجب طردها من فلسطين وإقامة وطن يهودي ليكون نقطة الاتصال الحية بين القارات الثلاث ، وهو يقول بهذا الصدد :

« إن اليهود سيكونون حملة الحضارة [illegible] بداية ، وسيلعبون دور الوسيط بين أوروبا و[illegible] آسيا . . » ثم يتوجه إلى اليهود بقوله : « [illegible] قدما ، فإن أبطالكم سيجعل الرب [illegible] ، [illegible] جيوشنا إلى جانبكم مستعدة [illegible] سيروا إلى الأمام أيها اليهود ، إن وطنكم [illegible] بانتظاركم ، وسيكون من دواعي افتخارنا أن نفتح لكم أبوابه » .

لقد كان لإرنست لاهاران أكبر الأثر في بعث الحركة الصهيونية في فرنسا ، إذ استطاع التأثير بالكثير ، حتى أن اليهود أنفسهم قد تأثروا بأفكاره ، ولاننسى أن موسى هيس أحد مؤسسي الصهيونية اليهودية قد تبنى أفكار لاهاران ، وأسس على أثرها كتابه المعروف « روما والقدس » الذي يخاطب فيه اليهود ، ويوضح لهم إلى أي مدى تتعاطف فرنسا مع قضيتهم : « ألا زلتم تشكون في نوايا فرنسا في مساعدتكم على إقامة مستعمرات قد تمتد من البحر المتوسط إلى ضفتي نهر الأردن ، ومن السويس إلى القدس ؟ إن فرنسا ستوسع مهمة التحرير لتشمل الأمة اليهودية ، ويبدو أن الفرنسيين واليهود قد خلق كل منهما للآخر في كل شيء »

وفي خضم هذه الأحداث كانت الامبراطورية البروسية الناشئة على يد بسمارك تهدد فرنسا مباشرة ، ففي عام ١٨٧٠ وضع هذا الأخير حدا للامبراطورية الثانية في فرنسا ، بعد أن مني امبراطورها نابليون الثالث بهزيمة نكراء ، أعادت إلى ذاكرته هزائم عمه ، وهدمت في مخيلته حلم

« امبراطورية الشرق » ، بيد أن الأوساط الفكرية استمرت في نشر الفكرة الصهيونية وتأييدها ، وفي عام ١٨٧٣ عرض الكسندر دوما الابن مسرحيته « زوجة كلود » التي يتحدث فيها عن حقوق اليهود في فلسطين ، وضرورة إعادة بناء دولتهم ، وفي الفترة نفسها أسس المليونير اليهودي ادموند روتشيلد أول مدرسة زراعية سميت « مكيف اسرائيل » ، وذلك بمساعدة « الرابطة اليهودية العالمية » .

ولم تمض سوى بضع سنوات حتى ظهر البيان الأول للصهيونية الحديثة في عام ١٨٨٢ الذي يدعى « بالانعتاق الذاتي » الذي دعا إليه ليو بنسكر أحد اليهود الروس القاطنين في المانيا ، وتبعه تيودور هرتزل في عام ١٨٩٥ بإصدار كتابه « الدولة اليهودية » ، متأثرا بفضيحة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالتجسس لصالح المانيا ، والذي أثار الجدل والانقسامات في أروقة السياسة الفرنسية ، كما حدث لدى الشعب الفرنسي ، إذ جند كثير من السياسيين والمفكرين أنفسهم للدفاع عن اليهود . ويمكننا على سبيل المثال ذكر الشاعر الكاتب شارل بيجي الذي خصص كثيرا من أشعاره وكتاباته للدفاع عن اليهود ، والدعوة لعودتهم إلى فلسطين ، وأميل زولا في كتاباته الشهيرة ، وقد احتدم الصدام بين مناصري دريفوس الذين كانوا يؤيدون من خلاله اليهود ، وبين مناهضيه الذين كانوا يضمرون في أنفسهم كراهية لليهود ، حتى أعيد الاعتبار للضابط الفرنسي ، وانتهت هذه المسألة التي وصفت بمحاكمة العصر لصالح اليهود ، غير أن مضاعفاتها كانت من الأهمية بمكان بحيث جعلت قسما من الرأي العام الفرنسي يتعاطف مع قضايا اليهود والصهيونية

القرن العشرون : قرن الصهيونية

إن البذور التي زرعتها الصهيونية خلال القرن التاسع عشر في مختلف الدول الغربية كانت تنبئها بمحصول وفير ، لا سيما أن رياح الأحداث التاريخية كانت تسير وفق ماتشتهيه سفن قادة الصهيونية ومؤيديها ، فمنذ بداية القرن العشرين ساعدت الحكومات الفرنسية المتتالية الحركة الصهيونية ع الاتصال بيهود شمال أفريقيا ، بعد أن وضعت يا على تونس والمغرب ، بالاضافة إلى الجزائر ا ضمتها إلى أراضيها كما أسلفنا ، وبذلك تمك الصهيونية من حث هؤلاء اليهود للهجرة فلسطين ، ليكونوا أوائل المرتزقة في عصاب الهاجانا ، والأرغن ، وشتيرن ، ويضاف إلى ذ أن فرنسا قد ساعدت على دق إسفين التفر والبغضاء بين الجزائريين العرب والجالية اليهو لخلق شرخ في صلب المجتمع المغربي ككل ، حتى منحت اليهود الجنسية الفرنسية لتسهيل فر الجزائر وفصل الطائفة اليهودية عن وطنها الأ

وقد ساعدت هذه العملية على هجرة عدد لابأس من يهود المغرب إلى فلسطين ، إذ شهدت فلس قبل الحرب العالمية الأولى موجتين رئيسيتين الهجرات اليهودية (١٨٨٢ ـ ١٩٠٣) كان لهما الفضل في التمهيد لقيام « دولة اسرائيل » فيما بعد

وبعد اشتعال الحرب العالمية الأولى في عام ١٤ وانقسام دول العالم الكبرى إلى كتلتين متصارعتو دول الحلفاء (بريطانيا ، وفرنسا ، وروس وايطاليا ، والولايات المتحدة) ، ومجموعة المحور (المانيا والنمسا ، والدولة العثمانية) وح بريطانيا في فترة من فترات الحرب سأنه لاسد تصعيد الحرب في منطقة الشرق ، بعد أن وا دول الحلفاء صعوبات عسكرية في المنطقة العر

وقد رأى لويد جورج أن احتلال فلسطين بات ضروريا عاجلا ، على الرغم من حصول فرنس منطقة الجليل الأعلى من فلسطين حسب اتف (سايكس / بيكو) ، وتمهيدا للاحتلال لجأ ل جورج إلى تعزيز صلته بالحركة الصهيونية و فرنسا ، تقديرا منه للنفوذ الصهيوني واليه اللذين يسيطران على السياسة الفرنسية ، وإمك هذين النفوذين المالية الهائلة والمهيمنة على الاق الفرنسي .



كتاب العربي مرآة العقل العربي





علماء عرب في سماء الطب

بقلم : الدكتور علي مبارك*

في التاريخ العربي الاسلامي كثير من مشاهير الأطباء أمثال الرازي وابن سينا والزهراوي وغيرهم ممن رفعوا راية الطب العربي ، وقد حظي البعض منهم بنسب متفاوتة من اهتمام المعاصرين ، لكن الزهراوي والرازي ظلا يفتقران إلى من يقدمهما وينوه بذكرهما .

من هو الرازي ؟. هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي . ولد في مدينة (الري) احدى مدن بلاد فارس في عام ٢٥١ هـ المصادف ٨٦٥ م ، وتوفي في عام ٣١١هـ المصادف ٩٢٥ م عن عمر ناهز الستين عاما ، وتذكر بعض المصادر أنه بلغ الخامسة والستين . وربما اشتق لقبه (الرازي) من انتسابه إلى مكان ولادته (الري) .

لقد كان حظ الرازي أوفر من حظ أترابه علماء الطب في انتشار اسمه وشهرته وقد يكون مرد ذلك إلى أنه مارس الفلسفة في مقتبل عمره على نطاق واسع ، اضافة إلى ولعه بالعلوم والدراسات الموسيقية ، فاشتهر بالفيلسوف والموسيقي قبل ممارسته الطب والجراحة ، وقد ألف الكثير من كتب الفلسفة ، كما أنه اهتم بالدراسات التاريخية أيضا ، فكان مؤرخا مرموقا آنذاك

الرازي الطبيب

لم يكن الرازي طبيباً حتى سن الأربعين ، حيث بدأ يتجه بشكل حاد ومكثف لدراسة العلوم الطبية ،

* طبيب أول رعاية الأمومة ـ الخدمات الطبية ـ الكويت

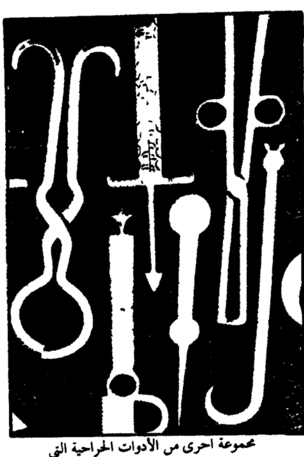
فكرس لها البقية الباقية من حياته .

وقد خلد الرازي أعماله الطبية في مؤلف ضخم أطلق عليه عنوان « الحاوى » ، ويضم هذا المؤلف كل دراساته الخاصة والمقتبسة في الطب فقط . وكان قد بدأ في مدينته الرى ، ثم انتقل بعدها إلى بغداد . وقد خصص جزءا من دراساته هذه للبحث في أمراض الأطفال ، وربما يعد أول طبيب اسلامي انتبه إلى أهمية هذا الجانب الخاص بطب الأطفال ، فصنفه وحصره في مؤلف خاص به ضمن كتابه (الحاوى) ، واعتبر ذلك بادرة فريدة للتخصصات الفرعية في ممارسة الطب . في بغداد اشتهر ببراعته في علاج مرض الجدري والحصبة ، وكيفية التفريق التشخيصي بينهما ، حتى أصبح مرجعا في هذين النوعين من الأمراض اذ كانا من أكثر الأمراض انتشارا ، فقام الرازي بوصف كل منهما وصفا تفريقيا دقيقاً اعتبر فيما بعد قاعدة طبية معترفا بها وقد ترجمت فيما بعد إلى اللغة الانجليزية في القرن التاسع عشر ، أي بعد وفاته بتسعة قرون . كما أن كتابه (الحاوى) قد ترجم بالكامل للمرة الأولى إلى اللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر ، وقد بلغ وزنه اثنين وعشرين رطلا ، وان آخر الترجمات قد تمت في عام ١٩٢١ بواسطة أحد الاساتذة الباحثين يدعى (براون) تحت عنوان (الطب العربي) ، ولكن المؤسف أن معظم هذه الاعمال قد فقد من المكتبات العالمية .

المنهج المقارن

الجدير بالملاحظة أن الرازي في كتابته الطبية كان يعتمد اسلوبا علميا معروفا هو الاقتباس والمقارنة في الآراء والأفكار . أى أنه يذكر أعمال الآخرين فيناقشها ثم يطرح أعماله الخاصة بالمقابل ، ويخرج منها بفكر هو حصيلة مجموع الأفكار والاعمال المطروحة ، وبهذا أوجد الرازي أول بادرة من هذا النوع في المؤلفات العربية .

يحتوى كتابه (الحاوى) على الكثير من التقارير المفصلة عن حالات مرضية مختلفة أبرز فيها براعته في طريقة تناول الحالات المرضية وعلاقتها بالتاريخ المرضي السابق للمريض . بهذا اقتبس طريقة سلفه



مجموعة اخرى من الأدوات الجراحية التى استعملها الزهراوي في علم الولادة

الطبيب الاغريقى (أبوقراط) ، وكذلك اعتمد طريقة الاستعانة باجراء بعض التحاليل المخبرية خاصة على عينات من البول للوصول إلى تشخيص الأمراض .

الرازي الكيمياوي والجراح

وكما برع في الطب الباطني وعلوم الأمراض الأخرى ، برع الرازي كذلك في علوم الكيمياء الدوائية ، والتغذية وكيمياء السموم وبخاصة تأثيرات سموم الأفاعى فعمل على تصنيف هذه المركبات والأعشاب المختلفة بشكل مبسط وسهل ، واستطاع أن يمزج بعضها البعض ليستخرج مركبات دوائية مختلفة من هذه الاعشاب ، وعالج فيها حالات الجدري والحصبة والحميات الاخرى وأدخل عبوات الأطفال حسب أعمارهم أيضا .

وقد ضمن أعماله هذه واعتبرها مكملة أو ملحقة بالجانب الجراحي من الطب ، وألف لها كتابا آخر تحت عنوان (المنصوري) ، ويقال إنه اختار لها هذا الاسم تكريما لحاكم المدينة آنذاك (منصور بن



الزهراوي يعالج مريضا مصابا بكسر في العضد

اسحق) ، وقد ضمن فيه بالاضافة إلى ذلك أبوابا مختلفة تتعلق بكيفية التعامل في شراء العبيد وتوصيات طبية للمسافرين وعلى الرغم من أنه كتب الكثير في الجراحة إلا أنه لم يتوفر لنا الكثير من المعلومات عن أنواع العمليات الجراحية التي كان يجريها كما فعل خلفه (الزهراوي) ، وربما كان قد صمم بعض الأدوات والآلات الجراحية إلا أنها غير مشهورة

الزهراوي

كانت الآراء إلى وقت قريب مختلفة حول اسم وكنية هذا الرجل الكبير ، وقد يعود السبب في ذلك الى أننا لم نأخذ عنه من كتبنا العربية والاسلامية بل من ترجمات أجنبية اختلفت كثيرا في كتابة اسمه بشكل صحيح وقد ذكر له مالايقل عن اثنى عشر لفظاً إلا أن بعض الكتب التاريخية العربية تقول إن اسمه الكامل هو : أبو القاسم خليفة بن العباس ـ أو ابن عباس ـ الزهراوي وفي كتب أخرى القرطبي،كما ذكرت تلك المصادر أنه ولد في عام ٩٣٦م وعاش سبعة وسبعين عاما ، وتوفى في عام ١٠١٣م ، وكما كانت الآراء مختلفة حول اسمه وكنيته لم يتأكد تاريخ وفاته بالضبط وقد توفى في مسقط رأسه على الأكثر إن اكثر المصادر العربية المتوافرة تؤكد أنه ولد في مدينة (الزهراء) التابعة لقرطبة آنذاك في اسبانيا ، وماتزال تحمل نفس الاسم باللغة الاسبانية ، ومن المؤكد أنه لقب بالزهراوى نسبة إلى مكان مولده هذا ، وكذلك بالقرطبي نسبة إلى قرطبة وقد تزامنت معظم سنين حياته التى عاشها مع الفترة التى ازدهرت فيها الدولة الاسلامية في الاندلس ، واعتبرت احدى الفترات الذهبية في الدولة الاسلامية ويقال إنه كانت له حظوة وتقدير كبيران لدى السلطان عبدالرحمن الناصر ثالث حكام الاندلس آنذاك نظرا لمكانته العلمية وبروزه في ممارسة وتطوير العلوم الطبية ، وقد خدمه في ذلك

كونه ولد وترعرع في هذه القمة التي سميت بالزهراء مؤخرا لأنها كانت محببة لدى السلطان الناصر ، فاهتم بها وشجع العلماء على تطويرها لتكون مركزا علميا وأدبيا بارزا بالإضافة إلى مركز قرطبة

الطبيب والجراح

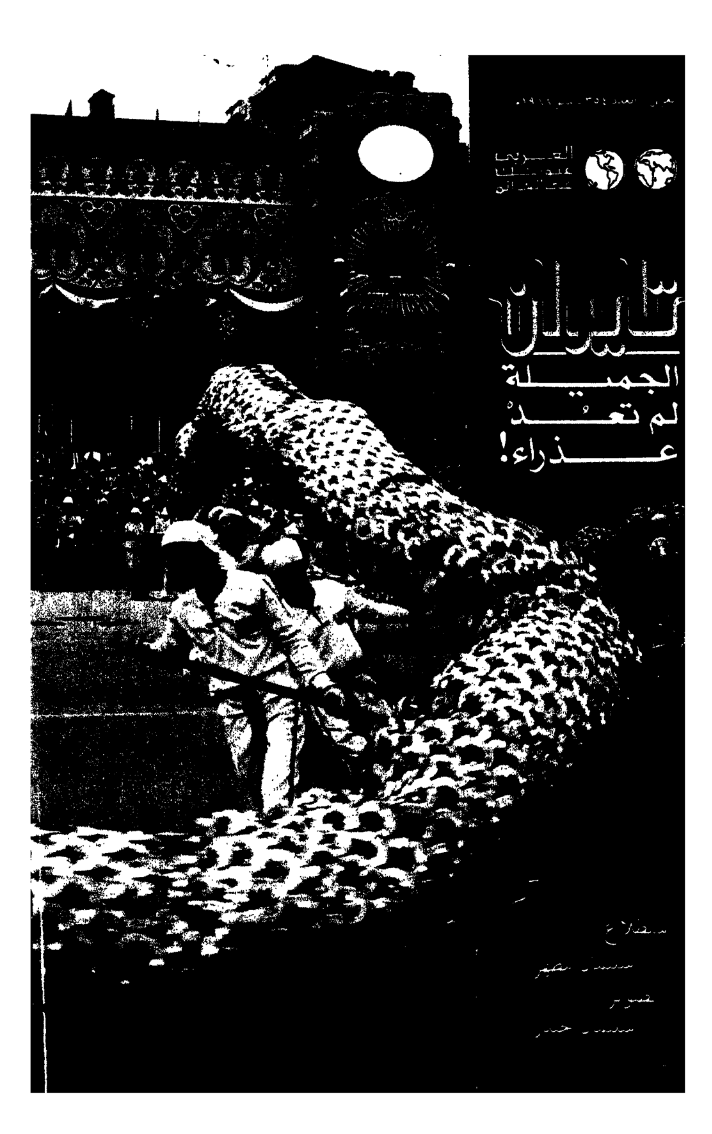
لقد برزت قابليات وامكانات هذا الرجل الكبير في ممارساته المتعددة في كل فرع من فروع الطب ، وما يهمنا هو الاضافات التي ادخلها الى الطب آنذاك سواء في حقل العلاج أو في اختراع وتصميم الآلات الجراحية المختلفة . . وقد امتلأت صفحات كتابه (التصريف) بالعديد من التصاميم والصور المختلفة للآلات والأدوات التي استعملها في الجراحة ، وكان آنذاك قد اطلع على التراث الطبي الاغريقي والفارسي ، وخرج بنتائج جمة منها أنه أكد على أهمية دراسة وفهم التشريح كأساس وضرورة لممارسة الطب في الوقت الذي كان هذا العلم غير واسع الانتشار ، فيما عدا مدرسة العالم الاغريقي (هيروفيليوس) الذي أنشأ مدرسة وذلك لتدريس تشريح الجسم البشري في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهكذا بنى الزهراوي أساسا متينا لتطوير علوم الطب الباطني والابداع في الجراحة في الوقت الذي لم يكن الغرب يعرف عن الجراحة واساليبها ومداخلها إلا النزر اليسير،وظل الغرب على هذا النحو حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي حين ترجمت مؤلفات الزهراوي بالكامل ليتوكأ الغرب على علومها ، ويستحوذ من ثم على معظم ما جاء فيها .

وكما برع في هذين العلمين ، كذلك برع الزهراوي في علوم العقاقير والمستحضرات وكثيرا ما كان يطلق عليه لقب (الجراح الصيدلي) ، فاستطاع بذلك أن يدمج هذين الشقين في علاجات الكسور وحالات الوثي وتمزقات أربطة المفاصل . كما برع في علاج كسور العمود الفقري بشكل خاص وخطا خطوات واسعة في جراحة بتر الأطراف ولم تقتصر عمليات الجراحة التي كان يجريها ، بل برع في علاج المسالك البولية وتحطيم حصاة المثانة أيضا بواسطة أدوات وآلات من تصميمه وغير هذا كثير مما يعد في ذلك الوقت طفرة هائلة في علم الجراحة ، حتى في حقل طب الاسنان والفم فقد ذكر في كتابه (التصريف) بعض عمليات تقويم الأسنان .

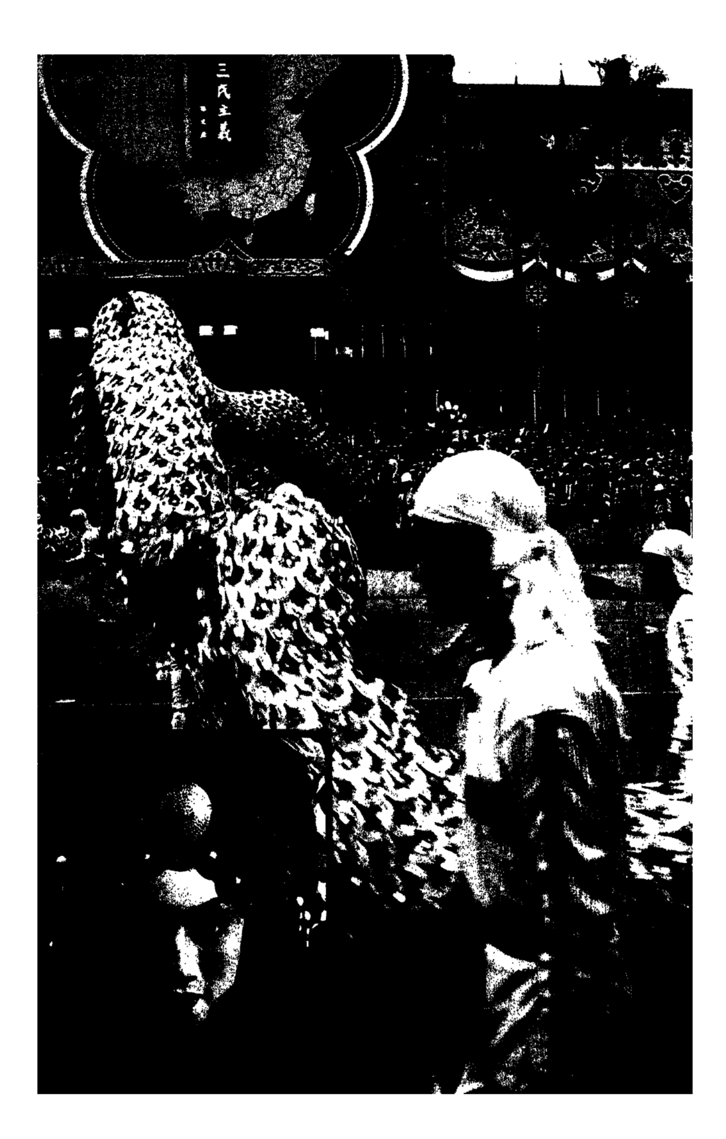
الزهراوي وعلم الولادة

كان الزهراوي أول من اخترع آلة الملقط (الجفت) الذي يستعمل في توليد الجنين عندما تتأخر ولادته في المرحلة الثانية من الولادة . وقد نسب هذا الاختراع مؤخرا إلى الطبيب الانجليزي (شامبرلين) كأول مكتشف للملقط ، وهذا خطأ ، فالحقيقة أنه سابقة فريدة للطبيب الزهراوي . بالاضافة إلى أنه كان أول من استعمل طريقة اخراج المشيمة المحبوسة بعد ولادة الجنين بالضغط على الرحم خلال جدار البطن والمسماة حاليا (طريقة كريدي) والمنسوبة خطأ لشامبرلين ايضا . كما أنه استطاع أن ينقذ المرأة الماخض من خطر الموت أثناء الولادة عندما يكون الجنين مشوها أو مصابا باستسقاء الرأس بأن اخترع أداة لخرق جمجمة الجنين وافراغها من محتوياتها لتسهيل عملية نزوله ، وللزهراوى طريقة توليد مميزة استعملها في بعض الحالات ، وقد وجدت مؤخرا باسم أحد الاطباء المعاصرين . هكذا نجد أن الغرب لم يكتف باقتباس ما وصل إليه العلماء والاطباء العرب والمسلمون بل نسبوا اكتشافه لأنفسهم . والصمت العربي تجاه هذه التجاوزات ليس بجديد إذ أننا اعتدنا على الصمت حيال اغتصاب اشياء كثيرة من تراثنا وما اكثرها !

إن الكتابة عن هذا العملاق لاتكفيها صفحات قليلة ، بل إن أمجاده بحاجة إلى تقييم وتحليل مسهبين . وقد يخرج القارىء بنتيجة واحدة في كل الحالات المشابهة لتاريخ حياة الزهراوي وهى أنه حيثما توافرت الحرية الفكرية كانت طاقات الابداع وزخم العطاء وافرة ، وعلى العكس فإن الكبت وتقييد حرية الرأي أو حتى الفكر الموجه بتيارات سياسية معينه قد لاتبدع الابداع المطلوب □



العربي
برلين
الجميلة
لم تعُدْ
عذراء!


三民主義

حين نزل المستعمرون البرتغاليون عام ١٥٩٠ على ساحل الجزيرة . . تصايحوا في إعجاب « أوه . . فورموزا . . فورموزا » وكانوا يعنون بلغتهم البرتغالية « الجزيرة الجميلة العذراء » !

لكن « تايوان » الجميلة . . لم تعد عذراء ، بعد أن حملت في أحشائها شعبا جديدا ، آباؤه من المضطهدين والنازحين والمهاجرين والمطاردين والصيادين والقراصنة ، وجدوا في أعماقها موئلا طيبا ومستقرا خصبا . ونما الشعب الوليد ليصبح تنينا عملاقا جسده أسطوري ، وقلبه صيني ، وعروقه يغذيها دم من كل لون ، وراح يبني لنفسه مستقبلا واعدا عامرا بالآمال ، طوع له كل ما يملك من قدرة على الإبداع ، ليصنع ما يشبه المعجزات !

قالت لنا وهي تنتقي كلماتها بالعربية الفصحى في لكنة صينية محببة : لا تستغربوا ، فقد غير أساتذتي اسمي الصيني في الكلية إلى « عواطف الدؤلي » . . فهم يرون أنني أستحق الانتساب إلى العلامة النحوي اللغوي « أبو الأسود الدؤلي » لحرصي على النحو والصرف والنطق بلسان عربي سليم . .

وكانت بالفعل تجيد الحديث بالعربية تماما كواحدة من بناتها ، كما كانت تستخدم الكثير من الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية ، وتضعها في أماكنها الصحيحة ، رغم أنها لم تدخل الاسلام إلا حديثا ، بعد أن تنقلت في سنها الذي لم يتجاوز العشرين ، بين الفلسفة الكونفوشيوسية والعقيدة البوذية ، حتى اختارت الاسلام ولغة القرآن عن إيمان واقتناع .

ولم نستغرب ذلك كثيرا . فقد التقينا في تايوان بمسلمين كثيرين يتحدثون العربية بطلاقة ، واتقان منهم مرافقنا موسى وزميله عثمان اللذان انطلقا بنا فور وصولنا الى العاصمة « تايبيه » لنشهد المهرجان الكرنفالي الكبير في الساحة الكبرى للقصر الجمهوري ، حيث كانت تزخر بالأعلام الحمراء واللافتات زاهية الألوان ، والزينات البديعة الرائعة ، بينما الجميع مستغرقون في رقص وغناء على أنغام الموسيقا التي تشدو فتملأ الأجواء وتبعث المرح والبهجة في القلوب .

وكانت المناسبة هي اليوم الوطني الذي يحتفلون فيه احتفالا مزدوجا بإزاحة حكم أباطرة « المانشو » في ١٠ أكتوبر ١٩١١ ، وباعلان الدكتور « صن يات سين » قيام جمهورية الصين الوطنية في أول يناير عام ١٩١٢ في الأرض الأم ، على أساس المبادىء الثلاثة للشعب : « القومية والديمقراطية ، والرفاهية الاجتماعية » وهي المبادىء التي حملها معه « شيانج كاي شيك » وأنصاره ورجال « الكومنتانج » حين اضطروا للانتقال الى عاصمتهم الجديدة « تايبيه » ، بعد أن سيطر النظام المناهض لهم على الوطن الأم ، وبدأوا يصنعون المستقبل الجديد في الموطن الجديد . . تايوان .

جزيرة الكرنفالات

اسم « تايوان » لم يعد غريبا على آذان الكثيرين منذ أغرقت أسواق العالم منتجات صناعية من كل لون وبمختلف الأشكال وأقل الأسعار ، تحمل العلامة التجارية للصين الوطنية . ولكن أغلب الذين سمعوا وعرفوا قد لا يتصورون أن تايوان ليست أكثر من جزيرة يبلغ طولها ٣٩٤ كم وعرضها في أكثر مناطقها اتساعا ١٤٤ كم ، يسكنها هي وتوابعها أقل من عشرين مليون نسمة ، ولا تزيد نسبة مساحتها عن ٤ في الألف من مساحة الصين الأم . . ثالث أكبر دولة في العالم مساحة ، وصاحبة أكبر عدد من السكان يتجاوز عددهم ١٢٠٠ مليون نسمة . وتبدو تايوان إلى جانب الصين الكبرى جزيرة قزمية على شكل سمكة تستلقي في مياه بحر الصين ، يفصلها خليج فورموزا غربا عن الساحل

الجنوبي الشرقي للصين الشعبية القارية بمسافة حوالي ٢٠٠ كم ، كما لا تبعد كثيرا عن هونج كونج والفلبين في الجنوب وكوريا في الشمال ، ويتجه رأسها الى اليابان في الشمال الشرقي . وفي السنوات الأخيرة ألغت تايوان اسم فورموزا الذي أطلقه عليها البرتغاليون ، ولم تتحول إلى جمهورية مستقلة إلا بعد أن انتقل إليها شيانج كاي شيك يوم ٧ ديسمبر ١٩٤٩ وأعلن تايبيه عاصمة انتقالية جديدة لجمهورية الصين الوطنية

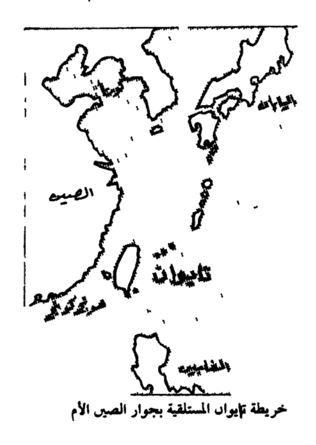
الفلاحون يرقصون

قبل أن نشهد الاحتفال الرسمي بالعيد الوطني تذكرنا ما قالته لنا صاحبتنا .

ـ ترون أننا شعب يحب المرح والرقص والموسيقا والغناء توارثنا ذلك عن الأمهات والآباء وتناقلنا عنهم أغانيهم وموسيقاهم ورقصاتهم وحتى حكاياتهم الشعبية وإحدى هذه الحكايات تحكي حسب ما جاء في الأساطير القديمة أن « التنانين » كانت منذ عهد بعيد تتواثب وهي ترقص وتغني مرحا في مياه الشاطىء الصيني ، وتقلب في صخب رمال القاع ومن هذه الرمال المقتلعة أقامت التنانين جزيرة على شكل سمكة أسطورية ملونة تستلقي في هدوء على مياه بحر الصين هي تلك الجزيرة التي نعيش عليها الآن تايوان !

التنين الصيني

حكاية التنين والرقص والغناء هي أبرز العروض التي شهدناها خلال المهرجان الكرنفالي الكبير بدأ العرض باقتراب التنين الرمزي الضخم بألوانه الزاهية محمولا على الأعناق والأكتاف ، ليسيطر على الساحة بين أنغام الموسيقا الصاخبة طول التنين البلاستيكي المنفوخ بالهواء لا يقل عن مائتي متر وهو يتحرك راقصا صاخبا ، ويحمل أطرافه أكثر من مائة من الراقصين في الملابس التقليدية يدورون ويقفزون ، وهو يتلوى ويتثنى بين صفوفهم بطريقة مثيرة ، في رقصات غاية في الدقة والبراعة والتناسق والتناغم والجمال ومن فم التنين تنطلق نفثات دخانية متباينة الألوان وكأنها انطلاقات ألسنة اللهيب المستعر يرسلها خلال رقصته المجنونة الثائرة ولا تهدأ ثورته إلا حين تحيط به مواكب الزهور التي تضم



خريطة تايوان المستلقية بجوار الصين الأم

فتيات في عمر الزهور ، يرقصن في أزياء تمثل التنانين الصغيرة وسط الورود والرياحين الزاهية الألوان

وإذ يستمر العرض نتذكر صورة التنين كما نعرفها ونراها مرسومة أو منحوتة في مختلف المعالم التاريخية والدينية ، وفي رسوم الفخاريات الفنية وعلى حوانب الطائرات والفوانيس الورقية التي تنتشر في كل مكان في الصين

مهرجان الزهور والألوان

ونعود لمتابعة عروض المهرجان

موجات جديدة من طالبات الكليات والمعاهد العليا في أزياء متباينة الألوان ، كل مجموعة بلون خاص ، يحملن الورود أو البالونات والأعلام أو المراوح ، ويتلاعبن بها في تشكيلات بديعة ، لينتهي موكبهن بزهرات في زي الفراشات تتراقص أجنحتهن الحريرية المفتوحة ذات الألوان الزاهية المبهجة ونتابع موجة إثر أخرى من الصغيرات اللاتي يقدمن استعراضا رائعا بطول الساحة وعرضها في تشكيلات من الألعاب والرقصات وباقات الزهور ثم تطلق آخر مجموعة منهن بالوناتها الملونة لتطير فتغطي سماء الساحة متراقصة هي الأخرى في تناغم وتنسيق متكامل غاية في الإبداع





طوابير العرض في الساحة الكبرى . . وصورة « صن يات سين » تتصدر واجهة القصر (الى اليمين) . وفتيات في عمر الزهور خلال الاستعراض الراقص في المهرجان الشعبي (الصفحة المقابلة) . بينما تطير فراشة بشرية وهي تتراقص بأجنحتها الحريرية ذات الألوان الزاهية (أسفل) .

ولاستكمال الجو الاحتفالي والعيون مشدودة إلى السماء ، يجري عرض جوي بالطائرات التي تنفث خيوطا طويلة ملونة وتقدم تشكيلات بهلوانية يؤديها طيارون مبدعون ، قبل أن يهبط المظليون من الأجواء لينزلوا في ساحة المهرجان .

وتتوالى العروض . . ويتقدم موكب الزهور ولاعبات الاكروبات والألعاب البهلوانية المثيرة على الدراجات البخارية مما يستقطب أنظار الجماهير المتابعة لهن في انبهار يحبس الأنفاس .كما تتوالى جموع المؤدين لمشاهد الأقنعة والأسود في عروض تمثيلية متميزة ، لينتهي المهرجان بطوابير العسكريين والمجندات والملائكة البيضاء والفلاحات والعاملات في مشاهد رائعة مثيرة .

ولأن تايوان بلد الأعياد والمهرجانات ، فإن الاحتفالات تتكرر مرة أخرى في المهرجان الغنائي الموسيقي الشعبي الذي أقيم على مسرح الدولة الكبير في المساء . ونشاهد عروضا استعراضية أخاذة حاوية الكثير من فنون المرح والتسلية . بعض العروض تقدم ألعابا تنكرية تمثيلية فكاهية يشارك فيها الأطفال . من بينها مشاهد لمجموعة من الصغار وقد صبغت وجوههم بخطوط ذات لون أحمر زاه لتماثل أشكالهم هيئة القرود في القصة الأسطورية القديمة « رحلة الى الغرب » حيث يقدمون أعمالا تمثل القوى السحرية الخارقة . وضمن العروض نشهد رقصة الأسد الفولكلورية التقليدية يقدمها رجال يدخلون في جسم لأسد رمزي ، يؤدي كل منهم ببراعة تامة وتناسق حركات الأسد الحقيقية حين يقرقع بفمه ويطبق أسنانه ويصدر الزئير والصيحات التي تثير إعجاب المشاهدين . وينتهي الحفل بمشهد من أجمل المشاهد يؤديه صغار لا تتعدى أعمارهم الرابعة ، يعرضون قصة الصيادين الذين جاءوا ينصبون شباكهم لاصطياد العصافير ، ولكنها تتجمع وتتكتل معا حتى توقع الصيادين في نفس الشباك . . !

في الليل نجد أنفسنا في غمار الزحام الكبير في الساحة الواسعة التي تتوسط القصر الجمهوري وقاعة صن يات سين التذكارية والضريح الضخم لشيانج كاي شيك . الباحة تتألق بالأضواء الملونة والأعلام الحمراء التي تتدلى على الجدران ، وفي كل ركن منها تقدم عروض وألعاب بهلوانية مثيرة ، وتنطلق طوال الليل الألعاب والصواريخ النارية تشد أنظار عشرات الآلاف من العمال والفلاحين القادمين من المدن والقرى المجاورة ليسهروا طول الليل في رقص وغناء ، وهم يتبادلون التهاني بالعيد الوطني الكبير ، ويشعرون أنهم يستحقون المزيد من الاحتفالات ، فهم يرون أنفسهم رموز التقدم والازدهار والرخاء الذي يعيش فيه شعب تايوان . . .

مجتمع إنتاجي

يقول مرافقنا وهو يشير إلى الكتل المتزاحمة من الفلاحين والعمال : لقد حقق هؤلاء من خلال جهدهم وكفاحهم زيادة لا تصدق في الإنتاج . وهو إنتاج لا يغطي فقط احتياجات الغذاء لهذه الأرض المكتظة بالسكان ، بل يحقق فائضا ضخما من المحاصيل الزراعية يتم تصديره بملايين الدولارات التي تشكل عائدا هائلا لموارد البلاد . وقد أوجدت القوة الشرائية المتنامية للمزارعين أسواقا جديدة للمنتجات الصناعية ، مما عزز الصناعة الحقيقية وشكل أساسا سليما للبرنامج المبكر للبناء من جديد . ويتم ذلك من خلال السياسات الاقتصادية الهادفة للوفاء بالحاجات الأساسية للشعب ، وهي الغذاء والكساء والاسكان والاتصالات والتعليم ثم الرفاهية والاستجمام . ولا شك أن تحقيق هذه الأهداف على نحو منصف وعادل جاء نتيجة المساواة في ملكية الأراضي وفي الثروة الاجتماعية . هذه المساواة أدت إلى التحسن الكبير في رفاهية الشعب والى التنمية الصناعية للبلاد .

ويمكن إدراك أن كل خطة إنمائية استطاعت أن تحقق أكثر مما كان متوقعا منها ، بفضل دأب هؤلاء الفلاحين والعمال وشجاعة التخطيط وكفاءة القيادات . والنتيجة هي إقامة مجتمع إنتاجي ذي صورة مدهشة لعل شعبه من بين أسعد شعوب العالم .

ازدهار اقتصادي

والحقيقة أن الازدهار الاقتصادي يسير بخطوات سريعة متطورة في جمهورية الصين الوطنية التي لا يعترف بها دبلوماسيا سوى ٢٢ دولة ، لكنها تتعامل تجاريا واقتصاديا مع دول العالم كافة ، بما فيها الصين الشعبية ذاتها ، التي وصل حجم التجارة معها من

حلال هوسح كوسح الى ١١٤٠٠ مليون دولار أمريكي والمثير أن الميزان التجاري الخارجي الذي كان يحقق عام ١٩٧٦ فائضا يبلغ ٥٦٧ مليون دولار ، قد حقق عام ١٩٨٦ فائضا يقدر بحوالي ١٦ ألف مليون دولار أمريكي ، حتى أن تايوان أصبحت هي الدولة الثانية في العالم ـ بعد اليابان ـ التي تحقق فائضا يتزايد باستمرار في ميزانها التجاري ، كما أن الاحتياطي النقدي المتراكم في حزانتها قد تجاوز ٣٠ مليار دولار

ولتأكيد صورة هذا الازدهار تقول الأرقام ان إجمالي الانتاج القومي تجاوز ٦٠ مليون دولار عام ١٩٨٥ مع معدل نمو تجاوز نسبة ١٠٪ سنويا أما دخل الفرد السنوي الذي لم يكن يتجاوز ١٠٠ دولار في عام ١٩٥٢ فقد بلغ في نهاية عام ١٩٨٦ حوالي ٣٧٥١ دولارا يرتفع مع نهاية هذا العام الى ٥٠٠٠ دولار ، وهي إحدى أعلى النسب في العالم ، وتكاد تصبح تايوان في مصاف الدول المتقدمة ، وإن كانت لا تصل الى مستويات اليابان التي تتجاوز ١٥ ألف دولار للفرد سنويا

قال لنا الدكتور يوميح شو وزير الاعلام « إن الحكومة تبحث الآن ـ مع وجود الفائض النقدي الضخم ـ تشكيل مؤسسة لاقراض الدول النامية بفوائد مبسطة وعلى آجال طويلة ، كما يجري بحث اقتراح بتخصيص ١٠ مليارات دولار تقدم للدول النامية كمنح لا ترد

وقد حقق العام الماضي ازدهارا اقتصاديا وسياسا كبيرا وأدى ذلك إلى أن سمحت الحكومة منذ شهر يوليو الماضي للأهالي باستبدال أي كمية من العملة المحلية الى أي عملات صعبة وأن يودعها في أي بنك دون قيود ، بالاضافة الى السماح لأي شخص أن يحول سنويا في حدود خمسة ملايين من الدولارات الأمريكية أو ما يعادلها الى الخارج لأي غرض »

ولكن هناك شيئاً يجب ألا ننساه

فالواقع أن هذه الصورة المزدهرة التي تعيشها تايوان ، ما كان يمكن أن تتحقق إلا من خلال تدفق الأموال الاميركية التي انهالت عليها ـ وما تزال ـ في صورة مساعدات ومعونات واستثمارات ورءوس أموال وتقنية متقدمة ، هدفها الرئيسي أن تبدو تايوان في صورة متألقة حداثة متطورة ، لتكون شوكة في حلق الصين الشعبية

فمنذ تبنت الولايات المتحدة الامريكية شيانج كاي شيك لمواجهة النظام الشيوعي في الصين الأم ، انهالت المعونات الامريكية عسكريا واقتصاديا بشكل مباشر وفي أقصى نطاق ممكن ، كما انهالت المساعدات في سخاء أمريكي فريد ، وتدفقت مئات الملايين من الدولارات وملايين الأطنان من الذخائر والأسلحة على جمهورية الصين الوطنية وكان كل ذلك وراء الازدهار الذي شهدته تايوان،والأموال الامريكية تتدفق كالشلال عليها ، وهو أمر لا ينكره في الحقيقة جميع المسئولين على جميع المستويات

وكان علينا أن نعود الى التاريخ ونقلب صفحاته

من عمق التاريخ

في القديم كانوا يسمونها « جزيرة الكنز » (باو ـ داو) ، فهي عندهم جنة عدن الخضراء ، بحارها الزمردية وشمسها الذهبية ، الغنية بمواردها ، الخصبة بأرضها ، الواعدة بالأمل والقوة الكامنة

هكذا كانت تايوان في نظر سكانها الأقدمين

حكايات الكنز الموعود اجتذبت الكثيرين على مدى التاريخ كان القراصنة والمطاردون والمنفيون والمغامرون والتجار والمزارعون والصيادون جميعا يهربون من الشواطىء المزدحمة في الصين الكبرى تجذبهم مغناطيسية قوس قزح !

ووجد الصينيون أن الخضراوات والفواكه تنمو بسرعة ووفيرة في أرض الجزيرة الخصبة ، بعكس ما كانت تمنحه أرضهم الأصيلة كما أن بطن الأرض عامر بالمصادر المعدنية من فحم وحديد وكبريت مما يشجع على إقامة مجتمع جديد ، وهي غنية بالأحجار الكريمة من الحاديت الأخضر والأوبال والمرجان مما يغذي اتجاهاتهم الفنية في الصناعات اليدوية التقليدية

ومع مر السنين تحولت تايوان لتصبح مركزا للتبادل التجاري الحر بخطوط ملاحية مع الصين واليابان وهونج كونج ، أبرز ما تنقله سفنها البضائع المهربة بعيدا عن عيون الجمارك

ثم تتابعت الغارات على تايوان وجاء اليابانيون والهولنديون الذين راحوا يعلمون الصينيين كيف







كل بنات تايوان يشاركن في الكرنفالات .. حتى فتيات القبائل التقليدية من الجنس الأصيل الذي يعيش في الجبال يقدمن رقصة « الباي باي » (الصورة العليا) . أما فتيات الجيل الجديد من طالبات الجامعات المجندات فيسرن في خطوات عسكرية رشيقة (في الوسط) . بينما الزهرات الصغيرات من الجيل الجديد يتلاعبن بالورود والمراوح والبالونات في تشكيلات غاية في الابداع (أسفل) .

وعلى الصفحة المقابلة ثلاثة مشاهد من المهرجان تشترك فيها العصافير الصغيرة والفتيات الراقصات .. مع فرحة الصغير على كتف أبيه .

يخلطون الدخان مع الأفيون ليدخنوه . واستطاعت أسبانيا أن تضع أقدامها على أرض الجزيرة حيث أقامت قواعد لها في الشمال كانت موضع هجمات الهولنديين الذين تمكنوا من طردهم عام ١٤٦٢ . وفي نفس العام غزا « المانشو » القادمون من منشوريا جميع أنحاء الصين بما في ذلك تايوان ، وامتد حكمهم من عام ١٦٤٤ حتى عام ١٩١١ ، وهو حكم آخر عصور الأباطرة في الصين .

في وسط تلك الفترة جرت أحداث أعادت تايوان الى سجلات التاريخ . . فقبل أن تصل جيوش المانشو إلى بكين وجه آخر أباطرة « منج » قائدا من رجال تايوان البحريين اسمه « شنج شي لونج » ليقود بقايا جيوشه . وعندما شنق الامبراطور نفسه بعد هزيمته ، قرر القائد « شنج » أن يحتفظ بالقوات التي بين يديه ، ثم تزوج فتاة يابانية أنجبت له ولدا أسماه « شنج شنج هونج » وحمل الابن لواء أباطرة منج بعد رحيل أبيه وعرف باسم « كوكسنجا » .

البطـل القـومي

على رأس جيش قوامه مائة ألف رجل وأسطول يضم ثلاثة آلاف سفينة شراعية واصل « كوكسنجا » الحرب ضد المانشو مدة اثنتى عشرة سنة من عام ١٦٤٦ ، واستطاع أن يستعيد العاصمة الجنوبية « نانكنج » ، غير أن جيوش المانشو عادت فأرغمته على التراجع الى سواحل تايوان ، حيث قطع نفس الطريق الذي قطعه بعده بثلاثمائة عام ، القائد العسكري الجمهوري « شيانج كاي شيك » .

في تايوان واجه كوكسنجا المستعمرين الهولنديين الذين اعتبروه قرصانا استهانوا به . وفي عام ١٦٦١ أبحر كوكسنجا الى الشاطىء على رأس ٣٠ ألف مقاتل في أسطول شراعي كبير ، وأرغم ثلاثمائة مقيم و ٢٢٠٠ جندي هولندي على الانسحاب والتحصن في ثلاثة حصون ساحلية ، وتواصل الحصار مدة عامين استطاع كوكسنجا بعدها الاستيلاء على قلعة زيلندا ، وسمح للقائد الهولندي ومن بقي حيا من رجاله بمغادرة الجزيرة . ومنذ تلك اللحظة بدأت الهجرة الصينية الكبرى عندما تبع كوكسنجا الكثير من الصينيين للاستيطان في تايوان وهم الذين يشكلون الآن الغالبية العظمى للسكان الحاليين الذين يعرفون بالتايوانيين .

ومع انسحاب اليابانيين والأسبان والهولنديين أصبحت تايوان من ممتلكات كوكسنجا ، الذي حكمها باقتدار كبير ، وتمسك بالتقاليد والفنون والثقافة التقليدية الصينية . ولكن فترة حكمه لم تدم أكثر من سنة واحدة إذ مات في سن الثامنة والثلاثين ، واعتبره أهل تايوان بطلا قوميا برغم أن الجزيرة سقطت ـ لضعف أبنائه ـ في يد المانشو بعد أربعة وعشرين عاما .

وإذا كان كوكسنجا يعتبر بطلا قوميا عند أهل تايوان ، فثمة رجل يعتبرونه بطلا قوميا آخر ، وصانعا لتاريخهم الحديث . إنه « شيانج كاي شيك » ، الذي أقاموا له نصبا تذكاريا وتمثالا ضخما ، ولا يمكن لأي زائر لتايبيه إلا أن يضعه في برنامجه ويدور في متحفه الذي يحكي تاريخه . . بالقلم والريشة والصورة . . والتسجيل السينمائي . . !

المتحف والنصب التذكاري

اخترقنا بين البوابة الرئيسية وقاعة النصب التذكاري ممرا طوله ٣٨٠٠ متر ، لنصعد ٨٩ درجة تصل بنا الى مدخل القاعة التي يبلغ ارتفاعها ٧٠ مترا ، يعلوها برج ذو إفريزين دائريين مضلعين من القرميد الأزرق . يتوسط القاعة تمثال برونزي ضخم للرئيس شيانج كاي شيك ارتفاعه أكثر من ستة أمتار وزنته ٢٥ طنا . وعلى الجانبين المحيطين بالجدار وراء التمثال نقش مكتوب يلخص فلسفته في الحياة : « أن تعيش هو أن تخلق حياة طيبة لكل الناس » . . .

وننتقل إلى قاعات المتحف الخاص الذي يحكي تاريخ الرئيس شيانج . ومن خلال الصور والرسوم والمعلقات الخاصة والنياشين والوثائق وصفحات الصحف والمجلات وبخاصة الأمريكية نتابع تفاصيل الأحداث في حياته التي وزعت على إحدى عشرة قاعة لكل منها عنوان موضوعي :

الانحدار من عائلة ذات أصل ونسب ، طالب نجيب وثائر بطل ، الالتحاق بالأكاديمية العسكرية والانضمام للثورة الوطنية ، البعثات الشرقية ، البعثة الشمالية والوحدة الوطنية ، حمله لواء مناهضة الشيوعية ، الخلاص الوطني والمقاومة ضد الغزاة ،

الوقوف في وجه الاتجاه الشيوعي ، الاندماج من أجل الاحياء الوطني ، الاسهام في العلاقات الدولية، الحزن المروع لفقد البطل القومي . . .

قصـــة الثــورة

في سجل التاريخ الحديث المعروض في قاعات متحف شيانج كاي شيك عرض لكل ما يتفق مع الصورة المضيئة لبطل قومي . ولكن هناك أشياء أخرى تم التجاوز عنها ولم يأت ذكرها أو تصويرها كما شهدها تاريخ الثورة الصينية ، وكما ذكرتها المراجع والكتب المعاصرة التي تحكي قصة هذه الثورة، وأحداثها . . !

ونعود مرة أخرى لنقلب صفحات التاريخ . . .

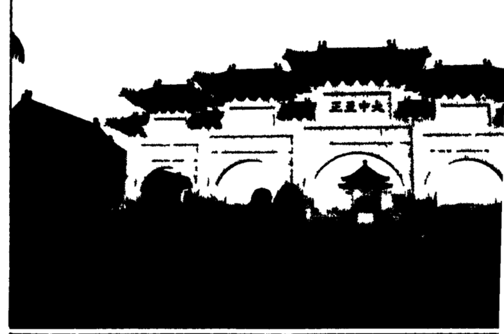
تحت حكم « المانشو » ، رزحت الصين تحت نير دكتاتورية استبدادية وطغيان إقطاعي لا يعمل حسابا لمئات الملايين من الفلاحين الذين كانوا يمارسون حياة شاقة بالغة القسوة . وإذا كانت أسرة المانشو ـ وبخاصة في القرن الثامن عشر ـ قد أغلقت أسوارها على نفسها في وجه التجار الاوروبيين الذين حاولوا دون جدوى اختراق أبواب الصين ، إلا أن الوضع انقلب تماما لسوء حظ الصين مع بداية القرن ١٩م .

كانت الدول الاوروبية في ذلك الوقت تعيش ثورتها الصناعية الكبرى ، مزيحة المجتمع الزراعي القديم ، ومصوبة عيونها نحو الصين وجاراتها الآسيوية ، على أمل أن تستولي على خاماتها لتشغيل مصانعها ، وعلى منتجاتها الزراعية لتأمين الطعام لشعوبها ، بالاضافة إلى إخضاعها لسيطرتها لتكون ميدانا لأسواقها .

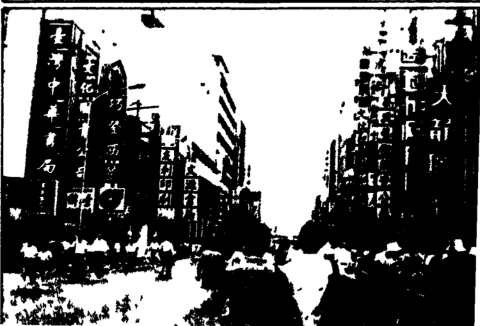
وقع الصدام المفتوح في هذا الاتجاه ضمن سلسلة ضربات موجهة ضد الكرامة الوطنية للصين . ففي سنة ١٨٤٢ شنت بريطانيا حرب الأفيون ضد الصين . وأتيحت الفرصة للاستعمار بكل أشكاله ودوله للانقضاض وإنشاب مخالبه لاقتطاع ما يريد من جسد الصين . وكان لابد من اليقظة وقيام ثورة كاسحة سواء ضد آخر حكام المانشو الضعاف المتخاذلين أو ضد الغزاة المستعمرين . ولكن الخلافات والأيديولجيات والخيانات شقت صفوف الثوار حتى انتهى الأمر إلى حرب أهلية داخل الصين نفسها . . حيث لعب شيانج كاي شيك دورا يستحق التسجيل .

فقد سار الجنرال على درب « صن يات سن » الذي أقام حزب « الكومنتانج » (جمعية تجديد الصين) ورفع علم الثورة على فساد المانشو مما أدى إلى سقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية برئاسة الدكتور صن ، وعندما تولى شيانج كاي شيك القيادة بعد موته عمل على إعادة البناء الوطني ومواجهة المعتدين اليابانيين الذين احتلوا منشوريا وأجزاء من الصين وتايوان . وواصل الجنرال قيادة الشعب الصيني في مواجهة الغزو الياباني حتى انتهت الحرب العظمى الثانية باستسلام اليابان واستعادة الأراضي المحتلة . وبعد وضع الدستور القائم على أساس مبادىء الشعب الثلاثة للدكتور صن ، انتخب الجنرال أول رئيس دستوري في التاريخ الصيني عام ١٩٤٥ ، وزار تايوان للاعلان عن انتهاء الحكم الياباني . غير أن الحزب الشيوعي الصيني كان قد بدأ حركته لضرب حزب الكومنتانج وبدأ الزحف للاستيلاء على السلطة . وبرغم المقاومة الشديدة لم يجد الجنرال إلا أن ينتقل بحكومة جمهورية الصين الوطنية عام ١٩٤٥ إلى مقاطعة تايوان لمواصلة البناء الوطني من العاصمة الجديدة تايبيه . وانتقل مع حكومة الكومنتانج إلى تايوان ما يزيد على مليونين من المؤيدين من بينهم الجنود الذين اشتركوا في الحرب الطويلة ضد اليابانيين وبعد ذلك ضد الشيوعيين .

كانت تايوان في ذلك الوقت متخلفة تماما بعد أن استغلها اليابانيون مدة خمسين سنة باعتبارها مصدرا لتزويدهم بالمحاصيل الزراعية . وبدأت حكومة الجنرال عملية إعادة البناء بمساعدة الصينيين التايوانيين لتحويل المقاطعة المتخلفة إلى طراز للمجتمع الصيني الحديث الذي تنبأ به الدكتور صن يات سن . ولأول مرة أتيحت لجمهورية الصين الوطنية الفرصة لتنفيذ مبادىء الشعب الثلاثة دون التدخل العسكري . وكان أساس السياسات الاقتصادية للمبادىء الثلاثة هو الوفاء بالحاجات الست الأساسية للشعب : الغذاء ، والملبس ، والاسكان ، والاتصالات ، والتعليم ، والرفاهية والاستجمام . ومن خلال تنفيذ هذه السياسات شهدت تايوان الازدهار الذي حقق ما يشبه المعجزات في عهد حكومة الكومنتانج . . .







عندما تخترق البوابة الرئيسية الى قاعة النصب التذكاري الضخم للرئيس شيانج كاي شيك تلفت نظرك فخامة المدخل بشكله التقليدي ، وأفاريزه المسقفة بالقرميد الأزرق بينما القاعة المنقوشة المزخرفة بالديكور النادر في سقفها يتوسطها تمثال برونزي ضخم لشيانج شيك ارتفاعه أكثر من ستة أمتار ولا تكاد تترك النصب التذكاري حتى تدخل في خضم الطرق المحيطة التي تبدو ساحات حية كلها حركة دائبة زاخرة بالحياة

باي باي . . تايوان !

الجميلة ولو لم تعد عذراء . . ما تزال آية في الجمال والابهار .

وهل أروع من جمال ثقافي زاخر بكل الألوان الفنية والرقص والغناء والموسيقا والتمثيل والأوبرا والنحت والخط والابداع في أعمال الخزف واليشب والسيراميك والزخرفة والرسم والتلوين ؟!

وإذا كنا قد شهدنا في الاحتفال الكرنفالى بالعيد الوطنى ألوانا رائعة من المرح والموسيقا والغناء والاستعراضات ، إلا أن ذلك قليل من كثير مما تزخر به أيام تايوان من احتفالات ومهرجانات وأعياد وعروض شاملة لكل الفنون ، تمشيا مع المبادىء الثلاثة التي أعلنها الدكتور صن الذي دعا إلى تطوير هوية وطنية وحكم ديمقراطي والاهتمام برفاهية الشعب ، وهي أفكار وتعاليم ما تزال تؤثر تأثيرا كبيرا على الشعب الصيني في تايوان الذي ما يزال يؤمن بأنها مستوحاة من المبادىء الكونفوشيوسية التي تركز على أهمية العلاقات الأخلاقية بين جميع الناس وأهمية كرامة الانسان ، وهدفها الخير والحرية والمساواة والاخوة على أساس المعتقدات الصينية القديمة ، كما أنها تؤمن بأن التسلية والترفيه هي إحدى الحاجات الرئيسية لحياة الشعوب . . .

من هنا كانت الأعياد والمهرجانات من أبرز معالم الحياة فى تايوان . وهي لا ترتبط فقط بالمناسبات الوطنية ولكن بالمناسبات الدينية والتقليدية منها بوجه خاص .

الاحتفالات المحلية الدينية التي تجرى للآلهة الحامية للشعب في تايوان تسمى « باى باى » وتتميز بمهرجانات زاخرة بالألوان نهارا ، والسهر والمرح والولائم ليلاً ، حيث تبدأ دائما بتقديم الطعام والشراب على الموائد لأرواح الأسلاف والآلهة التي تتناولها أولا حتى تشبع بطبيعتها الروحانية التي لا تتغذى بالماديات ، تاركة للمحتفلين بقايا الطعام ليتناولوه ، وهو بالطبع كل ما وضع على المائدة من ة دون أن ينقص منها شيء مادى .

تقام أبرز الأعياد الدينية في ذكرى ميلاد كونفوشيوس معلم الصين العظيم منذ ٢٥٠٠ سنة ، حيث يحتفل به كل الصينيين تحت اسم « عيد المعلم » . تبدأ الاحتفالات مع مطلع الفجر في المعابد الكونفوشيوسية بجميع أنحاء تايوان ، وتتضمن عزف الموسيقا على الآلات الموسيقية القديمة ، والرقصات الطقوسية التقليدية ، وعرضها الواحدة تلو الأخرى من الفنون المستوحاة من الطقوس الكونفوشيوسية .

المعلم الفيلسوف عرف في جميع أنحاء العالم بتعاليمه الأخلاقية . فالأخلاق مطلبه وهمه الأول ، وعلاج المجتمع لا يتأتى إلا بتجديد أخلاقى قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس صالح قويم . والانسان الكامل الأسمى في رأيه يتمتع بفضائل ثلاث هي الذكاء والشجاعة وحب الخير . والقاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق الرجل الأعلى هي العطف الفياض على الناس جميعا ، وألا يغضبه أن يسمو غيره من الناس ، وهو يجمع الصفات الخلقية لهذا الرجل الأعلى في عبارة تبدأ بها الاحتفالات الكونفوشيوسية في جميع أنحاء تايوان يرددها المحتفلون جميعا : « يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور : فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوح ، وأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشا ظريفا ، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورا ، وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصا ، وفي تصريف شئون عمله يحرص على أن يبذل فيه عنايته وأن يبعث الاحترام فيمن معه ، وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس ، وإذا غضب فكر فيما قد يجره عليه غضبه من الصعاب ، وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة » .

إيمانا بتعاليم كونفوشيوس وتمجيدا له يستمر الاحتفال بمولده منذ الفجر وطوال اليوم . . ويشارك الشباب والطلبة صغارا وكبارا في تقديم رقصات تقليدية وموسيقية تعبيرا عن احترامهم لمعلم الصين الأول .

الاحتفالات القمرية

احتفال آخر له قيمته هو الاحتفال بأول السنة القمرية . في ذلك الوقت يتوقف كل شيء . فالاستعدادات قائمة في كل بيت في الليلة الأخيرة من السنة المنتهية ، وقبلها بأسبوع يكون إله الطبخ وإله

الثروة قد صعدا لتقديم تقريرهما الى إله السماء حول ما يجرى في البيوت وخلال الأيام السبعة يكون كل إنسان مشغولا بتنظيف البيت وإعادة صباغته وتلوينه وبإنجاز كل المشتريات والأطعمة المطلوبة من السوق ، وتزيين الغرف بالأزهار والورود ، وتعليق صور الآلهة الحارسة على مداخل الأبواب

وعند غروب شمس الليلة الأخيرة تجتمع العائلة كلها داخل البيت ، بينما تكون جميع الأبواب قد ختمت بالشمع والورق الأحمر لمنع ثروة العائلة من الهروب وتبدأ المأدبة الكبيرة التي تكون قد أعدت خصيصا لهذه المناسبة وقبل تناول الطعام يحني كبير العائلة رأسه ويتبعه الآخرون لتقديم تحية التكريم للأسلاف وعندما ينتصف الليل تجرى إزالة الأختام عن الأبواب لاستقبال الآمال والتمنيات الطيبة للعام الجديد ثم تنطلق الألعاب النارية لتغطى السماء وتظل مستمرة حتى الفجر ذلك هو اليوم الوحيد من السنة الذي تخلو فيه جميع الشوارع من الناس لوجودهم داخل البيوت ، والذي ينتهى عادة بجلوس رب العائلة لتلقى تهانى جميع أفرادها ، ويتلقى الصغار منه هدايا العيد

وثمة عيد آخر كانت تتعطل فيه الأعمال لأسبوع أو أسبوعين ، بمناسبة اكتمال القمر في أول شهور السنة ، حيث يجرى مهرجان الفوانيس الملونة التي تزين بها الشوارع والبيوت والمبانى الحكومية والأهلية ولكن عطلة هذا الاحتفال تقلصت الآن إلى يومين أو ثلاثة وإن ظلت القناديل والفوانيس معلقة في كل مكان

الاحتفالات والأساطير

لا يكاد يخلو أي احتفال أو مهرجان في تايوان من علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع أسطورة تروى

ومهرجان وسط الخريف يكاد يكون صاحب أكبر كمية من الأساطير الرومانسية الصينية التي تروى عن القمر والطعام الرئيسي الذي تقدم خلاله « كعكة القمر » متباينة الأشكال بعضها حلو وبعضها مالح ولكنها محشوة بالفواكه والجوز والبندق والتذوق من كل صنف منها إجبارى على الجميع !

وفي احتفالات الربيع تغلق جميع المحلات في تايوان مدة أسبوع ، ويتمثل المهرجان التقليدي في تبادل الظروف الحمراء المسماة (هونج باو) وهي معلقة على هدايا نقدية للأصدقاء تتباين حسب تخمينات الحظ التي ترفق في أوراق صغيرة ولكن أسوأ ما يمكن أن يقع فيه أحدهم هو أن يصله رقم ٤ فهو شؤم على صاحبه لأنه يماثل كلمة الموت وقد لاحظنا بالمناسبة أن رقم ١٣ ملغى تماما في طوابق الفنادق وفي كل مكان لأنهم يتشاءمون منه أيضا !

مهرجان قوارب التنين نوع آخر من الاحتفالات الشعبية في تايوان ، يجرى في اليوم الخامس من الشهر القمرى الخامس في ذلك اليوم تجرى سباقات القوارب المزخرفة بألوان التنين في الأنهار التي تخترق مختلف المدن في تايوان ويقول لنا مرافقنا « ان هذا الاحتفال يقام حربيا على تقليد قديم يرتبط بأسطورة شعبية تحكى أن طالبا موهوبا اسمه « شويوان » في القرن الثالث قبل الميلاد لم يحظ بتكريم الامبراطور لمواهبه ، فانطلق الى النهر حيث أغرق نفسه وأسرع الناس الى قواربهم يحاولون إنقاذه وانتشاله ولكن عبثا ، إذ كان قد اختفى في أعماق المياه وظل الناس كل سنة يستقلون القوارب ويتسابقون في الأنهار في ذكرى تلك المناسبة وذات يوم ظهر « شويوان » في الحلم لأحد الملاحين يستحدى طعامه من بعدها ظل الناس يلقون حبات الأرز في النهر من أجله وبعد فترة ظهر « شو » في حلم آخر وهو يقول ان الأسماك تلتهم الأرز الذي يلقى إليه ، ويطلب أن يلقى الأرز في لفافات من أوراق شجر الخيزران مربوطة بخيوط متينة وهكذا بدأ الناس يصنعون لفافات الأرز التي يسمونها « تزونج تزى » ويلقونها في الأنهار قربانا لروحه في مثل ذلك الوقت من كل عام ، حيث تجرى في الاحتفالات سباقات زوارق التنين النهرى »

أوبرا تايبيه

الجميلة التي لم تعد عذراء رفضت أن تعود الى أيام الفقر والشقاء والظلام ، وآلت على نفسها إلا أن تمارس حياة الترف والرفاهية والزخارف والزينات ، وتعيش الليالي المترعة بالأضواء والألوان ولم يعد يهمها أكثر من أن تبدو متألقة كفاتنة ، مترفة كنحلة ترتشف الرحيق من كل ما تحط









الأوبـرا هي فن الحياة الـذي يـربط القـديم والحديث في تايبيه . . وليس أشد جـاذبيـة من مشهـد بطلة أوبرا « المحظية المحمـورة » وهـي تقدم للجمهور كـل مـا يرضي المشـاعـر التقليـدية للصينيين المحبـين لـلألـوان والأصوات والتمثيل والرقص والاكروبات (الصفة المقابلة) . أمـا الصور الثـلاث اليمنى . . فـالعليا لسور الصين العظيم كما يقدم في « نـافذة عـلى الـصـين » والـوسطى لـرقصـة فـولكلوريـة عـلى مسـرح المهرجـان ، والـسـفـلى لأحـد مشـاهـد مـوكب الزهور .

عليه من ورود وأزهار . وتضوع عطرها لتجتذب القلوب وتدير رءوس العاشقين . . .

وليس أشد جاذبية من الأوبرا بموسيقاها وألوانها وألحانها ما يستطيع أن يحقق للياليها كل ذلك . . .

ولكن الأوبرا الصينية هي موضع الاهتمام الذي يستحق المتابعة ، وهو ما فعلناه عندما حضرنا عرضا في دار الأوبرا في تايبيه ، حيث تغلق الأبواب ولا يسمح بالدخول بعد بدء العرض . . . ورحنا نتابع في انبهار أحداث قصة « المحظية المخمورة » . !

الأوبرا كفن من أجمل الفنون تمتزج دائما بالموسيقا والغناء . وليس مثل الأوبرا الصينية ما يرضي المشاعر التقليدية للصينيين المحبين للألوان والأصوات والتمثيل والرقص والأكروبات . وإذا كانت الأوبرا الصينية قد ولدت في بكين عام ١٧٩٠ عندما دعا الامبراطور « تشيان لونج » الفنانين من جميع أنحاء الصين لعرض فنونهم في احتفالات القصر ، إلا أنه حرم في نفس الوقت على النساء أن يشاركن في التمثيل ، فكان الرجال يقومون بأدوار النساء ، وقد مثلوها تمثيلا بلغ من إتقانه أن النساء حين سمح لهن في أيامنا هذه بالتمثيل من جديد ، كان لا بد لهن أن يعملن جاهدات على تقليد مقلديهن حتى يضمن النجاح . ومع هذا فقد استمر التمثيل الذي يمكن تسميته الأوبرالى ، وإن كان بعيدا تماما عما يقدم في الأوبرا الغربية ، وكانت العروض تقدم في الحانات ونوادى الشاى . وكان لا بد للممثلين أن يتقنوا الرقص والألعاب البهلوانية حتى يمكن لهم أن يجتذبوا انتباه النظارة الذين كانوا أثناء مشاهدة العرض يشربون ويأكلون ويتحدثون ويساومون الباعة الذين يقدمون لهم الدخان والشاى والمرطبات . تلك الصورة ليست بعيدة عما شهدناه خلال العرض فقد كان المشاهدون مشغولين بشراء المرطبات والمأكولات من « نادل البوفيه » وتبادل الحديث الذى يرتفع أحيانا دون اعتبار لما يجري .

ولم يكن النظارة ينتبهون إلا حين تستلفت أنظارهم قطعة مثيرة جميلة أو عالية الصوت ، مما جعل الممثلين يلجأون الى الصراخ بأعلى أصواتهم أثناء الأداء لكي يسمعهم المشاهدون . وكانوا في أغلب الأحيان يلبسون أقنعة على وجوههم حتى يسهل على النظارة فهم أدوارهم . . !

قمم الابداع الفني

يقولون في تايبيه ان تايوان ستبقى حصنا للثقافة والقيم الصينية وأنماط الحياة التقليدية . ومتحفها الذي أقيم على النمط الهندسي لقصور عصر سونج ، بحديقته الواسعة ذات الأسوار التي تحيط به يضم مجموعة عالمية ضخمة من قمم الابداع الصيني

من بين ما شهدناه من هذه القمم أثناء زيارتنا للمتحف الوطني ما شرحت لنا تفاصيله ومعالمه مرافقتنا عواطف الدؤلي .

يضم المتحف أكثر من ٧٠٠ ألف تحفة تحكي ماضى الصين ، منها الأواني الفخارية المسجلة من عصر ما قبل التاريخ ، والبرونز القديم ، والأنسجة المزدانة بالرسوم والصور ، واللوحات الزيتية من العصور الوسطى ، والتماثيل المثيرة ، والقطع الخزفية الحساسة ، والبورسلين واليشب الأخضر والمجوهرات الرائعة ، وبالتقريب أبرز إنتاج إنساني شرقي يمكن تصوره من مختلف فترات التاريخ

وتحف الخزف والصيني والسيلادون تعد بالآلاف في متحف تايبيه ، الذي جمع فيه أبرز القطع التي نقلتها إليه حكومة الصين الوطنية وهي تنتقل من الصين الأم الى تايوان . وكل هذه التحف مزخرفة وملونة ذات لمعان لم ينطفىء برغم مرور مئات السنين . وأروع المعروض منها تماثيل الأباطرة والأميرات والآلهة الى جانب تماثيل كونفوشيوس وبوذا والمقدسين الآخرين ، بالإضافة إلى الأواني والمزهريات ذات النقوش البديعة التي لم تتغير ألوانها. وكل هذه القطع الثمينة لا تقدر بمال حتى أن إحدى قطع البورسلين المهربة بيعت في مزاد أقيم في لندن بمائة ألف جنيه استرليني !

هكذا تتبعنا معالم الثقافة الصينية في المتحف الوطني في تايبيه وهي ثقافة تربط الصين الأم وتايوان . . على طريق الوحدة .

حلم الوحدة

تايوان مجتمع ديناميكي حديث واقتصادي متطور ، يتمتع بالكثير من النشاط والطاقة غير المحدودة والابتكارات الفنية البارزة والصناعات اليدوية الموروثة ، تماما كما يحافظ على القيم والأخلاقيات التقليدية المرتبطة بتعاليم كونفوشيوس

وفي تايبيه يمكن تتبع أصول الثقافة الصينية منذ عهد الامبراطور الأخضر الذي وحد القبائل في المملكة الوسطى حوالي عام ٢٧٠٠ق.م . بما يعني امتداد التاريخ المسجل الى حوالي خمسة آلاف سنة . وأغلب ما مر بالصين من أحداث محفوظ في تايوان . ولم يستطع أي شيء على مدى التاريخ تمزيق وحدة الصين مهما اتسعت أنحاؤها . فالثقافة وأنماط الحياة وحتى اللغة لم تتغير في كل مناطق الصين مما جعل العلاقات الداخلية وثيقة ثابتة .

وإذا كانت الأيديولوجيات الحديثة قد حفرت خندقا بين الصينيين ، فإن النظام الجمهوري الوطني في تايوان الذي يحكم من تايبيه ، والنظام الجمهوري الشعبي في الصين الذي يحكم من بكين ، كلاهما يقول انه هو نفسه حكومة كل الصين . وكل من الحكومتين لا تجادل في حقيقة أن تايوان إنما هي إقليم مكمل لأقاليم الصين الكبيرة . فالوطنيون يحكمون وفقا للنظام الرأسمالي والانفتاح الحر ، بينما الشيوعيون يحكمون على الأسس السياسية التي وضعها كارل ماركس ولينن . وكلتا الحكومتين تريدان إعادة توحيد تايوان مع الصين الأم « تحت نظامها » . . !

وبرغم الطريق السياسي المسدود بين النظامين ، فإن أيا منهما لم يطفيء جذوة العادات الصينية الموروثة . وللحقيقة فإن الثقافة الصينية التقليدية أصبحت هي العامل المشترك الذي ترتكز عليه جهود الصين الوطنية على أمل الوحدة . ويؤكد قادتها بحزم على أنهم أصحاب الحق الشرعي في حكم كل الصين في مواجهة الحقائق السياسية لأنهم - كما يقولون - يحكمون تبعا للتقاليد والفلسفات والنواميس الصينية المتوارثة . وتعاليم كونفوشيوس ما تزال تحكم المجتمع في تايوان . وبعد أن تمتعوا بمستوى مريح للحياة والمقاييس والاستقرار السياسي عادوا الى تدعيم وإحياء الفنون وتطويرها بخطى واسعة في الموسيقا والأوبرا والرقص والمسرح وفنون صناعة السينما الحديثة ، وذلك استعدادا لإعادة الروابط الثقافية الكاملة مع الصين الأم حين توحدها تايوان . . !! ر

هذا الحلم تبدو ملامحه من خلال ما قاله رئيس جمهورية الصين الوطنية « شيانج شنج كو » في آخر خطاب له بمناسبة العيد الوطني قبل وفاته التى حدثت في يناير الماضى : « إن حزب الكومنتانج الذي تحمل أعباء تعبيد طريق تقدم أمتنا التاريخي ، يأمل في التعجيل بحلول النصر وإعادة توحيد الصين تحت المبادىء الشعبية الثلاثة . ومن خلال ذلك سوف نرفع قريبا علمنا الوطني ، الرمز الخالد للحرية والعدل والمساواة والغد المشرق الدائم في كل أنحاء الصين . إننا نأمل من كل الصينيين أن يكرسوا أنفسهم للعمل على تحقيق هذه المهمة التاريخية . وبذلك سوف يرفرف علمنا الوطني على الوطن الأم في أقرب تاريخ ممكن » . . !

الأمل الذي يراود أحلامهم في تايبيه هو أن تنتصر الصين الوطنية ذات العشرين مليون نسمة ، على الصين الشعبية ذات الألف ومائتي مليون نسمة . . وأن تضمها الوحدة معها تحت علمها وفي ظل نظامها . . . !!

لعل الأمل والحلم في الوحدة هو ما جعلهم يقيمون مدينة قزمية صغيرة أطلق عليها اسم « نافذة على الصين » . . . في منطقة لونجتان ، تضم ٧١ نموذجا من أشهر معالم الصين التاريخية في منمنمات مصغرة ، تعبر عن الأساليب المختلفة للحياة في مختلف عصور المجتمع الصيني . وأبرز النماذج المقامة في المدينة النموذجية مختارات من معالم الصين الأم ، بينها سور الصين العظيم وممر شويونج ومعبد السماء في بكين والمدينة المحرمة بما فيها القصر الملكي وقاعة الزواج الامبراطورية ، ومغارات لونجمان وحدائق سوشو التقليدية والباجودا البوذية في معبد فوكنج وقصر لونج شينج والقصر الصيفي في شنتا وقاعة إلهة السماء في معبد شيني ، كل ذلك بالاضافة الى نماذج من أبرز معالم التقدم في تايوان وحياة المجتمع في كل الصين .

الهدف الرئيسي لإقامة « نافذة على الصين » هو أن يغرسوا في أذهان أبناء الشعب في تايوان التعلق بالصين الأم التي يحلمون بضمها وتوحيدها مع الصين التايوانية . . . !

وهو حلم يتصورون أنه يمكن أن يتحقق ذات يوم تعود فيه الجميلة التي لم تعد عذراء . . الى أحضان الأم الكبرى . . حتى لو تمت الوحدة في عهد أحفاد جيل قادم جديد .

الاسلام في تايوان

قال لنا الامام « تنج فنج » ـ وهو في نفس الوقت رئيس قسم اللغة العربية في جامعة شنج شي الوطنية ـ حين التقيناه داخل المسجد الجامع في تايبيه بعد أن انتهت صلاة الجمعة

قدم الاسلام الى الصين خلال حكم الامبراطور تاي تشونج (٦١٧ ـ ٦٤٩ م) ثاني أباطرة أسرة تانج . ونزل بالبر الصيني عدد كبير من المسلمين بعد عام ٦٥١ م . واستقر عدد من التجار العرب في بعض الاقاليم الساحلية الجنوبية . وحين قامت جمهورية الصين في عام ١٩١٢ بعد سقوط آخر الأباطرة قدم مسلمون كثيرون إلى تايوان مع جيش « كوكسنجا » مهاجرين من أرض الصين الأم ، كما ازداد عدد السكان المسلمين في الجزيرة مع وصول أفواج أخرى من المسلمين في عام ١٩٤٥ من الصين الام . . . وكان اكبر عدد وصل الى تايوان بعد ذلك عام ١٩٤٩ مع انسحاب شيانج كاي شيك وحزب الكومنتانج من الصين الشعبية حيث بلغ عدد من لحق بهم من المسلمين حوالي ٢٠ الف . . . الآن يقترب عدد المسلمين في تايوان كلها من مائة الف مسلم . . . ويقيم في تايبيه العاصمة وحدها ما لا يقل عن ثلاثين الف مسلم يمارسون شعائرهم الدينية ويؤدون صلواتهم في مساجدها ، وأكبرها مسجد تايبيه الذي أقيم عام ١٩٦٠ وهو أكبر مساجد تايوان ويسمونه المسجد الجامع .

ليس هذا المسجد هو الوحيد في العاصمة فهناك مسجد آخر ، بالاضافة الى عشرة مساجد أخرى موزعة بين مدن شانجلي وتايشونج وكاوهسنج . في كل هذه المساجد تبدو صورة رائعة للمجتمع الاسلامي المتعاطف المتكافل .

ونحن ننفق من صندوق الزكاة لرعاية وتشجيع الصغار والشباب ونقدم جوائز للمتسابقين الذين يحفظون القرآن ، كما أن هناك جوائز كبيرة لمن يختم الكتاب الكريم .

حين سألناه : هل تنفقون على الفقراء من أموال الزكاة ؟ أجاب في ابتسامة مضيئة : المسلمون هنا لا يعانون من الفقر ، فالجميع من أصحاب الدخل المرتفع ، وهم قادرون وغير محتاجين ، بل إن عددا منهم من أصحاب الثراء الكبير تمشيا مع طبيعة الازدهار الاقتصادي الشعبي في تايوان ومع هذا فنحن نتلقى أموال الزكاة من أغنياء المسلمين في البلاد كما تصلنا بعض التبرعات من الدول الاسلامية الغنية ومن بينها السعودية مما يزيد قدرتنا على استكمال المنشآت وإقامة المساجد الجديدة وملحقاتها من قاعات لالقاء الدروس الدينية وتحفيظ القرآن والتوسع في الأنشطة الاجتماعية والتثقيفية . وقد أنشأنا مكتبات تضم الكتب والمراجع الاسلامية ، وإن كنا في أشد الحاجة مع ذلك الى المزيد

وهذا هو ما لمسناه بالفعل حين دخلنا قاعة مكتبة مسجد تايبيه . هناك مجموعات كثيرة من الكتب

مسجد تايبيه الجامع على الطراز الهندسي الاسلامي

الاسلامية الحديثة لكنها تفتقر الى وجود الكثير من الكتب التراثية والتفاسير والحديث ، وهو أمر لعله يجد اهتماما من الجامعات الاسلامية والجامع الازهر

والكتب في أغلبها بالعربية التي لا يجيدها الا القليل من المسلمين في الصين ، والقليل جدا منها مترجم الى اللغة الصينية .

ومع ذلك فالغريب أن خطبة الجمعة تلقى كلها باللغة العربية الفصحى ثم بعد ذلك يقوم نفس الخطيب بإعادة إلقائها باللغة الصينية .

المسجد الجامع الكبير

المسجد مقام على مساحة كبيرة يتوسط أحد أكبر شوارع تايبيه . وهو مشيد على الطراز الهندسي الاسلامي . وينقسم المسجد الى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء . كما يوجد على الجانب الايمن من المدخل قاعة للمؤتمرات والندوات التي تعقد في المناسبات الاسلامية مثل المولد النبوي الشريف وليلة النصف من شعبان وأيام شهر رمضان المبارك والعيدين . والى الجانب الايسر يفتح الباب على مكتبة المسجد ، وبجوارها المقر الرئيسي لمشيخة المسلمين حيث نلتقي بفضيلة الشيخ داود دانتج شيخ المسلمين في تايوان . . .

حين نلتقي بالشيخ الذي يقترب من الخامسة والسبعين نعرف أنه من خريجي الازهر حيث أوفد عام ١٩٣٣ ، وتلقى العلم على كبار المشايخ والأئمة . ويقول لنا :

كان الأزهر الشريف يستقبل كل عام حوالى مائة مبعوث من الصين حيث يدرسون اللغة العربية والعلوم الاسلامية . وكنت أنا في ذلك الوقت قد أنهيت تعليمي في مدينة شنغهاي حيث تعلمت اللغة العربية وحفظت القرآن الكريم مع أبناء عائلتي قبل أن أذهب الى القاهرة لاستكمال تعليمي الديني على حساب البعثة الفؤادية في الازهر الشريف . وحين انتقلت الى تايوان مع إخواني من موفدي الأزهر عملنا معا على المشاركة في رعاية أبناء المسلمين .

وحين بدأت في تايوان مسيرة الازدهار الاقتصادي الكبير عملنا على إقامة المساجد في مختلف المدن وكان أولها هذا المسجد الجامع الكبير في تايبيه . .

المصلون الصينيون أثناء أداء الصلاة .

يقول الشيخ الكبير داود دانتج : المسلمون هنا يؤدون شعائرهم بمنتهى الحرية وهم يصومون رمضان ويقيمون مآدب الافطار ويتابعون أخبار قضايا المسلمين في فلسطين ، وهم يتعاطفون مع أبناء الأرض المحتلة ، كما يهتمون بأنباء الحرب بين العراق وايران ويسيئهم أن تستمر طوال هذه السنوات بين دولتين مسلمتين جارتين .

ويضيف الشيخ : ان جميع المسلمين في تايوان ملتزمون بأداء فريضة الحج الى مكة . ويؤديها كل مسلم ولو مرة واحدة في حياته . وتتابع الجمعية الاسلامية للحج كل سنة تسهيل مهمة الحجيج الصينيين الذي يبذلون قصارى جهدهم لاداء هذه الفريضة طالما أن موقفهم المالي يسمح لهم بذلك .

ونسمع من الفنان التقي المسلم شيفي شيفو الذي أدى الفريضة العام الماضي عن مدى تأثره بمظاهر الايمان والمساواة التي شهدها حيث يقول : « هل أروع من أن الحجاج الذاهبين الى مكة يصرفون النظر عن مراتبهم و جنسياتهم ومراكزهم الاجتماعية وثرائهم ليتساووا في زي واحد بسيط مع بقية المسلمين ، لا فرق بين غنى أو فقير ، كبير أو صغير ، أمير أو مسكين ، الجميع متساوون دون تمييز أو تعصب ، وكل مسلم يرعى اخاه المسلم ، فهل هناك أروع من تلك الانسانية في الاسلام . » ☐



بقلم : سعد شعبان

الطموح المصحوب بالارادة والسعي لا بد أن يتجسد في الواقع بإنجازات ملموسة يستفيد منها أصحابه . هذا هو الدرس الذي تعطيه تجربة الدول الأوروبية في مضمار غزو الفضاء ، حيث ستمكنها خططها وإنجازاتها ـ بالعمل المشترك ـ من المنافسة مع الدولتين العظميين في هذا المجال .

عندما بدأ عصر الفضاء عام ١٩٥٧ بإطلاق أول قمر صناعي سوفيتي احتدمت المنافسة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

وكانت هناك أصوات أوروبية تنادي دائما بأنه لا بد أن يكون لأوروبا برنامج فضائي مستقل يرفعها عن مستوى التبعية ، لأي من الدولتين الكبريين . وكانت فرنسا تتزعم هذا الاتجاه بحرارة ، وبخاصة بعد أن تصاعدت المشروعات الأمريكية والسوفيتية إلى مستوى إطلاق أقمار التجسس وسفن الفضاء ، والهبوط على القمر ، ثم إرسال سفن الفضاء نحو الكواكب . فتكونت المنظمة الأوروبية لأبحاث الفضاء في أوائل الستينيات .

وكانت باكورة خططها تصنيع صاروخين صغيرين ، أطلق عليهما اسمين هما : « أوروبا ـ ١ » ثم « أوروبا ـ ٢ » . وقد أفلح الصاروخان في إطلاق أقمار صناعية صغيرة الحجم محددة الغرض للأبحاث العلمية ، حملت أيضا نفس الاسم « أوروبا »

ومنذ عام ١٩٧٥ بدت الجهود الأوروبية كطفل يحبو إلى جانب مارد يعدو وعدّل اسم المنظمة إلى « وكالة الفضاء الأوروبية » (إيسا) على غرار وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » . وقد تألفت الوكالة الأوروبية من أربع عشرة دولة أوروبية

وخلال هذه المدة لم تكف بعض هذه الدول عن عقد اتفاقيات ثنائية مع الاتحاد السوفيتي أو أمريكا ، على لون من ألوان التعاون المحدود . وكان على قمة هذا التعاون اشتراك بعض رواد الفضاء الأوروبيين في بعض الرحلات الفضائية وتجلى ذلك في إطلاق « الرائد الفرنسي « باتريك » في إحدى رحلات المكوك الأمريكي عام ١٩٨٥ .

لكن كانت باكورة التعاون الفاعل بين منظمتي

« ناسا » الأمريكية و « إيسا » الأوروبية مشروعا رائدا ، تمثل في بناء معمل بحوث علمية أوروبي ، أطلق عليه اسم (سباسلاب) ليوضع فوق متن مكوك الفضاء الأمريكي . وفي رحلة ديسمبر عام ١٩٨٣ كان يشغل حجم المكوك الفارغ كله . وكان يدير العمل في هذا المعمل عدة علماء أحدهم الماني ، وكانوا يمثلون تخصصات في الفلك والكهرباء والعلوم .

ولقد برهنت هذه المشاركة الأوروبية الأمريكية على أن العقلية الأوروبية قادرة على السير في ركب غزو الفضاء بخطوات فاعلة .

وبدأت شركات أوروبية تستأجر حمولات في مكوك الفضاء الأمريكي لإجراء تجارب صناعية وبيولوجية وعلمية ، لها آثارها على الإنجازات الفضائية .

الوليد يتحول إلى عملاق

كانت نقطة البداية في خطط وكالة الفضاء الأوروبية هي صنع صاروخ دفع ، له قدرة على دفع الأقمار الصناعية ، ثم ظهر إلى الوجود الصاروخ « ايريان » .

ولقد كان هناك خلاف وجدال حول الاسم ، فقد كان الاقتراح الأول الذي طرحه الفرنسيون هو (ماريان) ، ثم استقر الرأي على أن يصبح (اريان) تشبها بآلهة الحب عند الإغريق .

ولقد أثبتت صواريخ اريان جدارتها في دفع عدد كبير من الأقمار الصناعية بدءا من عام ١٩٧٩ ، سواء لدول الوكالة الأوروبية أو لدول أخرى ، وكان إطلاق كل هذه الأقمار يتم من قاعدة الاطلاق الفرنسية « جوايانا » في أمريكا الجنوبية . وقد ساعد وجود هذه القاعدة على بذل قوة أقل في دفع أقمار الاتصالات إلى المدار الثابت فوق خط الاستواء ، وكان ضمن هذه الأقمار القمر الصناعي العربي الأول « عربسات ـ ١ » الذي أطلق في فبراير عام ١٩٨٥ .

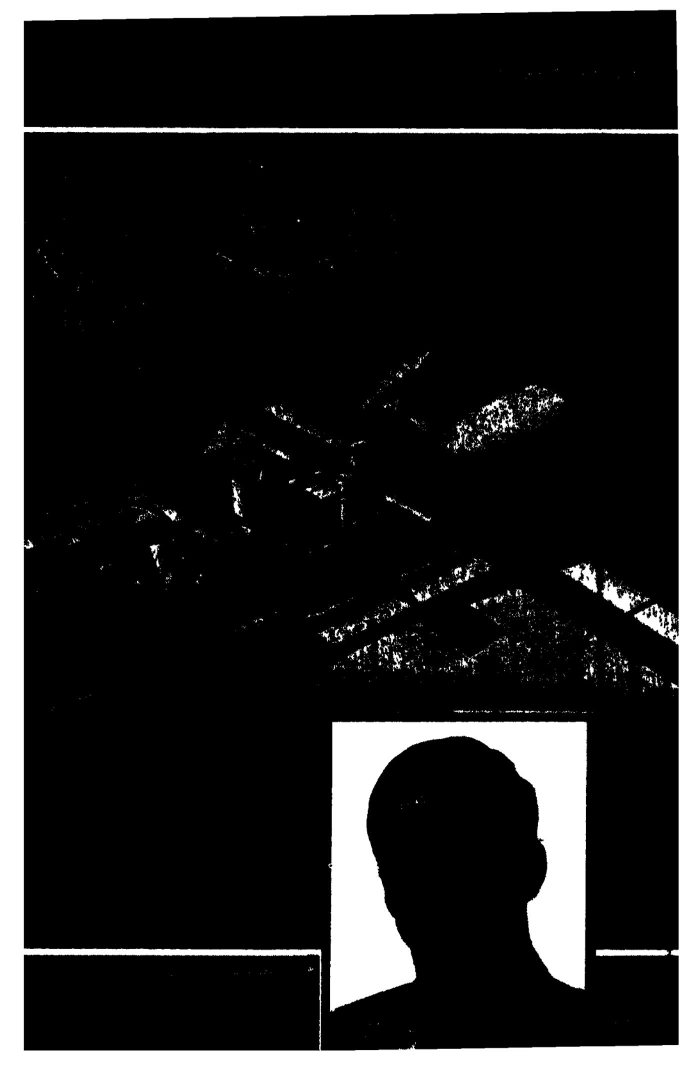
وظهر من صواريخ اريان إلى الوجود ثلاثة أجيال متعاقبة هي « اريان ـ ١ ، ٢ ، ٣ » ، وكان لكل واحد منها مزايا متقدمة عن الأخرى . ولقد سنحت فرصة ذهبية لصواريخ اريان عندما وقعت كارثة انفجار مكوك الفضاء الأمريكي تشالينجر في يناير ١٩٨٦ ، فقد حدث توقف لمشاريع الفضاء الأمريكية المتعلقة بالمكوك ، وما زال متوقعا لها أن تظل كذلك حتى يونيو ١٩٨٨ ، ولذلك تحولت المنافسة التجارية لإطلاق أقمار صناعية لدول عديدة ، وأصبح لدى المنظمة الأوروبية « ايسا » مئات التعاقدات لإطلاق أقمار صناعية لأغراض مختلفة ، حتى بلغت ١٥٠ عقدا ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لرفع الأقمار إلى الفضاء . بل إن وجه العجب هي أن بعض الشركات الأمريكية قد تعاقدت مع الوكالة الأوروبية لإطلاق أقمارها .

غير أنه قد حدثت نكسة أصابت مشروع الصاروخ اريان في مايو ١٩٨٦ ، عندما انفجر إحدى مراحله ، وكان مخصصا لحمل قمر أمريكي من طراز « انتلسات » ، لذا اضطر الأوروبيون بعد ذلك إلى توقف دام ١٦ شهرا ، ليتداركوا بعض الخلل في التصميم ، حتى عادت إليهم الثقة بعملية الإطلاق الناجحة رقم ١٩ التي تمت في سبتمبر عام ١٩٨٧ .

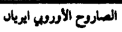
ثلاثة برامج طموحة

خلال السنوات العشر الأخيرة كانت الأحلام تحوم حول عدد من المشروعات الفضائية ، تفتقت عنها قرائح علماء وكالة الفضاء الأوروبية ، بعضها تجاوز الطاقات المالية المتاحة ، فشطح بعيدا عن الامكانيات ، وبعضها كان يمثل ضربا من الخيال يحتاج إلى سنوات من البحوث العلمية لتذليل كثير من الصعاب .

غير أن أوروبا خرجت من مؤتمرها الأخير في نوفمبر ١٩٨٧ متحدة الكلمة ، على وضع أولويات للمضي في ثلاثة برامج محددة ، حتى لا تزداد فجوة التخلف بينها وبين الأمريكيين والسوفييت ، ولكي تكون لها ملامح مميزة في غزو الفضاء . وقد اجتمعت كلمة كل الدول الأوروبية على هذه المشروعات عدا بريطانيا التي امتنعت عن






الصاروخ الأوروبي ايريان

التصويت ، لأن لها مشروعات أكثر طموحا ، لكنها تصر على الاحتفاظ بأسرارها ، وعدم الكشف عنها .

أما المشروعات الأوروبية الثلاثة فهي :

١ ـ مشروع الصاروخ اريان ـ ٥

٢ ـ مشروع مكوك الفضاء الأوروبي « هرمس » .

٣ ـ مشروع المحطة المدارية الأوروبية « كولومبوس »

ومن الواضح أن مشروع الصاروخ (اريان ـ ٥) هو حجر الأساس ، لأنه سيكون تطويرا للطرازات القائمة حاليا التي كان آخرها (اريان ـ ٣) ، حتى يستطيع أن يرفع إلى الفضاء أجساما أكبر من الأقمار الصناعية مثل المكوك الأوروبي « هرمس » ، ولذلك فستكون حمولة (اريان ـ ٥) « ١٧ » طنا ، وهذا يعادل ثلاثة أمثال الحمولة التي يرفعها الصاروخ (اريان ـ ٣) المستخدم حاليا . ولذلك فإن (اريان ـ ٥) سيصل طوله إلى ٤٢ مترا ، وهو أطول بكثير من (اريان ـ ٣) ، كما سيتكون الصاروخ الجديد من طابق أساسي يحوي ١٢٠ طنا من الهيدروجين والاكسجين السائل ، وجهازين معمليين كبيرين يعملان بالوقود الجاف بسعة ١٧٠ طنا ، ليعطيا قوة دفع قدرها ٤٥٠ طنا .

وقد كانت هناك خلافات بين الدول الأعضاء في وكالة الفضاء الأوروبية بالنسبة لخطة تمويل الصاروخ (اريان ـ ٥) ، غير أن هذه الخلافات قد وصلت إلى نهاية ، وسيكون الصاروخ المذكور معدا للانطلاق عام ١٩٩٥ .

المكوك الأوروبي « هرمس »

يجري بناء المكوك الأوروبي « هرمس » ليكون على شكل طائرة مقاتلة ، ذات جناحين مثلثين (دلتا) ، على غرار المكوك الأمريكي ، وإن كان يصغره في الحجم بنسبة ٢٥٪ . وسيمكن للمكوك الأوروبي أن يتسع لثلاثة رواد فضاء . ومن المقدر أن يفرغ من بنائه عام ١٩٩٧ .

ويبلغ طوله ١٧,٩ مترا ، والمسافة بين جناحيه ١٠,٢ أمتار ، ويمكنه أن يحمل حمولة قدرها ٢١ طنا ، وهي تقل عن حمولة المكوك الأمريكي كثيرا .

وكشأن المكوك الأمريكي الذي أنهى شكل سفينة الفضاء المخروطية التي كانت تستخدم مرة واحدة، فقد وضع تصميم المكوك الأوروبي « هرمس » لكي يكون كطائرة تروح وتغدو ، مثل حركة مكوك النسيج عدة مرات . ومن المقرر أن تمتد مهامه في الفضاء مددا تتراوح بين أسبوع وشهر . ولكي تتوالى هذه المهام رصدت ميزانية المشروع لبناء طرازين منه ، حتى إذا فرغت مهمة واحدة منها ، وبدأ الفنيون بإجراء عمليات الصيانة عليه ، كان المكوك الآخر جاهزا للعمل . ومن المقرر أن يتمكن كل مكوك من القيام برحلتين كل عام في المرحلة الأولى ، ثم تزاد الى أربع أو ست رحلات سنويا بعد ذلك .

وسيكون بناء المكوك « هرمس » في القاعدة الفرنسية بتولوز ، بينما يكون الاطلاق من المركز الفضائي « كورو » الموجود في « جوايانا » الفرنسية في أمريكا الجنوبية الذي تقرر إدخال عدة تعديلات وتوسعات عليه ليلائم خطوات المستقبل . وسوف يكون اطلاق « هرمس » بواسطة صاروخ « اريان ـ ٥ » الذي يجري تصميمه ليلائم هذه المهمة ، بينما سيكون هبوطه فوق مدرج طائرات عادي ، طوله يقرب من ثلاثة كيلو مترات ونصف . ولقد اختيرت قاعدة « إيستر » الفرنسية لهبوطه في أول الأمر ، حتى يتم إعداد مدرج الهبوط في قاعدة « كورو » ، كما سيكون ممكنا أن يهبط في قاعدة ادواردز الأمريكية المخصصة للمكوك الأمريكي أو في القواعد الأمريكية الأخرى في هونولولو أو داكار أو جزيرة برمودا .

وقد رصد للمشروع مبلغ ٤,٤ مليارات دولار ، لتحقيق عدة أغراض ، أهمها القيام بتجارب علمية مستقلة عن التجارب الأمريكية ، والعمل متنقلا فضائيا إلى الأجرام الفضائية الصناعية ، كالمحطات المدارية ، سواء الأمريكية أو السوفيتية أو

الأوروبية ، وبخاصة المحطة « كولومبوس » التي ستوضع على مدار قرب نهاية هذا القرن ، كما سيمكنه أن يكون شاحنة فضاء تمد المحطات المدارية بالمؤن والعتاد .

المحطة المدارية « كولومبوس »

وضعت « وكالة الفضاء الأوروبية » خطة لتصنيع محطة مدارية تتكون من أربع كبسولات مختلفة التصميم والأغراض ، لمواصلة استكشاف الفضاء ، ومداومة إجراء البحوث العلمية اللازمة من هذه الكبسولات ، وسيكون ذلك بواسطة الوسائل الالكترونية المستخدمة ، أو بواسطة رواد الفضاء ، ولذلك أطلق على كل كبسولة اسم مختلف ، وستوضع بها معدات وأجهزة تختلف عن الأخرى .

وتقدر التكلفة الاجمالية لهذا المشروع بمبلغ ٣,٩ مليارات دولار ، ومن المقدر أن يفرغ من المراحل كلها قرب عام ١٩٩٨ ، وهو موعد لا يبعد كثيرا عن الموعد المحدد لإطلاق المستعمرة الفضائية الأمريكية . وأكبر الكبسولات الفضائية الأوروبية يمكن أن يتسع لثلاثة رواد فضاء ،وسيتم اطلاقها بواسطة مكوك أمريكي عام ١٩٩٦ تقريبا لتصبح جزءا من المحطة المدارية الأوروبية .

أما المعمل الثاني فسيكون العمل فيه اليكترونيا ، ويمكن أن يتردد عليه رواد فضاء من آن لآخر ، إذ سيمثل العنصر الأساسي في المحطة المدارية الأوروبية ، وسيكون إطلاقه عام ١٩٩٨ بواسطة صاروخ « اريان ـ ٥ » .

أما الكبسولتان الثالثة والرابعة فستعملان اليكترونيا دون أي تدخل من الإنسان ، وستكون إحداهما مخصصة للتحليق على مدار يمر فوق قطبي الأرض ، بدءا من عام ١٩٩٧ م .

ولضمان استمرار العمل في المحطة المدارية الأوروبية يجري تصميم شاحنة فضائية ، سيطلق عليها اسم (أوريكا ـ بي) ، وهي عبارة عن معمل صغير لحمل أدوات ومؤن ومعدات يبلغ وزنها أربعة أطنان إلى المحطة المدارية الأوروبية ، وسيمكن تكرار إطلاق هذا المعمل .

المعارضة البريطانية لماذا ؟

ليس غريبا أن تقف بريطانيا وحدها ، في موقف المعارض لهذه المشروعات الفضائية الأوروبية ، فالطموح البريطاني أكبر كثيرا من هذه المشروعات الأوروبية إلى حد وصف بعضهم له بأنه أقرب إلى الخيال ، فلدى بريطانيا مشروع متقدم لطائرة فضائية أطلق عليها اسم « هوتول » .

ويعتمد مشروع « هوتول » على استخدام محرك ذي تصميم جديد ، يسمح للطائرات بالوصول إلى طبقات الجو العليا ، وتجاوزها إلى طبقات الفضاء ،ثم العودة ثانية إلى الأرض والهبوط كأي طائرة عادية ، ومعنى ذلك أن تتحول الطائرة في المستقبل إلى مكوك فضاء ، يمكنها أن تقلع وتهبط كل يوم دون حاجة إلى إجراءات صيانة معقدة كما يجري على المكوك الأمريكي حاليا . ولا شك أن العقبة الأساسية أمام تحقيق هذه الفكرة الخيالية ، هي التوصل إلى نوع من الوقود ، يسمح بتحويل الطائرة إلى سفينة فضاء ، لكن دون الاعتماد على أنواع الوقود التقليدية المستخدمة حاليا التي يلزمها مستودعات كبيرة تشغل الجزء الأكبر من جسم مكوك الفضاء وتمثل أيضا أكبر وزن فيه .

ولقد قامت بحوث كثير من العلماء منذ عدة سنوات على فكرة استخدام الطائرات ، لوقود يعتمد على الأكسجين الذي يستمد من الهواء الذي تطير فيه الطائرة ، وعلى الهيدروجين الذي يمكن أن يضغط سائلا في مستودعات على متنها . ويتخلى عن الصورة التقليدية لمحركات الاحتراق الداخلي المستخدمة حاليا ، فتصبح بذلك الطائرة أخف وزنا ، وأكثر قدرة على بلوغ مدارات في الفضاء ،وبالتالي تصبح قادرة على حمل حمولات أكبر وزنا ، كما سيكون بامكانها الطيران بسرعات يمكن أن تبلغ بين ٢٠ ، ٣٠ مثلا لسرعة الصوت . (سرعة الصوت = ١٢٢٤ كيلو مترا في الساعة على سطح الأرض) . ولا شك أن هذه التغييرات الجذرية في تصميم الطائرات الجوية الفضائية تقف أمامها بعض العقبات



المكوك الأوروبي هرمس

لتي أهمها ضرورة تركيب سبائك معدنية جديدة ستطيع الصمود لدرجات الحرارة العالية ، لمقاومة لاحتكاك بهواء الغلاف الجوي .

فضلا عن أن الوسيلة التقنية لن تتيسر بعد لاستخراج الاكسجين من الجو أثناء الطيران

غير أنه في عام ١٩٨٢ قد توصل مهندس بريطاني شاب يدعى « آلان بوند » إلى اكتشاف معادلة علمية ، تسمح بفصل اكسجين الهواء من الجو ، لاستخدامه في محركات الطائرات كعامل لحرق الايدروجين . وقد تبنت بعض الشركات الكبرى البريطانية هذا الاكتشاف ، وعلى الأخص شركة « رولز رويس » الشهيرة بصناعة محركات الطائرات ، وما زال هذا المشروع سرا من الأسرار الصناعية التي تحتفظ بها بريطانيا لنفسها .

واستغلالا لنفس الفكرة قامت شركة « بريتش ايروسباس » عام ١٩٨٤ بصنع نموذج مصغر لطائرة أطلقوا عليها اسم « هوتول » لتعمل بنظرية الشاب « آلان بوند » ، وذلك على فرض أن هذا النموذج تصغير لطائرة ، لو صنعت فسيكون طولها ٦٢ مترا ، ويمكنها أن تصعد إلى سقف ارتفاع قدره ٢٦ كيلومترا ، بحمولة قدرها ٢٠٠ طن ، وسيمكنها أن تطير بسرعة تبلغ خمسة أمثال سرعة الصوت ، ولن تستغرق لبلوغ هذه السرعة بعد الاقلاع غير ثماني دقائق فقط ، وسيكون بإمكانها أيضا الصعود إلى مدارات في الفضاء الخارجي والعودة منها .

ولم تلق الفكرة البريطانية للطائرة « هوتول » ترحيبا في أوساط وكالة الفضاء الأوروبية ، لأن البريطانيين رفضوا الكشف عن الأسرار العلمية لاستخلاص أكسجين الهواء ، كما رفضوا الكشف عن تصميم المحرك الجديد ، واقتصر اقتراحهم على أن يعمل الخبراء الأوروبيون تحت إشرافهم المباشر ، لكي يحققوا صناعة الطائرة هوتول التي تعتبر طائرة جوية فضائية ، وذلك بغية أن تبتعد « المنظمة الأوروبية » عن المضي في إنتاج المكوك الفضائي « هرمس » الذي يعتبر مشابها للمكوك الأمريكي ، بل أصغر منه . ولا شك أن للفكر البريطاني وجاهته ، لأنه سيجعل للأوروبيين قصب السبق إلى شيء جديد ، هو جمع مزايا الطائرة والمكوك في جسم واحد . وسيضع البشرية أمام نوع جديد من المحركات ، سيطور في صناعة النقل الجوي في المستقبل ، ويفتح آفاقا جديدة لما يمكن أن نطلق عليه تعبير « السياحة الفضائية » للركاب العاديين الذين ليس لزاما أن يكونوا روادا للفضاء ، ذوي لياقات بدنية ونفسية عالية . وسيكون له ميزة الاقتراب من واقع الحياة بسرعة نقل الركاب بالطائرات المدنية التي لم تتجاوز سرعاتها حتى الآن ٢,٢ ماخ (سرعة الصوت) ، إذ سيكون في مقدور « هوتول » أن تقطع المسافة بين لندن واستراليا خلال ٤٥ دقيقة فقط ، لكن كثيرا من الخبراء الأوروبيين ما زالوا يشككون في الافتراضات البريطانية لاستغلال أكسجين الهواء ، ويعتقدون أن الأفكار البريطانية عن « هوتول » لا تعدو أن تكون لونا من ألوان التعصب والجري وراء السراب .

ومن هنا أتت المعارضة البريطانية لمشروعات أوروبا الفضائية ، إذ امتنع ممثلوها عن التصويت في مؤتمرهم الأخير في لاهاي . وهكذا لن تمضي حقبة التسعينيات ويبدأ القرن الجديد إلا وستكون حلبة المنافسة في سباق الفضاء قد غصت بأعضاء جدد إلى جانب الروس والأمريكيين .

كما سيكون أيضا في الحلبة أعضاء آخرون ، ما زالوا يقفون على عتبات التخطيط ، وهم الصينيون واليابانيون .

ولا شك أن الطفرة التقنية التي سيصنعها برنامج حرب الكواكب الأمريكي ستضع العالم أمام واقع جديد ، سيجعل من الفضاء ساحة مزدحمة بإنجازات جديدة غير الأقمار الصناعية وسفن الفضاء . □

وجهاً لوجه





الجنرال دراغونسكي و سليمان الشيخ

- الصهيونية .. حركة سياسية عنصرية فاشية تتاجر بالدين
- الوطن السوفييتي لجميع شعوبه . لمن يؤمن بدين . ولمن لا يؤمن
- الإنسان الحر لا يضطهد الآخرين ، وهذا عكس ما يفعله الصهاينة
- الضابط العربي كفء . والعيب ربما في صاحب القرار السياسي !
- الفشل الآني أو الواحد ليس قدراً مستمراً أو دائماً

الجنرال دافيد ابراموفتش دراغونسكي من مواليد سنة ١٩١٠ ، في قرية سفياتسك التي تقع على الحدود الم رئة بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا ، وبيلوروسيا ، تخرج في أكاديمية فرونزه العسكرية سنة ١٩٤١ ، ثم تخرج في أكاديمية الأركان العامة سنة ١٩٤٩ . منح لقب بطل الاتحاد السوفيتي مرتين: الأولى سنة ١٩٤٤ والثانية سنة ١٩٤٥ . حاصل على أوسمة ونياشين وميداليات مهمة من أعلى المؤسسات في الاتحاد السوفيتي وخارجه . خاض وشارك وقاد معارك مهمة ضد القوات النازية الألمانية في كثير من جبهات الحرب ، وأصيب بأكثر من جرح فيها . عضو اللجنة المركزية للرقابة منذ سنة ١٩٧١ . منح رتبة فريق أول منذ ١٩٧٥ ، عمل مديرا للأكاديمية العسكرية لتدريب الضباط الأجانب منذ سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٨٥ التي درس وتخرج فيها عشرات الضباط العرب من أقطار عربية عديدة ، يرأس الآن الجمعية السوفيتية المعادية للصهيونية .

سألت الجنرال الذي مازال يحتفظ بلياقة بدنية تجعله يبدو أقل من عمره الحقيقي بحوالي عشرين سنة :-

* يوحي اسمك بأنك تتبع الديانة اليهودية ، فهل يمكن أن يعادي اليهودي الصهيونية ، وأن يكون على رأس الجمعية التي تعاديها ؟ !

- إن اليهودية ديانة كبقية الديانات ، أما الصهيونية فهي حركة سياسية تتاجر بالدين أحيانا .

صحيح أنني ولدت لأبوين يهوديين لكنني عشت وناضلت في صفوف الحركة الشيوعية المعادية للنازية والفاشية والصهيونية ، وهأنا أتابع نفس الطريق ، بل إنني على رأس الجمعية المناهضة للصهيونية في بلادي ، إنني مواطن سوفيتي في الدرجة الأولى . إن بلادنا تحتوي على عشرات القوميات والشعوب ، لكن ولاءنا في الأساس للدولة السوفيتية ، كما أنه توجد أديان عديدة في الاتحاد السوفيتي ، وبعض الأفراد متدينون ، لكن الوطن السوفيتي للجميع ، لمن يؤمن بدين ، ولمن لا يؤمن .

لايوجد عندنا من يسأل عن قوميتك أو دينك ، بل يهمهم أخلاقك وأفعالك وسلوكك ، لقد اختلطت الشعوب والقوميات لدينا وضمنهم من يؤمن بالديانة اليهودية ، وحصل التزاوج والتمازج ، وكثيرون لم يعد يعنيهم الدين أو الأصل السابق ، إن الإتحاد السوفيتي دولة أممية .

زوجتي روسية ، وابنتي تزوجت رجلا أوكرانيا ، وعندما بلغت ابنة ابنتي ١٦ سنة من عمرها طلبت أن يكون لها جواز سفر خاص بها ، وجاءت تسألني من أكون ؟ . وإلى أي شعب أنتمي ؟

أجبتها : أنت فتاة جميلة ، أنت سوفيتية .

هناك جمهوريات وقوميات وشعوب عديدة في الاتحاد السوفيتي ، لها مكوناتها الثقافية الخاصة ، لكن لايوجد مطلقا مايمنع انتقال هذا الفرد أو ذاك إلى جمهورية أخرى ، كما لايوجد مايمنع من أن يعلن الفرد أنه أوكراني مع أنه قد يكون من أبوين داغستانيين ، وكثيرون يعلنون أنهم روس مع أن موطنهم الأصلي قد يكون استونيا أو مولدافيا أو أرمينيا أو تركمانيا ، أو غير ذلك ، وقد يحدث العكس .

لقد خضت معارك كثيرة ، في جبهات عديدة ، وكان يوجد بين ضباطي وجنودي من ينتمون لحوالي ٣٠ قومية من قوميات الاتحاد السوفيتي ، بعضهم يدين بالمسيحية أو الإسلام أو اليهودية ، أو لا يدين

بأي دين ، لكنهم جميعا كانوا يدافعون عن الوطن ، وقد طردوا المحتلين ، وانتصروا على النازية . لم نكن نسأل عن الهويات القومية أو الديانات ، بل كنا نقاتل من أجل انتصار الوطن ودحر المعتدين إن بلاد السوفيت لجميع شعوبها ، وهي ترفع راية ومباديء أممية وتطبقها .

الكيان « الإسرائيلي » :

* كيف تنظر لجنتكم إلى الصهيونية ؟ وبالتالي كيف تنظر إلى الكيان « الإسرائيلي » وممارساته ؟

- إن الحركة الصهيونية ماهي إلا حركة عنصرية ، لأنها تضمن أدبياتها بأن اليهود شعب الله المختار ، إنها حركة البورجوازية اليهودية ، ربيبة الحركة الرأسمالية العالمية التي تقوم على استغلال الشعوب واستعمارها . وليست صدفة أن يقف ماركس ولينين ضد الأفكار البورجوازية بما فيها الأفكار الصهيونية .

أما بالنسبة للكيان « الإسرائيلي » فهو قائم على الأفكار الصهيونية العنصرية ، وقد وظف نفسه ضمن الآلة الرأسمالية الأمريكية ، ووقف ضد أماني الشعوب في التحرر والانعتاق .

لقد استخدم الصهاينة ضد الفلسطينيين وغيرهم من العرب نفس الأساليب التي استخدمها هتلر ضدهم ، فقد طردوا الفلسطينيين من أرضهم ، وعرضوهم للقتل والتدمير ، واتبعوا سياسة العدوان على أقطار عربية أخرى ، واحتلوا أراضيها . لقد كان اليهود ضحايا النازية ، ثم اتفقوا مع الرأسمالية الغربية ، فسهلت لهم الهجرة إلى فلسطين ، فاحتلوا أراضي الفلسطينيين ، واضطهدوهم . وإن اليهود في فلسطين ليسوا أحرارا ، لأن الحر لايضطهد الأحرار الآخرين .

* ماهو الحل حسب وجهة نظركم ؟

- إن وجهة نظرنا هي نفس وجهة نظر حزبنا ودولتنا ، أي أننا ندعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام ، تحضره جميع الأطراف ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية لإعطاء الفلسطينيين حقوقهم .

* وهل يمكن عقد مثل هذا المؤتمر وعلى رأس الدولة « الاسرائيلية » حزب الليكود ، أو حتى تجمع المعراخ - العمل - ؟!

- إنني أعتقد بأن قيادة شامير لن تحقق سلاما حقيقيا في المنطقة ، لكن وجود شامير يجب ألا يمنعنا من رؤية نمو حركة تقدمية ، وسوف يفهم الناس في « إسرائيل » الأخطاء التي حدثت ، وسيميلون نحو السلام إن عاجلا أو آجلا . لقد كنا نعتبر كل الماني عدوا أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك فإن جمهورية المانيا الديمقراطية قد ولدت في تلك الأيام ، وسارت على خط يعادي النازية . إن الزمن ليس وليد مرحلة واحدة ، وعلى الإنسان ألا يبني حساباته على لحظات آنية ، صحيح أن العرب مشتتون الآن ، وقد يكون فيهم ضعف ، إلا أن ذلك ليس قدرا غير قابل للتغيير .

لقد اجتمعت ببعض نواب « الكنيست » وحذرتهم من المستقبل ، وقلت لهم : إن التطور ليس ملك يمينكم فقط ، ولن تستمر المساعدات والحماية الخارجية في تثبيت أركانكم ، عليكم بالسلام مع جيرانكم . وأتذكر في هذا المجال ماكانت تردده والدتي :

« الجار الحسن ، أفضل من الأقارب الأغنياء » .

ولقد انسحبنا أمام الغزو الألماني المفاجيء سنة ١٩٤١ حتى أبواب موسكو ، وقد استخدموا أفضل جيوشهم ، وأفضل صناعاتهم المتطورة ، فلم نقو عليهم ، فانسحبنا ، لكننا استوعبنا الدروس ، وقوينا أنفسنا ، وأعددنا الخطط المناسبة ، وانتقلنا من الدفاع إلى الهجوم ، ثم بددنا قواتهم ، ووصلنا إلى عاصمتهم برلين . لقد دفعنا ثمنا باهضا ، وهذا صحيح ، لكننا حررنا بلادنا ، وأسهمنا في تحرير شعوب كثيرة ، وقضينا على الفاشية والنازية .

وإنني كثيرا ماأقول ذلك لبعض الإسرائيليين ، لكنهم ، أو على الأصح بعضهم يجيبني : سنقاوم ،

وسنعتمد على أصدقائنا في أمريكا والدول الغربية .

وكنت أقول : إن ذلك لن ينهي المشكلة ، ولن يبقى الوضع على ماهو عليه زمنا طويلا .

بيروبيجان واليهود :

* لقد زرت بيروبيجان المقاطعة اليهودية السوفيتية ذات الحكم الذاتي ، ووجدت أن اليهود فيها أقلية ، علما بأنها كانت ـ كمشروع ـ هي الرد السوفيتي على المشروع الصهيوني ، فلماذا اليهود أقلية فيها الآن ؟ وهل كفت الدولة السوفيتية عن اعتبارها مشروعها المضاد للصهيونية ؟

ـ لقد تم تأسيس مقاطعة بيروبيجان منذ حوالي ٥٠ سنة ، والتحق بها اليهود وغير اليهود حسب رغباتهم وطلباتهم الحرة . صحيح أن المشروع في البداية كان يستجيب لرغبات بعض اليهود لكي يعيشوا في مجتمع خاص بهم ، ويراعي هذا المشروع مكوناتهم الثقافية الخاصة . وقد استجابت الحكومة السوفيتية لهذه الرغبة ، وبخاصة أن اضطهادا قد لحق باليهود أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكان كثيرون منهم يعيشون في مناطق قريبة من ألمانيا وبولونيا (أوكرانيا بيلوروسيا ، مولدافيا) ، وعندما حصل الاحتلال الألماني لتلك المناطق فإن كثيرا من اليهود لجأوا إلى مناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي ، ثم قامت الثورة ، وأصدرت قوانين سمحت بموجبها أن يعامل اليهود تماما كما يعامل أي مواطن سوفيتي من أية جمهورية أو منطقة ، بعد أن كانت القوانين القيصرية تحصر وجودهم في المناطق المشار إليها من قبل .

هكذا بدأت تجمعات اليهود تتزايد في موسكو ولينينغراد ثم في أوديسا وغيرها من مدن ، وصولا إلى آسيا الوسطى ، ثم وصلوا حتى إلى فلاديفوستك في الشرق الأقصى السوفيتي ، ثم طرح مشروع بيروبيجان سنة ١٩٢٨ كي يكون مقاطعة خاصة باليهود ، ومازال المشروع قائما ، ومايزال اسمها « المقاطعة اليهودية » ، ومازال اليهود فيها حتى الآن .

* لكنهم أقلية فيها ، على الرغم من أنها تحمل اسمهم ، وهم ليسوا الأغلبية في هذه المقاطعة .

ـ لقد تأسس المشروع بغرض تجميع اليهود في هذه المقاطعة ، إلا أن هذا الأمر لايتم بالقسر والضغط ، فإننا دولة أممية ، وبإستطاعة المواطن السوفيتي ـ كما ذكرت لك ـ أن يستوطن أي مكان يريد ، وخاصة إذا ماوجد عملا مناسبا فيه ، لذلك فإن اليهود الآن يبلغ عددهم حوالي ١٧ ألف مواطن في بيروبيجان ، من بين حوالي مائتي ألف من السكان ، وقد وجد بعضهم أن موسكو هي الأنسب له ، من حيث العمل والمعيشة وتحقيق الذات فبقى فيها ، وغيرهم وجدوا أن الأمر مناسب لهم في أماكن أخرى ، فبقوا فيها . هكذا هي الحياة في الاتحاد السوفيتي .

* لكن بيروبيجان تختلف ، إنها المشروع السوفيتي المضاد للمشروع الصهيوني .

ـ لاتنس أن الصهاينة قد بدءوا العمل بمشروعهم منذ حوالي مائة سنة تقريبا ، وكرسوا له كل إمكاناتهم وعلاقاتهم .

* ألم يكن يهم السوفيت إنجاح مشروعهم في بيروبيجان ؟ لقد وجدت عائلات يهودية في بيروبيجان جاءت من الأرجنتين ، وبعضها جاء من ألمانيا وبريطانيا وغيرها ، وهذا دليل على أن السوفييت كانوا يخططون لتجميع أكبر عدد من اليهود ، وليس يهود الاتحاد السوفيتي فقط في بيروبيجان ، فما الذي حدث ؟

ـ إن الأمر ببساطة يعود إلى أن السوفييت لايستطيعون إجبار اليهود أو غيرهم على الانتقال إلى هذا المكان أو ذاك ، وبيروبيجان بلاد بعيدة ، تقع في الشرق الأقصى السوفيتي على حدود الصين ، والوصول

إليها والعيش فيها كانت تكتنفه صعوبات كثيرة من قبل .

* إن بيروبيجان كما أفهم وكما جاء في الأدبيات السوفيتية في مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن هي مشروع « قومي » لليهود ؟

ـ لقد كان ذلك في البداية ، إلا أن كثيرين لم يقبلوا على المشروع ، على أساس أنهم سوفييت وأمميون ، وتعلموا الروسية ، اللغة التي توحد بين شعوب وقوميات الإتحاد السوفيتي . وعاشوا في بيئات خبروها وعرفوها وتعايشوا مع سكانها وأصبحوا جزءا منها ، فلماذا يغادرونها إلى مناطق أخرى بعيدة ؟

العسكري والسياسي :

* لقد كنت على رأس الأكاديمية التي درس وتخرج فيها مئات الضباط الأجانب ، ومنهم ضباط عرب ، أود منك أن تجري مقارنة بين ضباطنا والضباط الآخرين في الاستيعاب والعقلية ؟

ـ هناك برنامج واحد موحد نظري وعملي في الأكاديمية ، وهو يطبق على جميع الضباط ، ويتولاه نفس الأساتذة ، وقد كان الضباط العرب ـ حسب رأي مدرسيهم ـ من خيرة الضباط استيعابا وتحصيلا علميا ، بل إن بعضهم حصل على أعلى التقديرات ، إنهم يتعلمون بسرعة لغة وعلما .

* إذاً لماذا ظهرت ومازالت تظهر بعض الثغرات في كفاءاتهم عندما يعودون إلى بلدانهم ؟

ـ قد يكون ذلك ناتجا عن قصور في صاحب القرار السياسي أو الموجه السياسي .

* لقد شاعت مقولات إثر هزيمتنا ١٩٦٧ بأن السلاح السوفيتي غير كفء لمواجهة الأسلحة الغربية فما هو تعليقك ؟

ـ إننا نملك وثائق كثيرة عن حرب عام ١٩٦٧ ، لقد مضت أكثر من عشرين سنة على تلك الحرب ، وإن كثيرين من العسكريين قد درسوا هذه الحرب وقيموها .

لقد كان الدعم الأمريكي « للإسرائيليين » كبيرا ، وهناك تفصيلات لم تنشر في حينها عن هذا الدعم . لقد تم التخطيط لهذه الحرب بالتعاون بين الأمريكيين والإسرائيليين ، ولقد مارس « الإسرائيليون » أعلى درجات الخداع وأشاعوا في إعلامهم أنهم بصدد الدفاع وليس الهجوم ، لكنهم كانوا قد حضّروا أنفسهم للهجوم ، وفي الوقت المناسب بادروا بالهجوم .

لقد واجهنا وضعا مشابها مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد وقع السوفييت مع الألمان اتفاقية عدم اعتداء وهجوم ، إلا أن الألمان كانوا قد جهزوا أنفسهم للعدوان ، فاعتدوا علينا ، مما اضطرنا للتراجع والانكفاء حتى حدود العاصمة موسكو ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا ، فأعددنا عدتنا ودحرناهم وأسقطنا النازية .

إن الخداع قد لعب دوره الصاعق عام ١٩٦٧ ، لكن ذلك لم يستمر طويلا ، لأنني كعسكري أثق بأن الفشل الآني أو الواحد لايمكن أن يكون قدرا مستمرا أو دائما.لقد تحسن الأداء العسكري العربي في حرب سنة ١٩٧٣ ، وكان متميزا . أما بالنسبة للسلاح السوفيتي وعدم كفاءته فإنني أعتقد بأن من يروج لذلك فإنه يروج لنكتة فظة ، إذ لماذا يكون السلاح السوفيتي كفوءاً في هذا المكان ولايكون كذلك في مكان آخر ؟

إن الأداء العسكري العربي لم يستمر بصورة مناسبة سنة ١٩٧٣ ؟

لقد ذكرت لك من قبل أن المشكلة هي مشكلة صاحب القرار السياسي .

الإنسان والآلة :

أيها أهم : الإنسان أم الآلة في الحروب المعاصرة ؟

ـ لقد كان الأمر دائما ومنذ فجر التاريخ يعتمد على الاثنين ، الإنسان والآلة معا ، ودون توافق بين الاثنين فإن خللا يحدث ، كما أنهما يجب أن يكونا في حال جيدة .

* هل يصح القول بأن هذا السلاح دفاعي ، والآخر هجومي ؟

ـ أعتقد أن السلاح ـ أي نوع منه ـ كان منذ فجر التاريخ هجومياًودفاعياً في نفس الوقت ، فإن المدية تستعمل للدفاع والهجوم معا ، والدبابة والصاروخ ، وأي سلاح آخر يستعمل للغرضين .

الصهيونية والاتحاد السوفيتي :

* هل الصهيونية قوية في الاتحاد السوفيتي إلى درجة دفعكم لتأسيس لجنة لمناهضتها ؟

ـ إن عمل لجنتنا لايقتصر على داخل الاتحاد السوفيتي ، إن لنا علاقات عديدة مع منظمات وأنظمة كثيرة ، ونقوم بفضح الأفكار والنشاطات الصهيونية بواسطة كل الوسائل المتاحة كالصحف والبرامج الإذاعية والتلفازية ، ونقيم بالتنسيق مع منظمات أخرى ندوات ومحاضرات ضد الصهيونية ، ولاتقتصر علاقاتنا بمنظمات دول شرق أوروبا أو ذات النهج الاشتراكي ، بل لنا علاقات مع منظمات معادية للصهيونية في أوروبا الغربية وأمريكا ومناطق أخرى ، وهذا يدل على أن وعي بعض الناس قد نما ، واكتشفوا حقائق الصراع ، فوقفوا مع حق الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من الدعاية الصهيونية الكثيفة القوية .

أما من حيث نشاطنا داخل الاتحاد السوفيتي فيمكن القول بأنه لاتوجد منظمة صهيونية لها وجودها العلني داخل الاتحاد السوفيتي ، إنما توجد عناصر تتأثر بالدعاية الغربية المضادة للاتحاد السوفيتي المؤيدة للصهيونية و « إسرائيل » ، وينشطون في مجال تشجيع هجرة اليهود إلى خارج الاتحاد السوفيتي .

* هل لجنتكم وجدت لهذا الغرض . . أي لأجل مكافحة الهجرة ؟

ـ لقد وجدت لأجل هذا الغرض ولأجل غيره ، إننا نعقد الندوات والمحاضرات ، ونصدر المنشورات والكتيبات ، ونستعمل كل وسائل الإعلام المعروفة لكشف أهداف الصهيونية ، وتوضيح مضار الهجرة والمناداة بإعطاء الحقوق الشرعية للفلسطينيين وغير ذلك .

الهجرة في الميزان :

* كيف تنظر لجنتكم إلى موضوع الهجرة ، وخاصة هجرة اليهود إلى فلسطين ، وانعكاس ذلك على العلاقات العربية السوفيتية ؟

ـ علينا أن نضع موضوع الهجرة ضمن إطاره الصحيح ، هناك نص صريح من نصوص الأمم المتحدة ينص على جمع شتات العائلات والأقارب ، بعد أن شتتت الحرب العالمية الثانية العائلات ، لذلك فإن الهجرة قد أصبحت حقا قانونيا لمن يرغب فيها ، وخاصة إذا ماوجد أقارب يدعون الراغب ويتكفلون به . هكذا سارت الأمور بعد الحرب لدى جميع الدول ، لاسيما الدول التي شاركت فيها ، وكما هاجر الآلاف ، بل ومئات الآلاف من شتى قوميات الاتحاد السوفيتي إلى خارجه ، فإن الاتحاد السوفيتي قد استقبل مئات الآلاف من العائدين أيضا ، ومازال الأمر مستمرا إلى الآن .

أما بالنسبة لهجرة اليهود فإن هذا الأمر قد أصبح يستعمل سلاحا مضادا ، وخاصة في سنين « الحرب الباردة » ، والغريب أن الضجة والغبار والدعايات التي يستعملها أعداء الاتحاد السوفيتي تنجلي وتتضح ليكتشف العالم أن ما نسبته ١٠ إلى ١٥٪ فقط من اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتي يتجهون إلى « إسرائيل » ، والباقي يهاجرون إلى الولايات

المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية وكندا واستراليا وغيرها .

إن شعار حقوق الإنسان هو أحد شعارات « الحرب الباردة » الذي يستعمله الغرب لأجل خدمة المصالح الصهيونية فقط ، وكي أطلع قراء مجلة « العربي » وبالتالي العرب والعالم أجمع على حقيقة الأمر فإنني أذكر بأن كثيرا من المهاجرين عندما علموا بأن « إسرائيل » وبعض الجهات المؤيدة لها يطالبون بتغيير خط رحلة طيران المهاجرين من فيينا إلى بوخارست ثم إلى « إسرائيل » مباشرة ، دون أن يمنحوا خيار السفر إلى جهات أخرى غير ذلك ، فإن كثيرين من اليهود سحبوا طلبات هجرتهم .

والأمر كما ترى مضحك تماما . إذا كان الغرب ينادي بحقوق الإنسان فعلا وقولا فلماذا لايحتج على السلطات « الإسرائيلية » التي تريد مصادرة حق الهجرة والتنقل ، وتجبر المهاجر كي يتجه إلى تل أبيب بدلا من أن يكون حرا في التوجه إلى أي جهة يشاء ؟

الهجرة والعرب :

* ألا تؤثر هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة على العلاقات الفلسطينية السوفيتية بخاصة ، وعلى العلاقات العربية السوفيتية بعامة ؟

- إنها تؤثر ، وهي عامل سلبي ، لكن على أصدقائنا العرب أن يتفهموا الوضع كما هو ، فإن هذا الأمر هو أحد الأسلحة الموجهة إلى سمعة الاتحاد السوفيتي وهيبته ، إضافة إلى أنه حق من حقوق الإنسان ، وعليك ألا تنسى أن الكثيرين ممن يحملون الجنسية « الإسرائيلية » الآن قد هاجروا من الأقطار العربية .

ومع ذلك فإن لجنتنا تتابع برنامجها في فضح الصهيونية وتوضيح مضار الهجرة . . إلخ .

* كيف تتعاملون مع من يرغب بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي ؟

- لقد منحت السفارة السوفيتية في واشنطن - على سبيل المثال - ٢٥٠ شخصا إذنا بالعودة إلى الاتحاد السوفيتي في الأشهر الستة المنصرمة من عام ١٩٨٧ ، ويوجد ١٢٠٠ طلب تحت الدراسة أيضا .

ويدرس الطلب دراسة مستفيضة قد تمتد سنوات ، لاكتشاف دوافع العودة ، وألا يكون الشخص قد تورط مع جهات معادية للسوفييت إلخ . وبعد ذلك وعندما تقتنع الجهات المعنية بأن مقدم الطلب نادم ويريد التكفير عن هجرته بالعودة إلى الوطن ، فإنه يتم الإيعاز للجهات المختصة لتوفير عمل وسكن مناسبين له . إننا نأخذ اتفاقية هلسنكي - حقوق الإنسان - بعين الاعتبار ، ونفهم بأن المقدم على العودة شخص ارتكب خطأ بحق وطنه ، ويريد تصحيح هذا الخطأ .

* هل يمكن أن نقابل بعض العائدين ؟

- لقد تولت الصحف نشر مقابلات مع بعضهم ، كما تولى التلفاز والإذاعة نشر مقابلات مع بعض العائدين ، ويمكن أن نوفر لكم بعض الصحف التي نشرت المقابلات

* ولماذا لانقابلهم شخصيا ؟

- إن بعضهم يرفض المقابلات ، وغيرهم لايسكنون في العاصمة ، كما أن الفصل هو فصل صيف وإجازات ، وقد غادر بعضهم العاصمة إلى مناطق الاصطياف في الاتحاد السوفيتي .

* ألا يمكن تدبير مقابلة حتى مع فرد أو عائلة من العائدين ؟

- إن الأمر صعب . (هكذا أجاب أحد مساعدي الجنرال ، وأضاف : أقترح أن تتركوا لنا أرقام غرف الفندق الذي تسكنونه ، وستتصل بكم ، أو نتصل بوكالة نوفوستي كي تخبركم إذا ماجد جديد) .

شكرت الجنرال ومساعديه بعد أن زودونا ببعض صور القصاصات من صحف سوفيتية أجرت مقابلات مع بعض العائدين .

وبدأت أسعى عن طريق علاقاتي الشخصية للوصول إلى بعض العائدين ، وفعلا فإنني قد وصلت . □

قراءة نقدية لكتاب

السيد من حقل السبانخ

رواية عن المستقبل
من تأليف صبري موسى

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

هل كتابة رواية عن مشكلات الإنسان في القرن الرابع والعشرين نوع من الترف الفكري والفني ، أم أن كتابة رواية عن المستقبل يمكن من بعض الوجوه أن تكون مثل كتابة رواية عن الماضي محاولة لرؤية الحاضر من موقع مغاير بحثا عن إمكانية أفضل لفهم هذا الحاضر ، والحوار معه ، والتماسا للاتجاه الصحيح لتطور الإنسان ومساعدته على السير فيه ؟

بغض النظر عن الفروق بين رواية عن التاريخ وأخرى عن المستقبل ، فالعنصر المشترك بينهما هو أن الحاضر موجود فيهما بشكل أو بآخر ، وأن هذا الحاضر هو مصدر الخبرة العامة المشتركة بين الكاتب وقارئه التي منها ينطلقان ، سواء لتمثل الماضي في رواية تاريخية أو تخيل المستقبل في رواية عنه !

وقد كان من الطبيعي أن تظهر الرواية التاريخية أولا إلى الوجود ، وأن يبلور النقد الأدبي قيما نقدية حولها ، وأن تبقى رواية المستقبل أو ما يعرف باسم رواية الخيال العلمي حتى الآن تحتل هامشا محددا على حافة أي حركة أدبية ، وأن تثير من الأسئلة أكثر مما تملك من الأجوبة ، وبالتالي فسوف تبقى الحاجة ماسة إلى التماس أجوبة عن هذه التساؤلات من أين يبدأ كاتب رواية الخيال العلمي ؟ أمن الفروض العلمية التي لم تتحقق بعد ، أم من النظريات العلمية المطبقة بنجاح في مجالات محدودة واحتمالات تطبيقها على مجالات أوسع وأخطر ؟ وماذا ينجم عن احتمالات تحققها ؟

وكيف يرسم كاتب الخيال العلمي شخصياته ؟ بل وما هو مفهوم الشخصية في مثل هذه الروايات ؟ وكيف يقدم الكاتب المعلومات اللازمة للقاريء ، لكي يتواصل مع هذه الشخصيات التي لا سبيل لفهم سلوكها فضلا عن التفاعل معه إلا من خلال هضم



هـذه المعلومات التي تؤثر في محيط الشخصيات ، وبالتالي في سلوكها ؟

وإذا كنا نعرف أنه لا توجد هناك صورة واحدة لمستقبل واحد ، بـل هناك احتمـالات لمستقبـلات عـديـدة ، فهـل ينحـاز الكـاتـب لإحـدى هـذه الاحتمالات وتكون روايتـه تفسيرا لانحيـاره ، أم يختار مستقبلا عريضا تتصارع فيه التيارات كما هو قـائم في الحـاضـر ؟! وكيف يكـون الصـراع بين شخصيات الرواية التي تعكس هذه التيارات ؟ هل سيكون صراعا فيه نبض حياة المستقبل كما يتخيلها الكـاتـب أم يسقط الكـاتـب في شـرك الأفـكـار والاتجاهات والمعلومات ؟

وأين تكمن القيمة في مثل هذه الروايات ، هل في دقة المعلومات وجدتها ، أم في روعة الخيال القـائم على هذه المعلومات ، وقدرته على الاقناع والإثارة ، أم في صدق النبوءات التي تحتوي عليها الرواية ، وما يعنيه ذلك من تأجيل للحكم على قيمتها ؟!!

بعض قصص الخيال العلمي تقتصر على متابعة تحقيق فـرض علمي وحيـد في مجـال بعينـه ، مثـل مسرحية « لو عرف الشبـاب » لتوفيق الحكيم التي كتبها في الأربعينيات ، وصور فيها إمكانية أن يسترد شيخ طاقة الشباب ، فماذا تفعل شخصية يتاح لها أن تمتلك المعرفة والطاقة في وقت واحد ؟!

وبعضها قد يغامر بتصوير حياة عريضة في إطار متغيرات كبيرة ، في مجتمع بأسـره ، مثل مسـرحية « رحلة إلى عالم الغد » لتوفيق الحكيم أيضا ، ورواية عام (١٩٨٤) لأورويل ، ورواية « السيد من حقل السبانخ » التي نتناولها في هذا المقال وإذا كان النوع الأول يمكن أن يظفر في العادة ببناء دقيق محكم فإن النوع الأخير يواجه تحدي الحاجة لتحقيق الانسجام والتوازن والوحدة ، وكلها ضرورية لأي رواية ولو كانت رواية من الخيال العلمي !

بناء الرواية

يرتكز بناء هذه الرواية على محورين أساسيين ، المحور الأول حادث خروج « السيد هومو » عن البرنامج المرسوم خلال عودته من عمله ذات يوم في حقل السبانخ ، ومن هذا الحادث تتداعى أحداث القسم الأول من الـرواية ، إذ نتعـرف عـلى جميـع شخصيات الرواية من خلال مـواقفها ، وطـريقة تفسيرها لهذا الحادث ، ويكـون هذا الخـروج عن البرنامج بمثابة الشرارة التي تفجر المشكلات والأفكار والتسـاؤلات . ويحتدم صـراع الشخصيات حـول مغزى هذا الحادث المفجر ، وينضج هذا الصراع في تيارين أساسيين ، تيار يقوده النظام الحاكم في مجتمع القرن الرابع والعشرين ، ويـرى في هذا الخـروج مؤشرا عـلى خلل في هـذا الفـرد ، ينبغي عـلاجه وتـطويقه ، حتى لا يتـوالى انتشاره ، وتيـار يقـوده « بـروف » المعارض ، وهـو عالم كـان يحتل مكـانا مرموقا في النظام ، لكنه انفصل عنه ليقود المعارضة ضده ، ويرى في خروج السيد هومو وأمثاله دليلا على خلل في النظام ، ويتخذ من «السيد هومو » رمزا لتيار المعارضة

المحور الثاني

محاضرة حول « مستقبل الجنس البشري » يقيمها النظام ليحسم فيها الصراع الدائر بينه وبين المعارضة ، ومن هذه المحاضرة والمناقشات الدائرة من حولها ينجلي الصراع عن فوز النظام وحصوله على الأغلبية اللازمة لإقرار برنامجه الجديد عن التطور الانساني في المرحلة القادمة ، ويختار « بروف » وتياره ومعهم « هومو » بطل روايتنا (رجل السبانخ) أن يخرجوا من مجتمع القرن الرابع والعشرين الذي يستعد لمواصلة رحلته في الكون ، ويعودوا إلى الأرض القديمة التي قد أصبحت غير صالحة للحياة بعد الحرب الالكترونية الأولى في نهاية القرن العشرين ، يعودون للبحث عن إمكانية تحقيق مسار مختلف لتطور الإنسانية . وهكذا يبدو محورا الرواية ، وكأن أحدهما يدور ليفجر المشكلات والآخر يدور ليحسمها !

شخصيات الرواية

كما ألمحنا فإن الكاتب يقدم شخصيات الرواية من حيث علاقتها بحادث خروج « السيد هومو » عن البرنامج ، وابتداء نعرف أن السيد « هومو » قد شعر فجأة برغبة غامضة في ألا يواصل السير في الطريق المعتاد لكن إلى أين ؟ ولماذا ؟ يبدو أنه لم يفكر طويلا في هذين السؤالين ، فقد أسلم نفسه لشعور غامر بالارتياح فقط لمجرد إحساسه بأنه كسر ذلك البرنامج ، وتمكن من الإفلات من قبضته ، لكن هذا الشعور بالارتياح لا يدوم طويلا ، فالشارع الذي يسير فيه يمضي بين جدارين مرتفعين من البلاستيك السميك الشفاف ، لا توجد به فتحات أو نوافذ أو دكاكين ، ويكاد يخلو من المارة ، عدا أعداد قليلة من العاملين في معامل البروتين النوعي التي توجد أسفل الأبراج السكنية ، وهم لا يعبأون كثيرا بتحيته التي يلقيها عليهم ، فهم في طريقهم إلى أعمالهم وفق برنامجهم ، وينتهي به المسير إلى محطة السفر إلى الفضاء الخارجي ، التي لا يوجد فيها سوى أولئك الذين حانت مواعيد سفرهم وفق برنامج مسبق محدد . ويبدو أنه خارج البرنامج ـ أي برنامج ـ لا مجال لشيء سوى الشعور بالتعب والإنهاك والجوع ، والغريب أن يصبح هذا هو الجديد المثير بالنسبة للسيد هومو ، فهو لم يجرب هذه المشاعر من قبل ، تلك المشاعر التي تشير المعلومات التاريخية أنها كانت تصيب الإنسان القديم ، وهكذا كان على السيد هومو في النهاية لكي يتخلص من وطأة الشعور بالتعب والجوع والانهاك ، ولكي يتحدث أيضا عن ذلك لزوجته وأصدقائه ، أن يعود إلى البرنامج ، وأثناء غيبة السيد هومو في مغامرته يقدم لنا الكاتب السيدة ليالي زوجة هومو من خلال بحثها عن أسباب تأخر زوجها في العودة ، ثم نتعرف على صديقه « دافيد » ، لأن الزوجة بحثت عن زوجها عنده ، ثم نتعرف على أعضاء لجنة التحقيقات الممثلة للنظام ، لأن زوجها مُثل في اليوم التالي أمام أعضاء اللجنة لسؤاله عن أسباب خروجه عن البرنامج ، ثم نتعرف على « بروف » في أحد ملاهي المناقشات العامة ، وهي أماكن أعدها النظام ليستطيع من يشاء من أفراد المجتمع في القرن الرابع والعشرين أن يقول فيها ما يشاء بصراحة تامة في أي شيء ولو كان ضد النظام (هايد بارك القرن الرابع والعشرين) . وقد ذهبت السيدة ليالي ودافيد إلى هذا الملهى لمتابعة تحقيق اللجنة مع زوجها على شاشات العرض هناك قبل أن يسمح لها بمقابلته في مركز التحقيق .

وقد استمعت إلى أقوال زوجها أمام اللجنة ، وإلى تعليقات المتابعين في ملهى المناقشات ، ومن أهمها تعليق بروف الذي كانت تراه لأول مرة .

حول هذا المحور تتحرك أحداث الرواية في إيقاع هادىء نوعا ما ، ربما لأنه مثقل بوصف الكاتب لملامح الحياة في مجتمع القرن الرابع والعشرين ، ومثقل بتساؤلات كل شخصية عن مغزى خروج السيد هومو عن البرنامج ، وتفسيرها لهذا الحادث ، ومن هذه التساؤلات نتعرف على جوانب من هذه الشخصيات ، وجوانب من هموم العصر ومشكلاته وتطلعاته ، ونقتحم عالم هذه الرواية .

تساؤلات أفراد أم تساؤلات عصر

هل كان خروج السيد هومو عن البرنامج مجرد تصرف عفوي كما يقول أمام أعضاء اللجنة ، وأنه بممارسته كان يمارس نوعا من الحرية أم أن تصرفه هذا يشكل ثغرة في النظام؟ولو أنهم أطلقوا الحرية لكل فرد كي يتصرف على سجيته في أمر كهذا لانفتحت في النظام آلاف الثغرات ، لتدخل منها كل عيوب البشرية القديمة ، مثل الإهمال والفوضى والكسل والكذب ، كما يقول أعضاء اللجنة ؟

وهل يعالجون حالته ـ كما عالجوا حالات سابقة بدأت تظهر في الآونة الأخيرة ـ باعتبارها نتيجة لسأم من حياته الزوجية أو حياته المهنية ، فيلجأون إلى « الكمبيوتر » لإعادة تزويجه أو لتغيير مهنته مع أن « الكمبيوتر » هو الذي اختار له مسبقا زوجته ومهنته ، ولم تسبق له شكوى من أي منهما ؟!

أم أن المسألة كما قال « بروف » في ملهى المناقشات :

« ليست قضية افتقاد الحرية ، بل هي افتقاد الجمال ، فقد ابتعد مجتمع القرن الرابع والعشرين ـ بسبب اعتماده الساحق على التقنية المتطورة جدا ـ عن فطرة الطبيعة الخلابة وجمالها السخي الذي أصبحنا لانشاهده إلا في أفلام الأرشيف السينمائي القديم ، وأن هذا هو السبب في حالات الخروج عن البرنامج ؟ » .

إن حديث السيد « بروف » عن صرورة العودة إلى الطبيعة في ملهى المناقشات يثير حيرة السيدة ليالي زوجة هومو وهي تبحث عن معنى لخروج زوجها عن البرنامج . كانت لديها تساؤلاتها الخاصة النابعة من علاقتها بزوجها ، فهل يكون لما يقوله السيد « بروف » عن العودة إلى الطبيعة علاقة بذلك ، لقد طلب منها أن تخبر زوجها حين تزوره في مركز التحقيق أن يعتمد في دفاعه عن موقفه على فكرة افتقاد الطبيعة ، وليس افتقاد الحرية ، لكن دافيد صديق زوجها يؤكد للسيدة ليالي « أن العودة إلى الطبيعة مستحيلة ، فنحن نحيا بالفعل في طبيعة بديلة أكثر ملاءمة ، وأن المعادلة الصعبة التي يواجهها النظام هي : إنتاج أكثر لتحقيق عدالة وفيرة يتطلب تزايدا آليا على حساب المساحة الطبيعية ».ولا ينتظر السيد « بروف » حتى تنقل السيدة ليالي رسالته إلى زوجها ، بل يبادر بالاتصال به في مركز التحقية ، ويحدد له موعدا للقائه ، ولا ينتظر حلول الموعد ، بل يشرح له فكرته باختصار عن أن سبب خروجه عن البرنامج هو افتقاده للطبيعة بسبب سيادة العبيد الآليين « الربوتات » الذين يقومون عنا بغالبية الأعمال التي كنا نقوم بها ، فهؤلاء العبيد الآليين هم السادة الجدد ، وهم سر تلك الظواهر ال[illegible] على التعاسة التي بدأت تظهر هنا وهناك

وتصبح هذه الفكرة نوعا من الإلهام « للسيد هومو » ، فقد كان قبل أن يتصل به « بروف » وبعد استجواب اللجنة له يتأمل في شجرة صناعية تسقط أوراقها كما كانت تفعل أي شجرة طبيعية ، وكان يفكر أن البشرية تطورت حقا من عصر النحاس الأحمر معدن الصناعات الكهربائية إلى عصر الالمنيوم معدن الطيران إلى عصر التيتانيوم معدن سفن الفضاء ، لكن من حق الإنسان المعاصر أن يتساءل إلى أين ؟ إن الشعار الذي يرفعه النظام الآن وهو : « من الإنسان القرد إلى الإنسان الملاك » لم يعد قادرا على أن يمنحه الثقة القديمة . يقول لزوجته السيدة ليالي وهي تحاول أن توضح له أنه ربما يكون هناك نوع من الخلل في علاقتهما الجنسية قد أدى إلى خروجه عن البرنامج

ـ لا ، ليست هذه هي المشكلة ، إنني أشعر أن كلام السيد « بروف » يقترب من الحقيقة ، فكلما ازددنا تقدما في الكون فقدنا إحساسنا بذواتنا ، وازدادت حاجتنا لابتكار أدوات وآلات أكثر تقدما ، إننا قد نصنع كائنات تتفوق علينا ، بل لعلنا فعلا قد أصبحنا عبيدا لهذه الآلات كما يقول السيد « بروف » .

لكن السيدة ليالي التي كانت تشعر بشرود زوجها وهو معها في الفراش كانت تتفاعل مع فكرة « بروف » بطريقة مختلفة ، فهي تدرك أن الإنسان

وحده هو النوع الوحيد الذي تحصل فيه الأنثى على النشوة الجنسية ، وأنه استطاع أن يوفر لنفسه شكلا من أشكال التناسل يقوم على الاختيار الذي ينتج التنوع والتغاير ويدفع بالتطور إلى الأمام ، ولقد ظل هذا الانسان عبر مسيرته الطويلة متأرجحا بين رغبته في اشباع غرائزه من ناحية وبين اعترافه بالمسئولية الاجتماعية من ناحية أخرى ، وليس في الحيوانات كلها من واجه تلك المشكلة ، فالحيوان إما أن يكون فرديا أو اجتماعيا ، والإنسان هو وحده من تطلع إلى أن يكون فرديا واجتماعيا في وقت واحد ، وهاقد وصلت أداة الاختيار الجنسي بالإنسان في هذا العصر إلى أنهم يصنعون بطريق التكاثر الخلوي في الأنابيب نسخا متماثلة من أم حيلة وذكية وأب قوي وبارع ، وهم ينتجون من هذه النسخ في المعامل بالآلاف . للعمل في الخطط الانتاجية المبرمجة

أتكون تلك هي الخيانة التي ارتكبها الانسان وهو يقف على قمة تطوره ضد الطبيعة ، فبدأت الطبيعة تنتقم منه ؟ أما « دافيد » فقد حلس يستمع إلى « هومو » بعد أن عاد من التحقيق ، وهو يعقد مقارنة مثيرة بين حال الإنسان في القرن الرابع والعشرين وهو يعيش بعقل مسترخ في كسل تأملي لذيذ بينما الوجبات الباردة والساخنة تأتي إليه عبر الأنابيب ، وبين الكائنات الضخمة التي انقرضت في الماضي البعيد لأن أجسامها الثقيلة ظلت تربطها بالأرض تحت ظلال أشجار الغابات الاستوائية السحيقة القدم ، بينما تطورت الثدييات لأنها أخذت تتسلق الأشجار العملاقة ، وتتاح لها فرصة التحرك والتأمل في عالم رحب من الأضواء والأزهار والبراعم والحشرات .

ويتساءل دافيد باستنكار :

ـ لكن من المؤكد أن لدينا عقولا تعمل لتدير هذا المجتمع الذي يوفر الحياة السعيدة لكل فرد ، فالذين يشغلون المراكز القيادية على جانب كبير من الذكاء .

ـ نعم ، لكن في المقابل فإن جميع الذين لا يشغلون المراكز القيادية مطلوب منهم سهولة الانقياد والمهارة الخالية من « العاطفة » ثم يتابع « هومو » :

إن أوضاعنا في عصر العسل لا تهدد الذكاء الانساني فقط باعتمادنا على العبيد الآليين (الروبوتات) ، بل إنها تطمس الإرادة الفطرية التي تقود غريزة الارتقاء في البشر .

ـ أتريد أن تقول إن لحظة التوقف التي انتابتك هي وليدة انتباه مفاجيء لافتقاد الإرادة .

ـ أجل ، أن تجد نفسك تفعل فقط ما هو متوقع . ومعتاد أن تفعله !

جدل الشخصية والقضية

واضح من استعراض هذا الجزء من الرواية أن القضية المحورية فيها هي قضية التطور . من أين وإلى أين وكيف ؟ وأننا نتعرف على كل شخصية من خلال تكيفها أو عدم تكيفها لذلك التغير الذي يحدثه التطور التقني الهائل في الطبيعة ، سواء طبيعة الأرض أو طبيعة الإنسان الذي يعيش عليها ، ومع أن الكاتب بدأ الرحلة من موقف محدد هو خروج السيد هومو عن البرنامج ، ثم مواقف الآخرين منه ، فإننا مع مسار الأحداث كنا نتعرف على الشخصية من خلال موقفها من الفكرة ، وأحيانا على الفكرة من خلال حديث الشخصية عنها أو تفكيرها فيها . وقد يلاحظ القاريء في الصفحات الماضية طغيان الفكرة على حساب الشخصية ، وأن احتياجات توضيح الفكرة وشرح أبعادها للقاريء كان هو الذي يفرض الجرعة والأولوية ، وشيء مثل هذا قد حدث بالنسبة للمعلومات ، ففي صفحة ٣٧ من الرواية ، وأثناء التحقيق مع « هومو » يستطرد مندوب النظام العام في حديث عن إنجازات النظام في توزيع العمل والطعام والكماليات . . . الخ .

وهذا الحديث لا يقتضيه الموقف ، حيث يتوجه به إلى « هومو » ، والمفروض أنه يعرفه جيدا ، لكن الكاتب في الحقيقة كان يحتال لتقديم هذه المعلومات لقاريء القرن العشرين عما تم إنجازه في القرن الرابع والعشرين ، وواضح أيضا أن جوهر الدراما في هذه الرواية هو دراما الأفكار والاتجاهات المتصارعة ، وأن الأساس النفسي لهذا الصراع كان

شاحبا ، وباستثناء شخصية « هومو » التي كانت تراجيدية بمعنى من المعاني ، وشخصية زوجته ليالي فإن بقية الشخصيات كانت أحادية الجانب ، لا يبرز منها إلا ما يتصل بالموقف من قضية التطور .

إن الايقاع السائد في هذا الجزء من الرواية ما هو إلا إيقاع التساؤلات الحائرة بحثا عن إجابات غير مؤكدة ، وفي هذا الجزء من الرواية يتم التركيز على الأصوات التي تصنع المعارضة ، وإذا كنا قد سمعنا أشياء عن وجهة نظر النظام خلال التحقيق مع « هومو » ، فهي من النوع الذي يهيء القاريء للاستماع لوجهة نظر النظام الكاملة وهي التي يرد بها عن الأسئلة الحائرة في الجزء الأول من الرواية ، وذلك في المحاضرة التي يلقيها ممثلو النظام في القاعة الكبرى ، حيث تواعد بروف وهومو على اللقاء - أثناء التحقيق - في ثالث أيام الإجازة الأسبوعية ليقودا المعارضة ضد النظام . . !

مستقبل الجنس البشري

في القاعة الكبرى المعلقة التي بنيت على شكل مخ بشري لأنها هي التي احتفظت بكل ما تبقى من الحضارة الانسانية في القرن العشرين بعد أن دمرت الحرب الالكترونية كل شيء ، وقف مندوب النظام يلقي محاضرته التي هي عبارة عن برنامج ثوري للخطوة التطورية القادمة ، ولمعالجة حالات الخروج عن البرنامج التي تكررت في الفترة الأخيرة .

وفي القاعة كان بروف وهومو ومن معهم من المعارضين يجلسون ليستمعوا إلى المحاضرة ، ويعلقوا عليها قبل التصويت على البرنامج الذي

صوت النظام

وتقوم المحاضرة على الخلاصات التالية :

تذكير الناس بالنظرية التي ترجع الكوارث الكبرى التي حدثت للإنسانية وعاقت تطورها ، والتي كان آخرها الحرب الالكترونية في نهاية القرن العشرين إلى أن دماغ الإنسان يحتوي على قسمين ، قسم خاص بالغرائز والانفعالات ، وقسم خاص بالمنطق والتفكير ، وأنه بينما تطور القسم الخاص بالمنطق بقي القسم الخاص بالغرائز دون تطور . . . »

الطفل البشري يظل عاجزاً ومرتبطا بوالدته مدة أطول بكثير من المدة التي يقضيها أي صغير آخر من المخلوقات الأخرى وبسبب هذا الالتصاق الطويل ينمو مع هذا الطفل التعصب الأعمى للأفكار والمعتقدات الموروثة دون تفكير .

إن العملية التربوية القائمة على فصل الأطفال عن وعاء الأم سواء في المرحلة الجنينية أو مرحلة الطفولة من خلال خطة الولادة المعملية التي بدأ تطبيقها في نصف القرن الأخير قد أثمرت نماذج متجردة من الإحساس الفردي ، ومرتبطة تماما بالنظام العام وأهدافه التطورية .

إن هؤلاء الطلائع يحملون منذ سنوات مسئولية التنمية البشرية في المجتمعات الجديدة فوق سطح كوكب القمر ، وهي مهمة تستدعي البقاء في الفضاء الخارجي عشرات السنين ، وهو شيء لا يستطيع احتماله الاشخاص الذين ولدوا ونشأوا في أحضان عائلاتهم ، حيث يستولي عليهم الحنين والقلق ، ويؤثر على تفكيرهم وطريقتهم في الأداء ذلك الشعور بالاغتراب عن الأسرة .

لهذا أيها السادة فإن خطة التوصل إلى بشر عقلانيين التي يسير فيها النظام بتدرج يجب أن تسير بسرعة أكبر ، فالوقت لا يسمح بهذا الترف الوجداني بالعودة إلى التفكير في الطبيعة التي تعبر عنها تلك الحالات الشاذة التي بدأت تظهر على بعض الأفراد هنا وهناك ، إنها نذر بأن الشعور الفردي الذي يقود إلى المخالفة والتعصب ما يزال كامنا يهدد المسيرة البشرية الجديدة .

ثم يبدأ المحاضر بناء على هذه الفروض والرؤية المبنية عليها يطرح برنامج النظام الجديد الذي يقوم على فكرتين :

- مواجهة الحالات العارضة للانقطاع عن البرنامج بمعالجة عقول أصحابها كيميائيا بحيث تعود

إليهم السيطرة العاقلة على أنفسهم .

ـ إعلان الغاء مؤسسة الزواج ، وبهذا الإلغاء يتحول الشعور تجاه الابن المجهول تلقائيا تجاه كل الأبناء في المجتمع البشري .

صوت المعارضة

* إن النظام يتحدث عن تطوير العقل وإلغاء الغرائز دون أن يلاحظ ذلك الهبوط المستمر في مستوى الذكاء البشري ، نتيجة لسيادة المنطق الآلي الميكانيكي ، دون أن يلاحظ التناقض بين هبوط ذكاء الإنسان في الوقت الذي تزداد كفاءة العقول الصناعية حتى أصبحت قادرة على الاختراع ، ووضع التصاميم واختزال الخبرات السابقة .

إن البرنامج الذي تقترحونه سوف يجعل عقول الأشخاص تعمل دون إرادة أصحابها ، وأن تتفاهم وهي مستقلة عن ردود فعل أصحابها .

* إن الانسان الفرد هو البداية والنهاية ، وهو الغاية والوسيلة ، ودون ذلك فأنتم صائرون إلى حالة تشبه ما هو قائم في مملكة النحل ، وهي صورة قديمة من صور الحياة ، ومن التنظيم الاجتماعي .

وقبل التصويت الذي يسفر عن فوز برنامج النظام تستمر المساجلات بين المؤيدين والمعارضين التي تتسع لها الرواية ، ولا يحتملها هذا المقال .

نظرة شاملة

إذا كان من الممكن مناقشة الجوانب الفنية في مثل هذه الرواية في هذا المقال ، فمن الذي يملك حق مناقشة الجوانب العلمية الموزعة على شق العلوم البحتة أو الاجتماعية ؟ ومع ذلك فلا أقل من إثارة بعض التساؤلات .

في ضوء التجربة البشرية التاريخية قد يبدو مقبولا ذلك الفرض القائل بأن طول فترة حضانة الطفل البشري تسهم في خلق مناخ للتعصب والفردية والاختلاف ، لكن ماذا عن مشكلات البديل الذي يقترحه النظام ؟ فطول فترة حضانة الطفل متعلقة بخصوصية طفولة البشر وليس بالزواج ، واحتمال أن يحل التعصب للنظام محل التعصب للأسرة والوطن قائم ، المهم أن مشكلات البديل لم تطرح ، بل لم تعرف على نطاق تجريبي واسع ومن يملك حق الحديث عنها ؟؟

تلجأ الرواية إلى منهج أقرب إلى الحسم بين التيارات المتصارعة في المجتمع الإنساني ، مع أن الجدل بين هذه الاتجاهات قائم في ذات الفرد مثلما هو قائم بين القوى الاجتماعية ، والسؤال هو : هل التحدي المطروح هو إزالة الاختلاف بين الأفراد مع أنه أحد مصادر الثراء والتنوع والتفرد ثم التطور وأحد مصادر الجمال حين يؤدي إلى التكامل والتناغم ؟

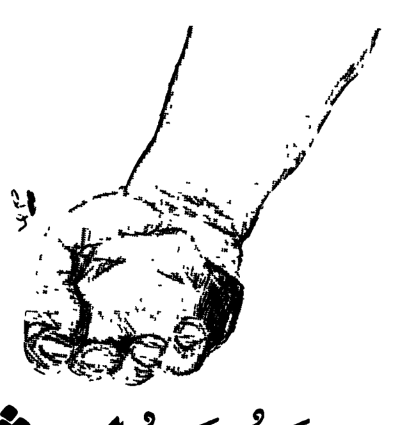
أم أن التحدي الحقيقي هو المحافظة على الاختلاف والتنوع دون أن يقودنا ذلك إلى التعصب والدمار ، بمعنى أن يتعلم البشر كيف يقبلون الاختلاف ، ويتعاملون معه بنجاح لخدمة التطور ؟

ويتم ذلك من خلال صيغة أو مركب جديد يذيب التناقض السابق ويؤدي إلى خطوة تطورية أكثر تقدما .

على الرغم من أن الصراع في الرواية بالدرجة الأولى صراع أفكار وتيارات ، يمتد على نطاق عديد من القضايا ، فقد حققت الرواية درجة عالية من الوحدة والانسجام بين حركة الشخصيات والأفكار والرؤى ، وأكدت ما تميز به الكاتب الروائي صبري موسى في كل أعماله السابقة من جدية والتزام بقضايا تضج في رأسه ، ومهارة فنية عالية . □

اذا مارأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه ، وأنت تعصيه ، فاحذره .

(الامام على)



يَدُ رَجُلٍ مِثْلَهُ !

بقلم : محمود الريماوي

ما ان استعد لأخذ مكانه وراء الطاولة حتى سمع تحية الصباح من أول « زبون » جاء يشتري علبة كبريت نعم ، علبة واحدة تكفي رد التحية وهمّ بمناولته ما طلب ، فاذا بالشاب يقترب منه ، ويرسل إليه نظرات ثاقبة ، ويقول بصوت منخفض لكنه مسموع : اليوم إضراب يا حاج . لماذا فتحت الدكان ؟

(استغرب الحاج لم يكن يعرف .)

ـ هل يجب أن أغلق الدكان حتى ينجح الاضراب ؟ لا أحد يشتري ولا أحد يبيع ، أليس هذا إضرابا ؟

قال ذلك بنبرة متبرمة ، وهو يتفرس في الشاب الذي يعرف قسماته ، ولا يعرف من هو وما اسمه ، لم يكن متأكدا من صحة ما قاله ، وكل ما في الأمر أنه لايريد أن يترك نفسه نهبا للحرج ، أمام هذا الشاب الواثق . الصحيح أنه لا يعرف بالاضراب ، ولعله اليوم الأول .

ـ الاضراب يعني أن تغلق المحلات أبوابها ، ولا تذهب الناس الى اعمالها ، ولا يذهب الاولاد الى المدارس ، ولا يتحدث أحد مع جنودهم ، أنت تعرف ذلك يا حاج .

ـ أعرف ، لا تجعلهم يسمعوك ، خذ كبريتتك واعرف أين تولعها ، تتحدث مثل ابني محمد ، أخذوه ، هل تعرفه ؟

ـ طبعا أعرفه ، سيخرج محمد

تأكد الحاج (الذي على نية الحج) أن جرار الطاولة ليس به نقود ، اطمأن وتنهد ، واتجه الى باب الدكان ليغلقه قرفص ، وأخذ يعالج القفل ، فإذا بجندي يعتمر خوذة يلكزه من الخلف في كتفه

ـ أنت ماذا تفعل ؟

ـ أغلق دكاني .

ـ لماذا تغلقها ؟

ـ تريد أن تشتري شيئا ؟

ـ لاأريد أن أشتري .

ـ لماذا تسأل ؟ هذه دكاني أغلقها وأفتحها متى أريد
ـ قف وتكلم معي ، قف ، يقولون لك لاتفتح فلا تفتح ، افتح تفتح .
ـ من هم يا أفندي ؟
ـ المخربون ، أنت مخرب مثلهم .
ـ نعم ؟ خفيفة على لسانكم هذه النغمة ، لا أحد يخرب البلاد غيركم .

لم يجب الجندي المتأهب ، فقد هرب الى زاوية الشارع ، وانضم الى مجموعته ، إذ رأى صبية يتراكضون أغلق الحاج الباب وتلفت يمينا وشمالا ، ومشى في السوق عائدا الى البيت . لم يكن على عجلة من أمره . فهل خرج من البيت ليعود اليه بعد ساعة واحدة ؟ تطلع حواليه ، المحلات جميعها مغلقة ، إنه إضراب حقا ، قال لنفسه « لو على الاضراب بنضرب ١٠٠ سنة » ، وشعر بالرضا لانه تحدى الجندي وأغلق الدكان . كان لايغلق الحاج الدكان إلا للذهاب الى الصلاة ، وقد شعر وهو يتمعن في الشوارع الخالية ، بشيء من الخشوع الذي يسبق الصلاة : « ماذا يفعلون بمحمد الآن ؟ » ، ودمعت عيناه ، وتمنى لو أنه كان موعد صلاة ليصلي ، ويدعو له من كل قلبه .

ـ قف أنت الى أين تذهب ؟
ـ الى البيت .
ـ أين البيت ؟
ـ تعرفون أين البيت ، البيت الذي أخذتم منه محمدا .
ـ أسأل عن البيت فتقول محمد ، من محمد هذا ؟
ـ محمد ابني وأنا أبوه ، لماذا أنت خائف ؟ دعني أمر .
ـ أنت مجنون .
ـ أنت خالع .

أكمل الحاج طريقه ، لكن لم يذهب الى البيت ، فماذا يفعل هناك ؟ لكن أين يذهب ؟ لقد أغلق تجارته البائرة ، وها هو يمشي كالمأخوذ ، لماذا لا يطلب مقابلة محمد ؟ لن يوافقوا ، سيذهب ، إن ذهب فلسماع الاهانات فقط ، لأنهم لايخجلون .

محمد ابن السادسة عشرة الوحيد الذي عندهم ، أما إخوته الأكبر منه فانهم خارج البلاد ، وأخته الوحيدة متزوجة منذ خمس سنوات . أخذوه في الواحدة بعد نصف الليل ، انتزعوه كالوحوش من سريره ، وضربوه ، وليس عنده سلاح ، لماذا تأخذونه ؟ هكذاخاطبهم وهو يندفع اليهم ، فدفعوه بعيدا ، ثلاثة أمسكوا بمحمد ، وأخذوه بسرعة ، ولقد مضى على ذلك عشرة أيام . منذ ذلك اليوم والحاج لاينام ، والحاجة لا تنام ، ولا حتى الارض ولا الملائكة ولا السماء تنام ، لا أحد يقبل الظلم ، لا العباد في الارض ، ولا رب العباد في السماء ، الدنيا تغيرت في أيام ، والناس ما عادت تخاف أو تحسب حسابا لشيء .

كل شيء له أوان ، فما طار طائر وارتفع إلا كما طار وقع ، الجنود فقط هم الخائفون ، ومع كل هذه الاسلحة والطائرات والدبابات والهراوات فهم خائفون . فكيف لو كانوا بلا أسلحة ؟ وكيف لو كان معنا نحن أسلحة ؟ ولم يرهم خائفين كما يراهم هذه الايام .

ـ لاتذهب من هذا الشارع يا عم .
ـ لماذا ؟ ومن أي شارع سأذهب ؟
ـ من أي طريق ، فالجنود يضربون الشباب .
ـ والشباب . . . ؟
ـ يضربون بالحجارة .
ـ بالحجارة ؟! ماذا تنفع الحجارة يا بني ؟
ـ وهل الكلام هو الذي ينفع ؟ . . اختر لك طريقا آخر .

انتظر قليلا حتى ذهب الشاب ، ولم يختر طريقا آخر ، بل أكمل طريقه بطيئا ، وسمع أصوات طلقات الرصاص ، ورأى سحب الدخان ، هناك ضرب صحيح . كان يمشي على مهل ، ثم يتوقف لاستطلاع ما يجري حوله ، كأنما ينتظر هاتفا ينبئه أين يذهب الآن ، وماذا عليه أن يفعل . الشباب ليسوا كلهم شبانا ، فهناك الصغير والكبير ، يناديه بعضهم بعضا ، ويظهرون ويختفون بلمح البصر ، بعضهم ملثمون وبعضهم مقنعون . ما أشجعهم . عندما

كنت صغيرا ، في عمر محمد ، بل يمكن أصغر ، كنت أسمع عن الثورة ، ورأيت بعض الثوار ببنادقهم الطويلة ، نعم كان معهم بنادق ، فهل من المعقول أن تقوم ثورة بالحجارة ؟

فتح راحة يده ونظر إليها فرأى الشقوق المحفورة فقط في اليد الخافقة ، وحاول أن يتذكر ملمس البندقية في يده ، يد رجل مثله لا ، لم أحمل بندقية ، فقد كنت صغيرا ويتيما أيضا ، ولم يعطني أحد بندقية ، ولم أعرف من أين تؤخذ البنادق ، كنت صغيرا ، ١٤أو١٥ سنة ، أصغر من محمد ولكنك كبرت سأقف هنا الآن ، فقد يمر أحد أعرفه ها هو دكان العطار معلق وهذا صالون أبي رباح معلق ، ومقهى أبي يوسف معلق ايضا أين ذهب الناس ؟ مضى العمر ولم تحمل سلاحا وها هو محمد مثلك شجاع نعم ، لكنه لم يحمل سلاحا

وأنت تقول للجنود صادقا بأنه ليس عنده سلاح ، فكل الاسلحة مع اليهود ، هل خلق الله الأسلحة لليهود ؟ لا إله إلا الله لست مدسا ولست فخورا ، ولا يفخر أحد بمثل ذلك

هز رأسه بأسى وندم ، وفتح راحة يده مرة أخرى ، فرأى الشقوق المحفورة ، وكاد يطعمها ، يطعم يده بدقة ، ثم تمنع ، فماذا لو راه أحد يفعل ذلك ، ألا ينعته بالجنون ، كما فعل الجندي « الاسرائيلي » (الخالع) ؟ ثم انتبه إلى أنه واقف في مكانه يحدث نفسه ، فانتفض ، ودفع كتفيه ، وعبر أول ممر جانبي ماذا يحدث هنا ؟ لقد أصبح في منتصف المسافة تقريبا بين حشد الجنود وجموع المتظاهرين ، وأخذته المفاجأة حتى أنه لم يكترث بسحب الدخان الكثيفة والحجارة المتطايرة ، ولم يوقظه سوى اطلاق نار غزير باتجاه المتظاهرين ، وانحناء مجموعة من هؤلاء على أحدهم وقد سقط أرضا لا تقل إنه محمد ، محمد بخير ، وهذا الشاب يعلم الله مدى خطورة اصابته هذا الذي يحدث أمامك ، وأنت لاتبكي لماذا إذن هذه الدموع ؟ وكاد يختنق بينما الشباب يقذفون مصادر الدخان والنيران بمزيد من الحجارة ، بالحجارة ، لم لا ؟ !

ألا يبني الحجر بيتا ويرفع سورا ومئذنة ، ويشج رأس كل محتال رنيم ؟ ما بك واقف ؟ هل أنت غريب ؟ أنت مع من ؟

انحنى الحاج فجأة كأنما يهم بالركوع ، أو كما ينحني مزارع على ثمار الحقل ، وتناول مثلهم أول حجر صادفه ، التقطه واستدار وقذفه هه هل أصابهم ؟ وبحث عن حجر آخر ، حجر أكبر ، وقذفه بعزيمة أشد هه ، وتناول حجرا آخر وصوبه جيدا هذه المرة نعم إنه يشعر بالخجل لأكثر من سبب ، ويعالج خجله بتصويب المزيد من الحجارة ورجم ابليس بها ، إلا أنه لم يخجل حين سقطت كوفيته ولم يرفعها ، فليس به حاجة إليها الآن ، وقد استبد به لهاث حار طويل متقطع ، جعله يلهج بالشكر واللعنات ولا يدري على من ومن لايرى غير مد نظره سوى ذراعه الحاملة للحجارة ولا يسمع سوى الصرخات والهتافات والطلقات تنبعث من جميع الجهات والسماء تشهد على ما يجري بعضهم يحاول أن يبعده الى الوراء ، فيريحه ، ويتقدم حتى استيقظ هناك ، في المستشفى ، ورأى حوله حلقا كثيرين مصابين مثله ، وعرف أن الحالة لم تهدأ ، وفتح يديه فإذا هما سليمتان لم أكن أن أعرف أنني قادف جيد هذا يكفي هذه المرة إنها أول مرة يدخل فيها معركة ، فليشكر القوي القهار وأحد يضحك مع نفسه كالمأخوذ غير المصدق اشتاق إلى محمد دون أن يساوره قلق عليه ، ولم يعرف بالضبط وهو على هذه الحال إن كان قد عاد الى صباه ، إلى عمر محمد ، أم أنه الآن فقط قد دخل مرحلة الرجولة الكاملة ؟!

وكلما نظر الى راحة يده كتم ضحكته ، وتولته مشاعر مزيج من الزهو والخجل والحيرة ، ثم أخذ يحرك راحتي يديه متأهبا للخروج دون أن يسأل عن جرحه وسأل نفسه الى أين ؟ثم أجاب ستقودني طريقي كما حدث في المرة الاخيرة وأيقظته جلبة حوله سيدخل الجنود الى المستشفى ، فهب واقفا وتقدم الى ملاقاتهم □



معارك الاستنزاف بين البيئة والانسان

بقلم : الدكتور سمير رضوان

لطم إنسان القرن العشرين البيئة على خدّها الأيمن ، فلم تدر له خدها الأيسر ، بل لطمته على خديه وشدّت أذنيه ! وما لم يتعظ الانسان من هذا الدرس القاسي فهو إنما يقامر بوجوده ، وقد يصبح عليه في المستقبل غير البعيد أن يرحل عن كوكب الأرض بلا رجعة .. !

تتسم معارك الاستنزاف بأنها طويلة المدى ، وأن الغلبة فيها مكتوبة في النهاية لذي النفس الأطول الذي يقوى على امتصاص الضربات وردها بصورة أقسى وأشد ولقد بادر إنسان القرن العشرين بالعدوان على بيئة الأرض ولم يكن الدافع من وراء عدوانه هذا شرا متأصلا في نفسه إنما وقع هذا التعدي من باب العجلة في غمرة تقدمه العلمي والصناعي وكان من الطبيعي ـ طبقا لسنة الخلق ـ أن تقلب البيئة للانسان ظهر المجن علّه يرتدع ويعلم أنه مجرد أحد أنواع الأحياء التي تحنو هي عليها فبيئة الأرض أقدم في الخلق وأثبت من الانسان ـ أحدث الأحياء ـ بل ومن جميع الأحياء قاطبة ، ومن عاداها مدحور بلا أدنى شك مهما أوتي من أساليب القوة . فهي الأطول نفسا ـ وهي الأكثر قدرة على تحمل الضربات وردها الصاع صاعين وثلاثة وأكثر ـ إذا لزم الأمر .

الأرض قديمة والكون أقدم :

كان يعتقد ـ الى عهد قريب ـ أن عمر الكون يتراوح ما بين ١٦ الى ١٨ ألف مليون سنة ، إلا أن أحدث الدراسات التي أعلنت نتائجها هذا العام ، والتي اعتمدت في قياس عمر الكون على مقارنة نسبة عنصر كوني في صورته المشعة الى صورته غير المشعة ـ وهي أحدث طرق القياس المتاحة الان وأدقها ـ قد بينت أن هذا التقدير مبالغ فيه ـ وأن الرقم الأقرب الى الواقع هو ١٠ الى ١٢ ألف مليون سنة وقد نوقش موضوع عمر الكون في مؤتمر عالمي عقد في العام الماضي في مدينة نوردكيرشن بالمانيا الاتحادية ، كما نوقش فيه أيضا كنه المادة الأولى التي تشكل منها الكون في ذلك الزمن القديم شارك في هذا المؤتمر حوالي ٢٥٠ باحثا في شتى فروع الفيزياء ومن النتائج التي اتفقوا على صحتها أن الذرات التي تتكون منها المادة ومكونات أنويتها المعروفة مثل البروتونات والنيوترونات ليست في الواقع هي « المحطة النهائية » عند البحث عن أدق وحدة للمادة . إذ ثبت أن كلا من هذه المكونات يتركب بدوره من جسيمات أكثر دقة يترابط بعضها ببعض ترابطا وثيقا يصعب فك عراه وتجري في معاهد علمية أوروبية عديدة دراسات تعرض من خلالها

البروتونات والنيوترونات لوابل من درات تندفع بسرعة الضوء بغية فك عرى هدا الارتباط الوثيق والهدف من وراء هده المجهودات هو الحصول على الصورة الأولى التي كانت عليها المادة الكون قبل أن تتكثف وتتشكل على صورة نجوم وكواكب وتحدر الاشارة هنا الى أن العلماء لم ينجحوا بعد في الحصول على هده الصورة الأولية الا أنهم على الطريق الصحيح الى هدا الهدف

كانت هده المقدمة صرورية لالقاء الصوء على أصل كوكب الأرض فالأرض مثل شتى الكواكب والنجوم مكونة من درات تكثفت من الصورة الأولى التي سعى العلماء للحصول عليها لدراستها وكشف أسرارها وكوكب الأرض نشأ مند حوالي ٥ الاف مليون سنة ، تعرض خلالها لصنوف معقدة من التغيرات التي لم تتوقف في الماصي ولن تتوقف في المستقبل ولقد اختار الله هدا الكوكب ليصبح البيئة الى يعيش فيها الانسان الى أن تقوم الساعة وعمر الانسان على الأرض لا يتجاور مليونا واحدا من السنين وكانت قد سبقته الى كوكب الأرض جميع المخلوقات الحية الأخرى من مكروبات ونباتات وحيوانات وقد ظهرت أوائل الأحياء على الأرض مند حوالي ٣ الاف مليون سنة

نخلص من دلك الى أن الأرض أقدم من الانسان بكثير وأن الله لم يخلقها بيئة خاصة به كي يحتكرها بل ان الانسان هو الذي طرأ على جميع الأحياء وكان عليه ـ لكي تستقيم حياته وحيوات الكائنات الأخرى ـ أن يتعامل معها ومع البيئة التي تضمهم جميعا بحكمة غريزية أوجدها الخالق فيه بالفعل

كل الأحياء تؤثر في بيئة الأرض :

ولفهم ذلك لابد لنا أن نتعرض لما هو المقصود « بالبيئة » فنقول إنها هي الطبقة الرقيقة من كوكب الأرض التي تشمل سطح هذا الكوكب وتمتد الى أمتار قليلة تحت هذا السطح كما تشمل الغلاف الجوي المحيط بهدا الكوكب الى ارتفاع يبلغ عشرات قليلة من الكيلومترات ، هدا هو ما اتفق العلماء على تسميته « بالغلاف الحيوي » أي الغلاف الذي تعيش



كائنات اسحر والىلوب الفاتل

فيه شتى الأحياء مؤثرا بعضها في بعصها الاخر وفي المادة الصلبة والسائلة والغازية المحيطه بها وليس هناك كائن حي واحد إلا ويؤثر في هده البيئة ويتأثر بها ، على أنه تأثير يمكن أن يسمى التأثير (العريري) الذي يقع دون تدبير أو قصد من الكائن الحي فالأحياء حين تتنفس الأكسجين وتوفر ثاني اكسيد الكربون إنما تؤثر في كيمياء الجو وميكروبات التربة التي تهصم المادة العصوية فيها لتتعدى بها فارزة مواد معينة إنما تؤثر في كيمياء التربة ، ومثل دلك يحدث أيضا في الماء وباستمرار على أن هدا التأثير العريري في البيئة محسوب ومتوازن ولا صرر من ورائه حتى الحيوانات الضارية لا تؤثر في مسار الأحياء إلا بمقدار محسوب فمن المعروف أن معظم الحيوانات الضارية لا تعتدي على الفريسة إلا عند الشعور بالجوع ومن أجل سد الحاجة الغذائية فحسب ، وعلى ذلك فلم نسمع عن أن نوعا من الحيوانات انقرض فقط بسبب افتراسه من قبل الضواري

لم يؤثر مخلوق في البيئة كما فعل الانسان :

عندما أنزل الله الانسان الى الأرض منذ حوالي مليون سنة كان تأثيره على البيئة متواضعا ولم يكن يختلف عن تأثير الأحياء الأخرى ، فقد كان هذا التأثير يتسم « بالغريزية » المطلقة . إلا أن الانسان يختلف عن جميع الأحياء الأخرى إذ ميزه الله « بالعقل » الذي تفتقر اليه كل الأحياء الأخرى . وثمة فرق عظيم بين المخ ، وهو العضو الموجود في أعداد كبيرة من أنواع الحيوانات ـ ومن ضمنها الانسان ـ وبين العقل الذي يتفرد به الانسان ، والذي يستطيع به أن يأتي أفعالا مقصودة ومدبرة فضلا عن الأفعال التي تتحكم فيها الغريزة ولسنا بحاجة الى أن نذكر أن العقل هو مصدر قوة الانسان وسيطرته على الأحياء الأخرى . فالقرد مثلا ـ وهو أقرب الأنواع للانسان بيولوجيا ـ لا يمتلك إلا قدرا يسيرا للغاية من القدرة على التدبير المقصود لا تزيد عن قدرات الحيوانات الأخرى ، وذلك على الرغم من إمكان تدريبه بعد مشقة على مهارات تبدو عقلية . خلاصة القول أن عقل الانسان قد يسر له استحداث تأثيرات مدبرة مقصودة في البيئة إضافة بالطبع الى التأثير الغريزي الذي أشرنا اليه . ولقد كانت اثار الانسان الأول على بيئة الأرض تغلب عليها السمة الغريزية ويقل فيها التدبير والقصد ، ومع الزمن ، ومع تدرج الانسان في سلم الترقي ، ومع تعقد حاجاته باطراد تزايدت ملكاته التدبيرية ، ومن ثم تأثيره في البيئة .

عدوان الانسان على البيئة :

تدل نتائج الدراسات البيولوجية على أن النوع البشري قد أثر تأثيرا عميقا في البيئة وكان من نتيجة ذلك أن اختلت الموازين السائدة بين شتى الأحياء على الأرض عدة مرات . ومن المستغرب ان أنواع الأحياء التي تعيش على هذا الكوكب اليوم لاتمثل إلا حوالي ١٪ فقط من مجموع الأحياء التي شهدتها الأرض خلال رحلتها الطويلة . معنى ذلك ان ٩٩٪ من أنواع الأحياء قد انقرضت بغير رجعة . كما أثبتت هذه الدراسات أن معدل انقراض الأنواع على الأرض بعد ظهور النوع البشري قد بلغ ٤٠٠ ضعف لمعدلات الانقراض قبل ظهوره ، وهذا يوضح تماما الأثر الحاسم لهذا المخلوق في بيئة الأرض ، ولقد كان اختراع الزراعة إحدى الخطوات الأولى التي قضى من خلالها الانسان على أعداد لا تحصى من أنواع النباتات . وذلك من أجل أن يحفظ عددا محدودا من الأنواع الأخرى . فالمعروف أن المساحة المزروعة على الأرض تبلغ اليوم حوالي ١٠٪ من مجموع مساحة اليابسة،يزرع الانسان حوالي نصفها بثلاثة أنواع فقط من النباتات هي القمح والذرة والأرز . أما الأنواع التي قضى عليها في سبيل الحفاظ على النباتات الثلاثة فتبلغ عشرات الألوف . ومن المعروف أيضا أن انسان القرن الأخير قد قضى على أنواع شتى من الحيوانات ، وان كان بعضها قد أمكن الحفاظ عليه من الانقراض في المراحل الأخيرة بعد جهود مضنية

وكثيرا ما كان يقضي الانسان على الحيوانات التي تضمها بيئته بحماقة تدعو الى الاستغراب مثال ذلك الجاموس الأمريكي الذي كان الثروة الحيوانية الرئيسية عند الهنود الحمر قبل أن يجتاح الرجل الأبيض أمريكا . هذه الثروة الحيوانية الكبيرة أوشكت أن تستنزف تماما بسبب هواية الصيد عند الرجل الأبيض في أوائل القرن الحالي . كانت قوافل الصيد تخرج بالمركبات الوثيرة لتتوقف بالقرب من قطيع الجاموس الذي ينعم بالمرعى في سلام . فيترجل الصيادون ويمطرون الحيوانات بوابل من الرصاص ثم يتركونها صرعى ويعودون الى مركباتهم وينطلقون بعيدا . هل هناك حماقة أغرب من هذه ؟ لمجرد إشباع شهوة القتل لدى بعضهم أوشك نوع بأكمله أن ينقرض لولا أن تداركه المعنيون بشئون البيئة فجمعوا الأعداد القليلة قبل أن تنتهي وتعهدوها بالرعاية في حدائق وطنية حتى بلغت أعدادها اليوم عدة ألوف ونحن لا نسعى هنا الى حصر ما قارفه الانسان من عدوان على البيئة . إنما قصدنا ذكر أمثلة قليلة فحسب . ويقتضي الانصاف أن نذكر هنا أن هذا العدوان لم يكن مبعثه في الغالب إلا غفلة الانسان

وجهله فهي ثمرة التقدم العلمي والصناعي غابت عن الانسان حقائق كثيرة ، أو لنقل تجاهلها دون ان يدرك مدى خطورة هذا التجاهل. فكانت النتيجة انه اصاب بيئته بأضرار بالغة نذكر فيما يلي بعضها.

الانسان سمّم البيئة

لم يشهد الغلاف الحيوي في أية حقبة من عمر كوكبنا قدرا من التلوث مثل القدر الذي أصابه خلال العقود القليلة الأخيرة من هذا القرن. فقد لوث الانسان التربة والمياه والهواء وطبقات الجو العليا. اما التربة فقد لوثها بما ألقى فيها من سموم. إما كمخصبات واسمدة أو كمصادات للأعشاب والحشرات والآفات أو كنفايات لصناعاته العديدة. ولوث المياه بمخلفات المجاري والصناعة. وكمثال وحيد نذكر الأطنان من مساحيق الغسيل التي تنتهي الى الأنهار والبحار مما رفع نسبة الفوسفات فيها الى حدود حرجة. كما لوث الانسان الهواء بعوادم السيارات والمصانع فرفع تركيز ثاني اكسيد الكربون في الجو ولوثه بغازات أخرى سامة لم تكن موجودة فيه من قبل مثل اكاسيد الكبريت والنيتروجين الناتجة عن احتراق الوقود وعن عملية التسميد. هذه الأكاسيد هي التي تتسبب فيما أصبح يسمى المطر الحمضي ، وذلك عندما تذوب في مياه الأمطار التي تصبح أحماضا مخففة تتركز مع الزمن في التربة لتقضي على شتى صور الحياة فيها. كما لوث الانسان طبقات الجو العليا وعلى وجه الخصوص غلاف الأوزون ، وذلك من خلال الاستعمال المتزايد لغاز « كلور فلور هيدروكربون » كغاز طارد في عبوات الرش المختلفة.

يرتفع هذا الغاز بعد تحرره من عبوة الرش الى الطبقات العليا فيتفاعل مع الأوزون حتى أصبح غلاف الأوزون اليوم على درجة من الرقة والضعف لم يبلغها من قبل. وطبقة الأوزون هي التي تحمي الحياة على الأرض حيث تمتص الاشعاعات الكونية المهلكة فلا تصل الى سطح الأرض. ومن المؤلم أن صور التلوث هذه قد بلغت اليوم بالفعل حدا يصعب معه السيطرة على اثارها السيئة. فغازات الطرد التي ذكرناها ترتفع ببطء شديد في الجو وتستغرق حوالي ١٠ سنوات كي تصل الى غلاف الأوزون على ارتفاع يتراوح بين ٢٥ و ٤٠ كيلو مترا عن سطح البحر. والمعنى الخطير لذلك أن البشرية لو استطاعت اليوم أن تمنع تماما استعمال هذه الغازات ـ وهو هدف تسعى اليه بالفعل كثير من الدول الصناعية ـ لما استطاعت على الرغم من ذلك أن توقف تآكل طبقة الأوزون على الفور. بل سوف يستمر هذا التآكل سنوات عشرا أخرى على الأقل وهي الفترة التي تستغرقها الغازات التي رششناها اليوم في رحلتها. ونذكر هنا أن العالم السويدي لارسن ـ مكتشف هذه الطبقة ـ قد اعلن منذ شهور قليلة ان معدل تآكل غلاف الأوزون قد انخفض الى حد ما ولكنه مازال في الحدود الحرجة.

الانسان قضى على أحياء نافعة

لقد قارف الانسان ذلك بالأسلوب غير المباشر. كما قارفه بالأسلوب المباشر. أما الأسلوب غير المباشر فيعود بنا مرة أخرى إلى ظاهرة التلوث ، إذ أن هذه الظاهرة قد أدت بالفعل إلى اغتيال أعداد لا حصر لها من الأحياء. بل وإلى انقراض الكثير من الأنواع. ولا بد أن القارىء قد سمع عن الموت الجماعي للأحياء البحرية الضخمة كالحيتان والدلافين. ويميل كثير من العلماء إلى الاعتقاد بأن تلوث المحيطات هو السبب في هذا الموت. ولابد أن القارىء قد سمع أيضا عن موت الأسماك وجميع أنواع الحياة في شتى أنهار العالم ، وآخر ذلك ما أعلن في الصيف الماضي عن تسمم مقطع من أعالي نهر الراين في الأراضي السويسرية ، اذ أثبت فحص يجري بصورة دورية « روتينية » على أحياء النهر أن جميع صور الحياة قد ماتت بنسبة تجاوزت ٩٠٪. وشمل ذلك الأسماك ـ صغيرها وكبيرها ـ والأحياء الدقيقة التي تتغذى عليها هذه الأسماك. وقد ظل العلماء السويسريون يضربون أخماسا في أسداس حول أسباب هذه الظاهرة المفاجئة حتى أعلن العلماء الألمان والفرنسيون أن التلوث بالسموم هو السبب. فقد حللوا عينات من المياه التي أخذت من الجزء الحيوي

لنهر الراين . وأثبتوا وجود نسبة مرتفعة من مضاد حشري كان يستخدم في هذه المنطقة ، لابد أنه تسرب إلى النهر متسببا في هذه الكارثة . على أن من أخطر ما تسبب فيه التلوث هو بلا شك موت الغابات في شتى بقاع العالم . ففي أحدث الدراسات التي نشرت عن موت الغابات الصنوبرية في أوروبا مثلا ثبت أن هذا الموت قد بلغ حدودا مرعبة . إذ بلغت نسبة موت الأشجار في هولندة ٥٩٪ وفي المانيا الغربية ٥٣٪ وفي سويسرة ٥٢٪ وفي تشيكوسلوفاكيا ٤٩٪ وفي فرنسا ٣٨٪ وفي السويد ١٧٪ . كما بينت هذه الدراسة أن التلوث الصناعي هو المتسبب في هذا الموت وتتضح هذه الحقيقة من اكتشاف علمي حديث أثبت الدارسون من خلاله أن الغازات التي تتصاعد رأسيا من المداخن المرتفعة ـ مهما بلغ ارتفاعها ـ سرعان ما يتغير اتجاهها في طبقات الجو العليا بزاوية قائمة تماما فتنطلق العوادم موازية للأرض أفقيا مع اتجاه الريح مكونة ما أصبح يعرف « بطبقة الانعكاس » . وفي استطاعة العلماء تحديد ارتفاع هذه الطبقة بدقة ، وكانت المفاجأة أن جميع القياسات قد أثبتت أن معظم موت الأشجار التي تكسو الجبال والمرتفعات يحدث على مستوى طبقة الانعكاس هذه . مما يوفر دليلا ماديا على أن التلوث الصناعي هو المسئول عن موت الغابات .

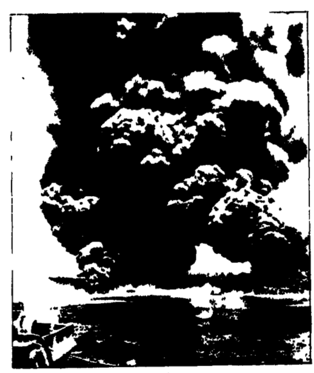
كيف ردت البيئة على عدوان الانسان ؟ :

ذكرنا بأن كوكب الأرض يبلغ اليوم من العمر حوالي ٥ الاف مليون سنة ، ظل خلالها يتبدل ويتشكل تحت تأثير عوامل طبيعية وكيميائية وبيولوجية لا حصر لها . ولقد كانت الأوضاع السائدة على هذا الكوكب في أية لحظة من عمره المديد هي في الواقع محصلة التوازن الدقيق بين ما أفضت إليه هذه العوامل . ولم يكن هذا التوازن يتعرض لخلل إلا في حدود محسوبة ، وسرعان ما كان يتم تصحيح الخلل مرة أخرى ، دون أن تشعر الأحياء بما يجري في البيئة من حولها . إلا أن إنسان القرن العشرين قد استطاع ـ بما حباه الله من عقل ـ أن يتسبب في تغيرات عميقة مقصودة ، تناولنا أمثلة قليلة منها بالوصف . واقتضت سنة الله في خلقه أن تتحرك البيئة من جانبها لكي تصحح هذا الخلل ، وكما هو متوقع كان رد الفعل من قبل البيئة مساويا في عمقه لفعل الانسان مما أدى إلى كوارث حقيقية .

الكوارث الطبيعية في السنوات الأخيرة :

وقعت في السنوات الأخيرة في أنحاء شتى من العالم كوارث عديدة لم تكن تحدث من قبل ، من أمثلة ذلك هطول الأمطار بغزارة في مناطق كان المطر فيها معتدلا ، وانقطاع الأمطار تماما في مناطق كان المطر يهطل فيها ولو نادرا . لقد كان الصيف الماضي في أوروبا مثلا غزير المطر بشكل غير عادي مما أدى إلى تلف المزارع وإلى سيول وانزلاقات وانهيارات أرضية خاصة في المناطق الجبلية . وتسبب ذلك في موت البعض وجرح البعض وتشريد البعض . وتشير الدلائل إلى أن هذه الظواهر الطارئة لها علاقة مباشرة بتعدي الانسان على البيئة . فهل كان هذا التعدي حقا سببا أدى إلى مثل هذه الكوارث ؟ وفي بداية إجابتي على هذا التساؤل أود أن أسجل إحصائية مغزاها على قدر كبير من الخطورة . تدل القياسات الفيزيائية على أن درجة الحرارة في جو الأرض ترتفع باطراد ، كما تدل أيضا على أن معدل هذا الارتفاع سوف يزداد زيادة كبيرة في المستقبل . لقد ارتفع متوسط درجة حرارة الجو في خلال العشرة آلاف سنة الماضية بمقدار درجة واحدة مئوية إلى درجة ونصف درجة فقط . أما في السنوات الخمسين القادمة وحدها فسوف يرتفع متوسط درجة حرارة الجو طبقا لقياسات دقيقة ما بين ٣ إلى ٥ درجات مئوية . وهذا قدر لا يستهان به على الاطلاق .

ولقد ارتفع تركيز ثاني اكسيد الكربون في جو الأرض في العصر الحديث من جراء احتراق الوقود في السيارات والمصانع ، كما أن مساحات الغابات الخضراء التي كانت تستهلك قدرا عظيما من هذا الغاز في عملية التمثيل الضوئي قد تقلصت كما ذكرنا . وهذا هو السبب في ارتفاع حرارة الجو باطراد أضف إلى ذلك أن الباحثين قد اكتشفوا في طبقات الجو العليا غلافا من غاز الميثان (غاز


حريق . . وتلوث واصح للبيئه

المستنقعات) هذه الطبقة التي نشأت في الزمن الحديث تعكس إشعاعات الحرارة التي تفقدها الأرض عادة في الفضاء . فتعود مرة أخرى لترفع من حرارة الجو . وغاز الميثان هذا تنتجه أنواع لا هوائية من بكتيريا التربة التي تنتعش كلما زاد تركيز ثاني اكسيد الكربون وكلما تشبعت التربة بمياه الأمطار

ولكن ما علاقة ارتفاع حرارة الجو بغزارة الأمطار في مناطق مثل أوروبا وندرتها في أفريقيا ؟ يهطل المطر عندما ترتفع ـ بتأثير الحرارة ـ طبقات الهواء المشبعة بالبخار إلى أعلى وتصادف ريحا باردة تكثف بخار الماء . هذا ما يحدث الآن في أوروبا بغزارة لا مثيل لها من قبل خاصة أن درجات الحرارة ترتفع باطراد كما ذكرنا . أما المناطق الجافة فواضح أن ارتفاع الحرارة يزيدها جفافا على جفاف . فتربتها أصلا فقيرة في الماء ، ومن ثم فالهواء الساخن الذي يصعد إلى أعلى لا يحمل بخارا . لكن ما علاقة غزارة الأمطار بالانزلاقات والانهيارات الأرضية التي سمعنا عنها في أرجاء شتى من أوروبا وأمريكا وآسيا هذا الصيف ؟ لقد درس علماء اليابان أسباب ظاهرة الانزلاقات الأرضية فوجدوا أن معظم الانزلاقات تحدث عندما تتسرب مياه الأمطار في التربة حتى تصادف طبقة صماء فتتجمع بغزارة هناك مما يخلخل هذه الطبقة فتكتسح السيول بسهولة الطبقة التي تعلوها فإذا وقع ذلك على منحدر مثل سلسلة جبال حدثت انهيارات جبارة كالتى سمعنا عنها في منطقة جبال الألب مثلا . ولكن ما علاقة ذلك كله بتدخل الانسان في البيئة ؟ على الأقل في المناطق التي قضى فيها الانسان على الغابات بالتلوث أو بالاجتثاث تبدو هذه العلاقة واضحة جلية . فالمعروف أن الأشجار تمتص كميات هائلة من مياه الأمطار بمجرد هطولها وتعيدها بخارا للجو خلال عملية النتح .

الأخطار في المستقبل أعتى وأشد :

ما لم يغير الانسان من انماط سلوكه تجاه البيئة تغييرا جذريا وما لم يتعلم من دروس الماضي القريب فلا شك أنه سوف يرحل عن هذا الكوكب في المستقبل . فهو ليس بقادر على أن يحارب ضد قوانين الطبيعة بأي حال من الأحوال . لقد تجنبت في مقالتي الخوض في أمور كثيرة ـ لا يتسع المجال لها ـ مثل الاشعاعات النووية التي يقتل الانسان الحديث نفسه بها كما يقتل نفسه بالتلوث . تدل أحدث إحصائية على أن معدل موت البشر بسبب استنشاق مواد سامة ملوثة للجو قد ارتفع في عام ١٩٨٦ بمقدار ٧٫٦٪ مقارنة بعام ١٩٨٥ أكرر أن هذه الزيادة حدثت خلال عام واحد فقط . ولست بحاجة إلى التذكير « بتشيرنوبيل » ولا بأمراض السرطان والحساسية التي تسببها الملوثات . حتى أن مادة مثل بيركلوروإثيلين التي شاع استعمالها في تنظيف الملابس بالبخار أثبتت البحوث مؤخرا أنها تصيب حيوانات التجارب بأنواع من السرطان . على أنني أذكر في الختام بأن الارتفاع المطرد في درجة حرارة الجو سوف يؤدي يوما بالضرورة إلى ذوبان الجليد في القطبين مما سوف يرفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى مستوى يغرق تحته مناطق كثيرة من العالم آهلة بالسكان . والأرقام والحسابات مسجلة ومحفوظة لمن يريد أن يقرأها ، ومن قرأها بالإمعان الذي تستحقه تأكدت لديه ضرورة أن يهادن الانسان بيئته بل أن يخطب ودها وأن يدللها . □



بقلم: محمود المراغي

المهاجرون

الترحال نشاط عربي قديم ، وفي صدر الاسلام عرف العرب الترحال البعيد من أجل التجارة تارة ، ومن أجل نشر الدعوة تارة أخرى ، فخرجت القوافل ، وخرجت الجيوش ، وإن أخذت في معظم الأحيان شكل « الترحال المؤقت » .

أما الآن فيأخذ الترحال طريقا آخر ، فدول الأنهار كانت أكثر استقرارا من الناحية الزراعية والنشاط الاقتصادي والسكاني بشكل عام ، وكانت الهجرة منها محدودة للغاية ، لكن بعد أن أصبح العمل في السنوات الأخيرة سلعة قابلة للتداول وللتصدير تغير الوضع ، وأصبحت هذه البلدان ـ مثل المغرب ومصر والسودان ـ أكثر قدرة على تصدير قوة العمل .

لقد تغير المألوف ، وأصبحت أقطار عربية كثيرة في دائرة الجذب ، بعد أن كانت في دائرة الطرد .

والأهم أن المنطقة العربية قد أصبحت واحدة من المناطق الرئيسية في العالم التي أصبحت تعرف ظاهرة الهجرة ، فاستقبلت وصدرت بالملايين .

العرب المهاجرون

في تقرير عن مستقبل الاقتصاد العربي حتى عام (٢٠٠٠) أعدته أمانة الجامعة العربية والصندوق العربي للإنماء وصندوق النقد العربي ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول رقم يقول : إن عدد العاملين العرب في الخارج يتراوح بين (٥ ـ ٥,٥) ملايين شخص ، وأن ربع هؤلاء على وجه التقريب يعمل في بلدان غير عربية ، مثل الجنوب الأوروبي الذي ينتشر فيه القادرون من أقطار المغرب العربي .

والأرجح أن هذا التقرير قد جاء متحفظا ، فتعداد المصريين والفلسطينيين واللبنانيين وحدهم يفوق بالتأكيد الرقم الاجمالي الذي أشارت له الدراسة ، ومع ذلك وإذا اعتبرنا الرقم الذي عكف على دراسته الاقتصاديون رقما يقترب من الصحة فإننا لابد أن نسجل أننا أمام ظاهرة مهمة ، تحتل موقعا متميزا في الاقتصاد العربي ، وفي الخصائص السكانية للمنطقة العربية .

تعداد العرب الآن يقترب من (٢٠٠) مليون نسمة ، لكن قوة العمل التي تمثل القادرين والراغبين في العمل لا تزيد نسبتها عن (٢٨٪) ، أي (٥٦) مليونا .

ومعنى الأرقام أن المهاجرين من أجل العمل تبلغ نسبتهم (١٠٪) من قوة العمل تقريبا ، أو أن هناك مهاجرا واحدا بين كل عشرة من المشتغلين ، سواء كانوا من الإناث أو الذكور

لكن إذا حاولنا قياس التأثير الاقتصادي فإنه يفوق ذلك بكثير ، فمتوسط دخل المشتغل في الخارج

وادخاره يفوق دخل المشتغل بالداخل وادخاره بعشرة أضعاف

كما أن ذلك العدد المنتشر في أرجاء العالم كافة تتوزع تخصصاته من بسيطة كعمال البناء ، الى مهن معقدة وخبرات عالية طالما أطلقنا عليهم اسم « هجرة الأدمغة » ، والأكيد أن جزءا كبيرا من الريف السوي الذي يتم من العالم الثالث ويتجه للعالم الأول مصدره الوطن العربي وفي كل الأحوال فإن عنصرا رئيسيا للهجرة يلعب دوره ، وهو تفاوت المستوى الاقتصادي ، وثمن العمل في مختلف الأسواق

من الرواج الى الانكماش

رحلت العمالة العربية الى الخارج في فترات الرواج ، ومعظمها في فترة الرواج النفطي

صحيح أن عمالة كثيفة قد انتقلت في وقت مبكر من المغرب والجزائر وبدرجة أقل من تونس الى فرنسا وبعض الأسواق الأوروبية ، وصحيح أن كفاءات علمية سافرت من مصر ولبنان والسودان وغيرها للعمل في الشمال الأمريكي أو الشمال الأوروبي ، لكن الأغلب الأعم جاء مصاحبا للرواج ، وجاء لنشارك في عمليات البناء الأساسية التي شهدتها أقطار النفط العربية في السبعينات

لذا فعندما بدأ الانكماش في دول النفط ، وعندما عكس الركود في العالم الصناعي بنسبة بات الانكماش في سوق العمل أمرا منطقيا وطبقا للدراسة السابقة فإنه من المتوقع أن ينخفض عدد العاملين العرب خارج بلدانهم الأصلية بنسبة تتراوح بين (٢٠/ و ٢٥/) عام ١٩٩٠ ، أي بنسبة ٤/ سنويا تقريبا منذ عام ١٩٨٥ حتى بداية الحقبة القادمة

الأسباب واضحة ، فمع انكماش ايرادات النفط انخفضت الاستثمارات والنشاط الاقتصادي بشكل عام ، ومع مرور السنوات حدث تشبع في بعض الأنشطة الخدمية ، وما يتصل بالبنية الأساسية والتشييد ، وكان من الطبيعي أن تنحسر بعد ذلك هذه الأنشطة

الأسباب إذن متعددة ، وخطط دول النفط تبرر أي نوع من العمالة يقع في دائرة الاستغناء ، فالخطة الخمسية تستهدف تخفيض العمالة الأجنبية التي بلغت ثلاثة ملايين مشتغل بمقدار (٦٠٠) ألف خلال سنوات الخطة ، وبعضهم ممن يعملون في التشييد

قطاع التشييد أول القطاعات الطاردة ، وتليه قطاعات أخرى في الادارة والخدمات والتجارة ، لكن ، وعلى النقيض ، قد تستمر قطاعات الصناعة والزراعة والنقل قطاعات جاذبة

على أي حال فإن هذه التحولات في سوق العمل سوف يصحبها ارتفاع في الأهمية النسبية لمشاركة الوطنيين في دول النفط بالأنشطة المحلية وعلى العكس فسوف تكون عودة هذه العمالة التي تبدأ بالأقل مهارة مشكلة حقيقية في الأقطار العربية الأخرى التي طالما اعتمدت في الحقبة الماضية على أعداد أكثر وتحويلات أكبر للعاملين في الخارج

الآن تواجه هذه الأقطار مشكلة نقص في المواد ، خاصة من العملة الأجنبية ، كما تواجه مشكلة العائدين ، وضغطهم على سوق العمل إنها معضلة الحاجة الأكثر للاستثمار ، والقدرة الأقل في نفس الوقت ، فهل تستطيع ؟ □



● لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل

(ابو بكر الصديق)

● لا ينبغي الذي لا يعمل بعلمه بالسخرة المورقة . لا بد منها

(ابو حيان التوحيدي)



منتدى العربي

قضية

نحن لا ننزع الشك !

بقلم : فوزى عبدالقادر الفيشاوي *

وردية تلك الصورة التي ترسمها أجهزة الاعلام الجماهيرية ، لذلك النوع من التقنية ، المسمى « الهندسة الوراثية » .

وأخشى أن يكون التنقيب عن المشاكل والمعوقات ، والتفتيش - بدأب - عما تضمره صدور المضاربين والسماسرة في سوق الجينات مخيبا للآمال ، معتما للصورة . والحقيقة فان أي ظلال تصنعها المعرفة سوف تفيد - حتما - في إعادة التوافق للشكل النهائي للصورة . إن الحديث هنا محاولة للبحث عن مواقع (الظلال) في صورة وردية لامعة . . !

يبدو أن تاريخ العلم سيسجل بأن علما من العلوم لم يحظ بمثل ما حظيت به الهندسة الوراثية من دعاية وترويج وتدليل في أجهزة الأعلام الجماهيرية ، ومن ثم فإن هناك هدفا رئيسيا لجدلي هنا ، وهو أنه من الواجب أن يكون تجاوبنا مع هذا اللغو الدعائي الذي يحيط بالهندسة الوراثية تجاوبا نقدياً ، فالمدهش حقاً أنك حيثما وجهت نظرك ستجد تسطيحاً خيالياً مبالغاً فيه : هذه التقنية قد حلت مشاكلها . هذه التقنية ستخفض أسعار السلع والمنتجات . هذا المستحضر الجديد سيعالج السرطان . هذه التقنية ستحل مشاكل العالم الغذائية . هذه الفكرة ستجعل الأدوية أرخص . !!

وحتى لا نكون كمن يفكر بمجموعة من « الأكليشيهات » الجامدة ، دون أن يحاول الاهتداء إلى الحقائق عن طريق البحث الحر النزيه ، فإننا سنحاول عرض القضايا والمشاكل الحقيقية التي تواجه

---

* مدرس علوم «وتكنولوجيا» الاغذية - كلية الزراعة - جامعة أسيوط - القطر العربي المصري

هذه التقنية الجديدة ، والتنقيب تحت ما يصل إلى أسماعنا من ضجّة إعلامية ، مع إبراز التضمينات الاجتماعية للهندسة الوراثية للمناقشة الواسعة بكل موضوعية

دائرة معارف الجهل

ضحك العالم طويلا حينما أصدرت إحدى دور النشر الانجليزية في الآونة الأخيرة أول « انسيكلوبيديا » دائرة معارف للجهل قد ضمت إجابات أكثر من ٦٠ عالماً دولياً لسؤال مفاده : ما هي الأسرار التي لم تعرفها البشرية بعد عن الكون والطبيعة والانسان ؟ وفي مجلدين ضخمين جاءت ردود العلماء لتؤكد بأن هناك مناطق جهل كثيرة ، وفراغات واسعة في المعرفة الانسانية بالعالم من حولنا . !

ولو شئنا لاتبعنا نفس المنهج عند مناقشتنا مدى القصور الذي يعتري المعرفة الانسانية بطبيعة الجينات الوراثية ، وهي العوامل الأساسية التي صارت لعبة العلماء المفضلة فيما تعارفوا على تسميته « الهندسة الوراثية » . فماذا لو علمت أن الانسان يمارس ـ الآن ـ لعبة خطيرة ، وهو يجهل أصول اللعبة ومفرداتها ، فالمعرفة الانسانية بوظائف « الشيفرة » الوراثية محدودة للغاية ، ومعظم هذه المعرفة تتركز على إحدى سلالات بكتيريا تسمى ايشيريشيا كولاي E . Coli ، وهي السلالة (K_{12}) ، ولم تزد معرفة الانسان على مدى الثلاثين عاما الماضية على حل رموز « الشيفرة » الوراثية في ثلث ملليمتر من الشريط الوراثي (DNA) لتلك البكتيريا ، البالغ طوله ملليمتر واحد ، والذي يحتوي على ٥٠٠٠ جينة بسيطة في التركيب الوراثي بالمقارنة مع غيرها من الجينات في الكائنات الأعلى كالثدييات ، ففي الخلية البشرية يصل طول الشريط الوراثي حوالي مترين ، ويصل عدد الجينات المعروفة منها حتى الآن حوالي ثلاثة آلاف جينة فقط ، ولهذا لكي نستطيع التعرف على تركيب الشريط الوراثي الكامل للانسان نحتاج إلى ستة آلاف باحث يعملون مدة أربعين سنة . أرأيت ـ إذن ـ أن المسألة أعقد مما نتصور ؟ !!

هذا بالاضافة إلى أن هذه الجينات تقوم بعمليات منظمة لا تعرف طبيعتها بشكل دقيق ، فالمعروف أن أي خلية في الجسم تحتوي نواتها على الامكانات الوراثية الكاملة اللازمة للقيام بكل التفاعلات الضرورية للكائن ككل ، ومع ذلك يظل أكثر من ٩٥٪ من المخزون الوراثي لكل خلية في حالة صامتة ، حيث يتم (كبت) كل الجينات ، ما عدا تلك التي تقوم بوظيفة خلية الكبد أو الدم أو الطحال ، وهكذا . ولا يعرف تماماً كيف يحدث ذلك ، وبالتالي سيكون الشروع بالعبث في هذه الخلايا وتحريك الجينات بينها ـ دون توافر المعرفة الكافية عن كيفية عملها ـ مسئولية بالغة الخطورة . !

بكتيريا « فرانكنشتين » في حالة مخاض

قبل عقدين من الزمن ، وفي بداية عصر نسخ الجينات ، رأى كثيرون ومنهم العلماء أخطارا كبيرة محتملة للهندسة الوراثية . وقد أدت هذه المخاوف إلى صدور قرار رسمي بتعليق هذه الأبحاث مدة ثمانية عشر شهرا (من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٦) . وقد تركزت تلك المخاوف في احتمال تحول بعض هذه الكائنات الدقيقة غير الضارة نسبيا إلى كائنات شديدة الخطورة عند نقل جينات إليها في شكل جزئيات DNA مطعَّم . وقد تساءل بعضهم : ماذا لو أن بكتيريا ايشيريشيا كولاي ـ التي تعيش غالبا في أمعاء الانسان ـ حملت جينات لانتاج الكحول مثلا ، ثم تسربت إلى أمعاء الانسان ، ألا يمكن أن يؤدي ذلك إلى أن يصبح البشر جميعا مدمنين للكحول ؟ وتساءل آخرون : ماذا لو حملت تلك البكتيريا جينات جديدة (لتحطيم السليلوز مثلا) ، ثم تسربت إلى أمعاء الناس ، فهل ستسبب مشاكل غير متوقعة ؟ . ومن طريف ما يروى في هذا الشأن أن دكتور « آندا شاكرا بارتي » الذي يعمل في معهد جنرال اليكتريك للبحوث والتنمية بنيويورك كان قد نجح في عزل جينة الميكروب المسئول عن هضم

السليلوز في أمعاء المواشي وزرعها في الشريط الوراثي لبكتيريا القولون التي تعيش في أمعاء الاثمان ، وبعد أن تمت التجربة بنجاح تخوف من إمكان انتشار هذا الميكروب المعدل في أمعاء البشر ، فعلى الرغم من أنه سيقوم بهضم سليلوز الخضراوات التي نتناولها ، ويحولها إلى سكر سهل الامتصاص من أمعائنا إلى دمائنا ، لكن ذلك قد يكون له آثار جانبية ضارة . ومن يدري ، فربما أحدث هذا الميكروب إسهالا مزمنا ، أو قد يؤدي إلى تكوين غازات كثيرة قد تحدث الانتفاخ ، (ومن أجل ذلك) قام (الرجل) بتدمير هذا الميكروب . وعلى حد قوله : (حتى لا أتحمل وزر أمر غير محمود العواقب) .

وهكذا فقد استقر رأي العلماء على ضرورة إحكام السيطرة على مثل هذه الكائنات ، بينما يرى آخرون بأن هذه البكتيريا المعدلة ، قد ذللت في المعامل بدرجة مفرطة ، بحيث أصبحت غير قادرة على منافسة البكتيريا التي تعيش في الأمعاء .

حينما يحصدون السراب

ذكرنا بأن معظم معلوماتنا الوراثية عن وظائف الجين قد بنيت على أساس الأبحاث التي أجريت على بكتيريا القولون ، ومن ثم فلم يحظ أي ميكروب بمثل هذه العناية والدراسة والتدليل ، حتى صارت شهرته في أبحاث الهندسة الوراثية على كل لسان ، لكن - كما يقولون - لكل ميكروب (هفوة) ، فقد أعلنت شركة جينيتك Genetech عن ردو . فعل معاكسة للدفعات الأولى التي أنتجتها من هرمون النمو البشري المسمى « سوماتوستاتين » Somatostatin ، وقد أرجعت ذلك لوجود الجدر الخلوية البكتيرية التي تحتوي على مادة سامة تسمى Lipopolysaccharide endotoxin ، وهي مركب سُميّ ، يصعب فصله تماماً عن الأدوية المنتجة من ايشيريشيا كولاي . أرأيت ؟ . ! حتى هذا الميكروب المدلل أحيانا يخيب الآمال ، ويتعين علينا البحث عن (بديل) ميكروبي ليحل محله ، وتتم لهذا السبب دراسة أنواع أخرى من البكتيريا أو الخميرة ، فلعلها تكون أكثر أماناً . !

وفي أحيان أخرى يتعطف هذا الميكروب المعدل ، فيعطيك ما تريده دون مظاهر السمية ، لكنه بتكاليف أعلى بكثير مما لو أنتج بالطرق التقليدية . فقد بدت للعلماء إمكانية إنتاج زيت النخيل من البكتيريا ، وحينما قدرت التكاليف كانت المفاجأة ، فقد وصلت ألفي جنيه للطن الواحد ، في الوقت الذي يبلغ فيه سعر طن زيت النخيل المنتج بالطرق التقليدية حوالي ٤٠٠ جنيه ، وكان معنى ذلك ألا نهتم بالانتاج الميكروبي لكل ما يتكلف إنتاجه بطرق الاستخلاص الحالية من المادة النباتية .

والآن هل أدركت أصول اللعبة ؟ إن اللعبة على العموم هي أن تحتضن شركات الهندسة الوراثية ، الطلب على العقاقير والمنتجات (غالية الثمن) ، حيث تستطيع تضييق مجال المنافسة لضمان استرداد تكاليف التطوير الباهظة . إنها لا ش[illegible] مكلفة . !

أسطورة الدواء الرخيص

لعلك تتذكر معي قائمة الأدوية التي يُنتظر مساهمة الهندسة الوراثية في إنتاجها (الانسيولين ، الانترفيرون ، هرمونات النمو ، مستحضرات الدم ، أنزيمات يوروكينيز) . ألا تلاحظ بأنها جميعا مجموعة من الأدوية (العلاجية) (غالية الثمن) لمجموعة من الأمراض (المربحه) ؟ وتلك يا سيدي ، هي محاور نشاط شركات المستحضرات الطبية التي تبحث دائما عن منتجات جديدة يمكن أن تباع بكميات كبيرة بهامش ربح كبير ، حتى تسترد تكاليف التطوير والترويج ، فالانسيولين - على سبيل المثال - يفي بالكثير من معايير المستحضر الناجح المربح ، فهو من ناحية يعتبر الحل الأمثل لعلاج مرض السكر الذي يعاني منه كثيرون في العالم ، حيث يبلغ الاحتياج العالمي له أكثر من ٤٠٠ مليون مليون دولار ، والمتوقع تضاعف حجم هذه السوق باستمرار ، ومن ثم فقد قدمت شركة « ايلي ليلي »

للأسواق نوعا من الأنسيولين البشري ، تم إنتاجه من بكتيريا معدلة ، لكن المهم أن هذا الأنسيولين لن يكون رخيصا ، كما قد يأمل بعضهم ، وهكذا ترى أن جهود شركات الهندسة الوراثية تتجه أصلا ببحوثها باتجاه يرسخ في الأذهان : أن لا مفر ، فالمرض مؤكد ، ودائما معنا ، وليس أمامنا إلا علاجه . هكذا يروجون ، دون أي محاولة للاستفادة من الهندسة الوراثية في محاولة وقف زحف هذا المرض ، وليس علاجه المستمر بحقن الانسيولين ، حيث ان مرض السكر يستحضر معه دائما أضرارا للعينين والقلب والجهاز الدوري والأطراف والاصابة بالغرغرينا ، وهذا وضع لا تخلقه شركات الأدوية ، لكن من الضروري أن نؤكد أن هذه الشركات تشترك في جريمة استمرار هذا المرض بسبب تركيز بحوثها ومجهوداتها التسويقية باتجاهاتها الحالية . إنه جدل حول العلاقات الاجتماعية التي تحدد الأولويات الأجدر بالرعاية : بحوث الطب الوقائي لمحاولة خفض الطلب على الأنسيولين ، أم بحوث تطوير الأدوية والعلاجات التي يتزايد الطلب عليها باستمرار مع تقدم المرض وتفاقمه . لكن يبدو أن هذا هو عين الهدف المطلوب . !

أدوية وعلاجات أرستقراطية

منذ أن نجحت مجموعة « تشارلز وايزمان » في دفع بكتيريا معدلة لانتاج « انترفيرون » بشري قامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن ، وصاحب ذلك ضجة إعلامية مدوية ، بدعوى أنه العلاج الأمثل لمرض السرطان وكثير من الأمراض الفيروسية ، ولا يخفى أن هذه الضجة يقف من ورائها بالتمويل شركات دوائية عملاقة ، يهمها مزيد من الترويج في الوقت الذي يعتقد فيه كثير من العلماء بأن هذا الادعاء باطل فالانترفيرون ليس بالعلاج الأمثل للسرطان ، لأن هناك طرقا عديدة أقل إثارة يمكن أن نطرقها لمنع السرطان ، غير أنها ـ ويا للأسف ـ لا تتوافق مثل توافق الانترفيرون مع البناء الاجتماعي والاقتصادي للدول الصناعية الكبرى ، فالثابت ـ علمياً ـ أن النوعين الأولين من الانترفيرون المنسوخ ، قد أظهرا بعض الفاعلية ضد أنواع معينة من السرطان ، لكنهما يظهران في معظم الوقت أقل فاعلية من طرق العلاج التقليدية ، كما قد يسببان أعراضا جانبية تشبه الانفلونزا ، كما أن نجاح الانترفيرون في علاج بعض الأمراض الفيروسية مثل التهاب الكبد الوبائي والهيربس والرشح الاعتيادي لا يعد مبررا لمثل هذه الضجة ، فالنظرة المنصفة للأمور تبين أن الملايين ممن تصيبهم الحصبة أو شلل الأطفال أو الالتهاب الكبدي وغيرها من الأمراض الفيروسية هم في الأغلب من الفقراء المحرومين من الرعاية الصحية الذين لا يمكنهم بأي حال الحصول على الانترفيرون ، ذلك الدواء الأرستقراطي ، وممن يعانون أصلا من سوء التغذية ، بحيث لا يستطيعون مقاومة تلك الأمراض ، فيبدو أن الكثير من الفيروسات لا يقتل إلا من أضعفهم الفقر والاستغلال . !

أما عن هرمونات النمو فيكفي أن نذكّر بما قاله مدير شركة سلتك ، من أن حجم سوق هرمون النمو البشري يبلغ في أمريكا نحو مائة مليون دولار سنويا ، هذا بالاضافة إلى تقدير آخر ظهر عام ١٩٨٢ يقول بأنه من الممكن تسويق ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار سنوياً من هرمونات نمو الماشية والخنازير ، فالهدف إذن ما يزال البحث عن الربح ، على الرغم من أن الممارسات الأخيرة تزيد من احتمالات ترك بقايا الهرمونات في اللحم ، فترة ليست قصيرة عقب الذبح ، ومن ثم فمن الممكن أن يتلقى من يأكلونه جرعات من هرمون النمو ذات آثار جانبية طبية خطيرة تؤثر بشدة على الغدد الصماء في الأطفال . وليست ذكرى ما حدث للأطفال في بورتوريكو منا ببعيدة . !

أما عن العلاج بالجينات فالكثير من العلماء يعتقدون بأنه طب تجريبي شديد التعقيد ، مستهلك للموارد ، ففي أنيميا البحر المتوسط (الثالاسيميا) ، يفكر العلماء في علاجها عن طريق ايلاج جينات طبيعية إلى خلايا النخاع . بحث،

ـ . الجسم عمله الطبيعي الذي افتقده منذ ظهور المرض . ـ

ويرى كثير من العلماء بأن من الصعوبة بمكان ايلاج الجينات في خلايا النخاع بطريقة مأمونة مضبوطة فاعلة ، والأهم من ذلك أن هذه التقنية ـ عالية التكلفة ـ هي مجرد محاولة (لعلاج) أفراد ، وليست أبدا أسلوبا للوقاية الشاملة من المرض .

وحتى لا نسترسل دعنا نتساءل : من يستفيد من كل هذا النشاط ؟ بعض الناس ، بالتأكيد ، لكن المؤكد أنهم سيكونون تلك الأقلية (المقتدرة) التي تُزود حاليا بكل ما تحتاجه من مستحضرات وخدمات طبية راقية ، وحتى تكاليف توفير العلاج لهؤلاء المرضى لن تنخفض .

وهكذا فإذا كانت التطبيقات الطبية للهندسة الوراثية سوف تقلل من معاناة الانسان ، وتسمح بعلاج بعض الأمراض بشكل أكثر فاعلية ، كما ستضيء بعضاً من مناطق الجهل الطبي الحالي ، وهذا لا شك يعد تقدماً ، إلا أن العلماء لا يعتقدون بأن الهندسة الوراثية سوف تخفض أسعار الأدوية ، أو أنها ستولي اهتماماً أكبر للأسباب الاجتماعية للأمراض ، أو أنها ستمنح الناس سيطرة أفضل على تطوير الرعاية الصحية ، ذلك لأن شركات « البيوتكنولوجيا » يبدو كما لو كانت ستستخدم الهندسة الوراثية أساساً لتطوير الطب العلاجي ، بحيث يصبح مصدرا لمستحضرات أو علاجات لبعض الأمراض . مستحضرات وعلاجات تهمل تماما دور الطب الوقائي بما يمثله من تحصين ضد المرض ، كما تهمل تماما دور العمليات الاجتماعية والاقتصادية التي تصيب الانسان بالمرض .

ولعل ذلك مما يعتم الصورة اللامعة للهندسة الوراثية ، ليس لأن معظم القائمين على شركات المستحضرات الطبية لا يهتمون بأن عملهم لن يمس حياة ملايين من الناس أبداً ، بل لأن لهم أولويات وأفكارا ـ غير إنسانية ـ عن الطب والعلاج . إن فكرتهم ـ ببساطة ـ أنه عليك أولا أن تجمع الثروة ، ليمكنك بعد ذلك أن تشتري الصحة وإلا فلا صفقة . !

إن هناك علماً قد ولد ، وإن هناك علماء يعملون ، على الرغم من المشاكل وتعقدها ، ومع كل يوم يتبدد جانب آخر من مناطق الجهل العلمي ، وتتضخم المعرفة الانسانية بشكل أدق وأشمل ، لكن المهم ألا نغفل المراجعة الاجتماعية الدائمة لتلك العائلة ، أقصد تلك الطرق الحديثة لصناعة الأشياء المسماة « الهندسة الوراثية » .

إن أحداً لا ينكر أننا نعيش الآن مرحلة « محورية » في تاريخ العلم ، تفتح فيها منافذ لقوى هائلة للتدخل في عمليات الحياة ، وما يجري الآن من مجالات الابتكار لهو من الضخامة والخطورة بحيث يتطلب التفحص الكامل والمراجعة الاجتماعية قبل التنفيذ ، إلى تقييم موضوعي للأشياء ، ننزع فيه عن عيوننا تلك التهويمات الهلامية التي تروج لكل شيء على أنه التقدم الخالص ، المبرأ من العيب ، ولتساعدنا على تصور مستقبل حقيقي بكل ما ينطوي عليه هذا المستقبل من خسائر وأرباح محتملة . ! □

● اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق فانها لاتغنى ، واذا ادبرت عنك فانفق فانها لاتبقي . (بزر جمهر)

● النار فاكهة الشتاء ، والحلق دهليز الحياة . (من أمثال العرب) .

● كم من عليل قد تخطاه الردى ، فنجا ومات طبيبه والعوّد . (علي بن الجهم)

● ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع . (عمر بن الخطاب)

الجديد في العلم والطبّ

إعداد : يوسف زعبلاوي

هل في الامكان رجوع الشيخ إلى صباه ؟

● هذا مايبشر به عقار قديم معروف اكتشف العلماء بالصدفة فاعليته في تجديد حيوية الشيوخ ، وقدأثبتت هذه الفاعلية ، التجارب العلمية العديدة التي أجروها عليه في الآونة الأخيرة ، فبات مرشحا لترخيص جديد تصدره وكالة الغذاء والدواء في واشنطن ، وتبيح بيعه واستعماله من أجل تجديد الحيوية وتنشيط الخلايا ونمو الأوعية .

ذلك أن العقار راتين أ (Ratin- A) معروف في الأسواق منذ سنة ١٩٧١ حين رخصت وكالة الغذاء والدواء استعماله لمعالجة حب الشباب ، فالعقار اذن بحاجة الى ترخيص جديد يقر استعماله الجديد ، وقد تقدم العالم الباحث الذي طور هذا العقار بطلب هذا الترخيص الجديد الذي يتوقع الكثيرون صدوره عن الوكالة المعنية في مستقبل غير بعيد .

ومن طريف مايذكر ان اكتشاف فوائد راتين ـ أ ضد الشيخوخة جاء بمحض الصدفة في أواخر سنة ١٩٨٧ ، فقد اتفق لبعض العجائز اللواتي استعملن العقار ـ بقصد التخلص من حبوب ظهرت على وجوههن وتشبه حب الشباب ـ أن لاحظن اختفاء الكثير من تجاعيد وجوههن نتيجة استعمال العقار ، وعودة الكثير من نضارة الصبا التي فقدنها وتحسرن على فقدانها منذ زمن بعيد ، فحلت النشوة محل الحسرة ، بقدر ماحلت النضارة محل التجاعيد .

وما أسرع ماوصل خبر هذا الأثر السحري الى العالم الدكتور البرت كليجمان استاذ أمراض الجلد في جامعة بنسلفانيا ، وهو الباحث الذي نجح في تطوير العقار قبل عشرين عاما ، فعاد يجري التجارب والتحاليل من أجل التثبت من حقيقة ذلك الأثر ، وفوجىء العالم الباحث بما اثبتته تلك البحوث العديدة الشاملة من فاعليات العقار (راتين أ) وآثاره ، فقد كانت مذهلة بحيث اضطر «البروفيسور كليجمان» الى تكرار تجاربه وأبحاثه وتحاليله حتى اذا ثبتت حقيقتها بما لايقبل الشك تقدم الى وكالة الغذاء والدواء يطلب الترخيص الجديد على نحو ما أسلفنا .

ونوجز فيما يلي تلك الفاعليات المثيرة :

* أسهم العقار في تجديد خلايا الجلد .



الا لسب التد
يوما عاره سردد على
الســة الشيـوح ، لكن
هل يصح عقار راس في
تحديد حيويه الخلايا
ونشاطها ونمو الاوعيـه
وعلاج الشيحوحه ؟

* ساعد على نمو الأوعية الدموية
* نشط انتاج الياف (الكولاحن) و (الاكتين)
* شفى من الحروق الجلدية التي يسببها الافراط في التعرض لأشعة الشمس

وتجدر الاشارة الى أن طريقة استعمال راتين أ ـ المرهم ـ بقصد مقاومة الشيخوخة تكون بطلاء الجسم به مرة واحدة في اليوم وذلك على مدى ستة شهور على ألا يغالي المرء في استعماله وإلا تعرض الجلد لالتهابات هو في غنى عنها ومرهم الراتين ا لا يكسب مناعة ضد أشعة الشمس وان كان ذا قدرة على معالجة الحروق التي قد تتسبب بها ثم انه لايفيد كثيرا في حالة التجاعيد العميقة التي ترافق سيـ ـخة الثمانينيات والتسعينيات

■■■

جهـاز جـديـد لعمليـات القـلب

يحرص الجراحون كما هو معروف على رصد كيمياء دم المريض ، حين يجرون لقلبه العملية الجراحية الخطيرة (القلب المفتوح) وهم يولون الذوائب أو الشوائب الكهرباوية (electrolytes) مزيدا من اهتمامهم ، والقصد من ذلك انما هو المحافظة على محتويات الأكسجين وثاني أكسيد الكربون في الدم ضمن الحدود السوية ، وقد درجوا على إرسال عينات الدم من غرفة العمليات إلى أقرب مختبر يتوافر لديه جهاز التحليل المطلوب (Bench-top analyzer) ، لكن هـذا الجهاز لا يؤدي مهمته بسرعة ، وقد يحتاج الى نحو ٤٥ دقيقة لانجاز التحاليل ، ثم إنه بالغ التكاليف . من هنا كان الاهتمام البالغ بالجهاز الجديد الذي طورته مؤخرا إحدى الشركات الأمريكية والذي أطلقت عليه اسم (GEM-6) ، فهو جهاز صغير نسبيا ، ويوصل بأجهزة القلوب والرئات الصناعية التي لا غنى للمريض عنها أثناء العملية ، ويقوم الجهاز المذكور بالتحاليل المطلوبة في غضون دقيقتين فحسب . ويقوم بها « أوتوماتيكيا » لدى الضغط على زر من أزراره

فأنت لا تكاد تضغط على هذا الزر حتى ينطلق الجهاز في عمله ، فيسحب من



جهاز جديد يستخدم في عمليات القلب ، وهو يقوم بالتحاليل المطلوبة خلال دقيقتين إثر الضغط على احد ا ه

دم المريض ٢ سم وذلك عبر الرئة والقلب الصناعيين ، ثم يتولى تحليل أو تحديد ٦ محتويات موجودة في الدم هي : (الأكسجين) و (ثاني اكسيد الكربون) و (البوتاسيوم) و (الكالسيوم) و (الهماتوكريت أو نسبة الخلايا في الدم) و (توازن PH أو ت ١) ، فالزيادة أو النقصان الذي يطرأ على هذه المحتويات في دم المريض أثناء العملية ، ذو خطورة كبيرة على حالته

ويتم ذلك بواسطة خرطوشة أو لفافة جمعت فيها الشركة مقومات التحاليل المطلوبة جميعها ، وهي تحتوي على كل العناصر الهامة (محاليل) و (وعاء للنفايات) و (قطب كهربائي elec.rode) ، أضف إلى ذلك أن هذه الخرطوشة معدة للاستعمال مرة واحدة وللطرح في سلة المهملات بعد أداء مهمتها

وتجدر الاشارة إلى أن ثمن جهاز (GEM-6) الواحد يبلغ (١٦٠٠) دولار ، يضاف إلى ذلك ثمن الخرطوشة البالغ (٣٠٠٠) دولار ، وتلك هي الأثمان المقررة لأسواق الولايات المتحدة وأوروبا واليابان

■■

لماذا تطرف العيون ؟

● ساد الاعتقاد بأن الباعث على طرف العيون إنما هو جفاف الجو وحاجة العين إلى الرطوبة . لكن البروفسور جون سترن ، أستاذ علم النفس في جامعة واشنطن في سانت لويس يتساءل « إن كان ذلك هو سبب طرف العيون حقا ، فلماذا لا تطرف عيون الأطفال الرضع إلا قليلا ، طرفة واحدة كل بضع دقائق ؟ ولماذا تؤكد الدراسات والاحصاءات أن لا علاقة تذكر بين رطوبة الجو وجفافه وبين كثرة طرف العيون أو قلته ؟ » .

لقد دلت الأبحاث العلمية الدقيقة على أن لطرفة العين علاقة بما يختزنه المرء من معلومات ، وما يتخذه من قرارات ، وما ينجزه من أعمال عقلية شاقة ، ودلت أبحاث أخرى على أن للتعب والقلق علاقات وثيقة بطرف العيون ، بحيث يزداد هذا كلما كثر ذاك .


اليونسكو..
عطاء الثقافة والعلم والتربية
استطلاع : صلاح حزين



في موقع غير بعيد عن برج إيفيل في العاصمة الفرنسية ، باريس ، يقوم مبنى فريد في معماره ، يحيطه سوران ، واحد من الاسمنت ، وآخر من أعلام ١٦٩ دولة هى أعضاء الدول المشاركة في منظمة اليونسكو التي تحتل هذا البناء .

فهل هي المفارقة أم الصدفة ، التى جمعت رمز فرنسا الوطنى وهذه المنظمة الدولية في هذه الرقعة الضيقة من احدى عواصم العالم الثقافية ؟ .

قال لى الأستاذ الطيب صالح ، ونحن نقف بباب القاعة الرئيسية في مقر منظمة اليونسكو بباريس ، نرقب نتيجة التصويت لانتخاب مدير عام جديد للمنظمة خلفا لمديرها السابق أحمد مختار امبو « انك الآن تشهد لحظات تاريخية من لحظات هذه المنظمة ، حيث يترجل فارس كبير ظل يحتل قمة اليونسكو عدة سنوات قدم خلالها للثقافة خدمة لاتنسى » .

كان ذلك في السابع من نوفمبر من العام الماضى ، يوم انتخب المؤتمر العام لليونسكو السيد فديريكو مايور الاسباني الجنسية مديرا عاماً للمنظمة ، خلفا للسيد أحمد مختار امبو الذى تسلم الادارة العامة للمنظمة دورتين متتاليتين بين عامى ١٩٧٤ ، ١٩٨٧ .

كانت القاعة تغص بالحضور . وفي البهو الخارجى لم يكن هناك موضع لقدم ، وفود رسمية ، صحفيون ، مصورون ، موظفون ، زائرون ، ومدعوون ، جاءوا من أربعة أطراف العالم ليشهدوا هذا الحدث التاريخى الذي أشار إليه الأستاذ الطيب صالح ، المدير الاقليمى لليونسكو فى منطقة الخليج العربي . وكان الانتخاب ذروة لأيام من المناقشات والمشاورات والاتفاقات بين ممثلى الدول المختلفة حول انتخاب المدير العام الجديد . وعلى منصة الرئاسة جلس رئيس المؤتمر والأعضاء يشرفون على عملية الاقتراع ، واتجهت أعين الجميع إلى الصندوق الزجاجى الذى توسط المنصة ، احتشد المصورون الصحفيون ، وممثلو وكالات الانباء ، وأجهزة الاعلام العالمية ، ليسجلوا عملية الاقتراع ولحظة إعلان النتيجة التى شغلت الاوساط العالمية منذ بدأ المؤتمر العام أعماله قبل ذلك بنحو أسبوعين ، وسط أقوال بأن ذلك هو أهم مؤتمر تعقده منظمة اليونسكو في تاريخها .

كانت النقاشات قد انتهت ، والاتفاقات قد تمت ، والمراهنات قد أرسيت ، وأصبحت النتائج شبه مؤكدة ، ومع ذلك فقد جاء كل هذا الحشد ليشهد نتيجة حدث عرفت مسبقاً ، وكان هذا بحد ذاته دليلا على تاريخية اللحظة وتفردها .

كان المدير العام السابق للمنظمة أحمد مختار امبو ، الذي شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٧٤ قد اعلن سحب ترشيحه ، ورشح المجلس التنفيذى للمنظمة الدولية السيد فيدريكو مايور لهذا المنصب . وحسب ماهو معروف فإن من الصعب عدم انتخاب شخص رشحه المجلس التنفيذى ، لأن ذلك يعد نوعا من الطعن في هذا الترشيح . وهكذا كان ، فقد انتخب مايور بأكثرية ١٤٢ صوتا من أصل ١٤٩ صوتا ، وبدأ فصل جديد من تاريخ اليونسكو ، فما هى هذه المنظمة ذات الاسم الغريب ؟ متى تأسست ؟ وما أهميتها حتى تكون موضع نقاشات واتفاقات فى أروقة المبنى الكبير يقوم بها ممثلون لدول تغطى مساحاتها الأرض كلها ؟

الحروب وحصون السلام

في عام ١٩٤٦ ، وبعد أن خرج جزء كبير من عالمنا من حرب مدمرة كلفت البشرية أكثر من ٥٠ مليونا من القتلى ، قررت عقول مستنيرة مثقفة أن تتبنى فكرة سقراط القديمة الداعية إلى القضاء على الجهل ، وعلى التفاهم من أجل الحؤول دون اقتتال الناس مرة بعد أخرى ، وهكذا ولدت اليونسكو ،

التي كان أحد أهدافها توفير الثقافة للجميع .

السلام والثقافة إذن هما الكلمتان اللتان تتمحور حولها أنشطة المنظمة الدولية منذ نشأتها في ذلك العام التالي على انتهاء الحرب المدمرة . لذا كانت الجملة الأولى في الميثاق التأسيسي لليونسكو هي : « لما كانت الحروب تولد في عقول البشر ، ففي عقولهم أيضا يجب أن تبنى حصون السلام » ، وعليه فإن كل ما تقوم به اليونسكو منذ إنشائها يستهدف السعي الى إحلال السلام بين الشعوب

وتنص الفقرة الأولى من المادة الأولى على أن « الهدف من إنشاء هذه المنظمة ، هو الاسهام في مجال السلم والأمن ، من خلال نشر روح التعاون بين الدول بالتربية والعلوم والثقافة . وهكذا جاء اسم المنظمة مكونا من الأحرف الأولى لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة .

UNITED NATIONS EDUCATIONAL SCIENTIFIC AND CULTURAL ORGANIZATION (UNESCO)

وتضم اليونسكو ١٦١ دولة عضوا ، وثلاثة أعضاء منتسبين ، ودولة لها صفة مراقب هي الفاتيكان ، وتشمل هذه الدول الاتحاد السوفيتي بمساحته الشاسعة التي تعادل سدس الكرة الأرضية ، وجمهورية سان مورينو التي لاتتجاوز مساحتها عشرات الكيلو مترات المربعة ، وجمهورية الصين الشعبية التي يتجاوز عدد سكانها المليار نسمة . ولهذه الدول جميعا أصوات تدلي بها في أوقات الانتخاب وفي أي عملية تصويت أو اقتراع أخرى جنبا الى جنب ، وعلى قدم المساواة .

واليونسكو أيضا هي الأشهر بين أربع عشرة هيئة من هيئات الأمم المتحدة التي لها اختصاصات محدودة ، فهي أشبه بأمانة دولية يعمل فيها مواطنون من كافة بلدان العالم ، منهم الاداريون والاختصاصيون والخبراء في مجالات مختلفة ، مثل علم الزلازل والمصادر الجديدة للطاقة ، وتمويل مشروعات التربية ، وتنظيم الأسرة ، وغيرها .

بعض هؤلاء يعمل في مشروعات ميدانية أو في المكاتب الاقليمية للمنظمة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والبعض الآخر يعمل في مقر المنظمة الدولية ، في ساحة فونتنوا ، على مقربة من برج إيفيل الشهير ، الذي يعد رمزاً لباريس ، وهو مجمع معماري فريد عرف بشكله الثلاثي المميز ، لكن هذا البناء واحد من عدة أبنية تشكل بمجموعها مقر اليونسكو .

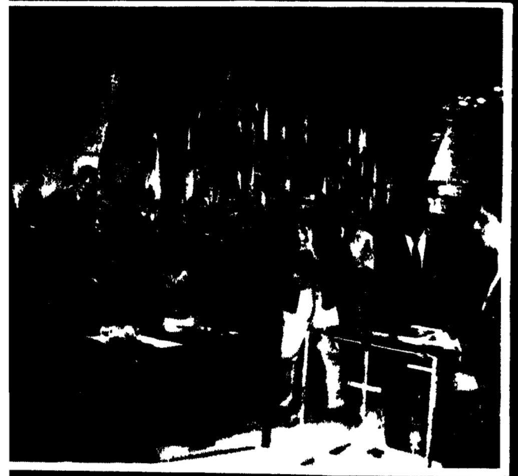
وإلى جانب ذلك ، فهي الكبرى بين منظمات الأمم المتحدة ، نظرا لاتساع نطاق أنشطتها ، إذ يبلغ عدد موظفيها نحو ٣٥٠٠ موظف ويشارك في هذه الأنشطة عدد لايحصى من الشخصيات والمؤسسات ، إلى جانب أعضاء اللجان الوطنية التي تتوزع على أراضي ١٤٠ دولة ، فضلا عن علماء وكتاب وفنانين وأدباء ينتمون الى ٤٥٠ منظمة غير حكومية في جميع أنحاء العالم ، تتيح لليونسكو المجال للاستفادة من الموارد الفكرية في كافه أرجاء المعمورة .

ولكن رغم هذا الاتساع والتنوع في أنشطة اليونسكو فان كثيرا من الناس لايعرفون بالضبط ما هو مجال هذه الأنشطة وأين تنتهي حدودها . بل إن صورتها ترسم بحسب صورة المكان الذي يعيش فيه هؤلاء ، فبالنسبة لكثير من الأفارقة مثلا تأخذ اليونسكو صورة المنظمة التربوية التي تشرف على تخريج كوادر المعلمين ، وهي في المنطقة العربية تأخذ صورة الهيئة الدولية التي تشرف على إنقاذ الآثار وترميمها ، وربما تتداعى إلى الأذهان الحملة المجيدة لانقاذ آثار النوبة بمصر في نهاية الخمسينيات ، عند بناء السد العالي ، أو الحفاظ على المناهج التربوية ، وحرية البحث العلمي ، خاصة فيما يتعلق بالمشكلات الناجمة عن ظروف « الاحتلال الاسرائيلي » للاراضي العربية . وبالنسبة لرجال العلم فإنها الهيئة التي أنشأت في جنيف المنظمة الاوروبية للبحوث النووية ، وبالنسبة للكتاب والناشرين ، فإنها الهيئة الدولية التي ترعى الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف ، والتي تؤمن حق المؤلف أو





رئيس المؤتمر يعلن فوز فدريكو مايور بمنصب المدير العام لليونسكو





الناشر . وتحفظه له في جميع أنحاء العالم . . . وهكذا . .

متاعب وأزمات

في بداية أعمال المؤتمر الأخير لليونسكو ، شدد المدير العام السابق للمنظمة على ضرورة الاستمرار في بذل جهود ملحوظة من أجل تحسين صورة اليونسكو في أوساط الرأي العام الدولي كما تحدث عن المأزق المالي الذي تواجهه الميزانية ، والذي يرتبط أساسا بتقلب أسعار الدولار ، وذكر أن ميزانية اليونسكو ، قياسا بمنظومة الأمم المتحدة ، هي منذ عام ١٩٨٠ الأقل حظاً ونمواً .

ولم يكن حديث المدير العام السابق عفويا على أي حال ، إذ أن له ما يربطه بجمنة أحداث جعلت اسم المنظمة الدولية يتصدر عاوين الصحف وأخبار وكالات الانباء العالمية ، كما أن له ما يربطه بسير أعمال المؤتمر ، أدى فيما بعد إلى سحب أحمد مختار امبو لترشيحه وسير الأمور بعد ذلك نحو ترشيح المجلس التنفيذي ، وهو الهيئة التي تدير أعمال المنظمة بين مؤتمرين ، للمدير العام الجديد فيدريكو مايور ، فما هي قصة الأزمة المالية ؟ وما هي أسباب الحديث عن ضرورة تحسين منظمة محترمة من منظمات الأمم المتحدة لصورتها في أوساط الرأي العام العالمي ؟

للالمام بالصورة بشكل أوضح ، علينا العودة الى عام ١٩٨٣ . ففي شهر ديسمبر من ذلك العام وجه وزير خارجية الولايات المتحدة جورج شولتز رسالة إلى المدير العام للمنظمة تتضمن إشعاراً بانسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو ، اعتباراً من ٣١ ديسمبر ١٩٨٤ . وفي فبراير من عام ١٩٨٤ ، أثار عضو الكونغرس الأميركي جيمس شيوير أثناء لقائه بالمدير العام ، إمكانية إجراء دراسة لأعمال اليونسكو ، فوافق الأخير على أن تتم هذه الدراسة وفقاً للممارسات المتبعة في منظمات الأمم المتحدة ، وفي مارس من العام نفسه أبلغت الحكومة الأميركية المدير العام بنيتها إرسال ممثلين لمكتب تدقيق الحساب التابع للكونغرس الى المنظمة ، وفي الشهر التالي بعث وزير التنمية لما وراء البحار في بريطانيا رسالة للمدير العام لليونسكو ، يوضح فيها سياسة بلاده تجاه المنظمة ، وفي ١٦ أغسطس من العام نفسه وجهت هولندا رسالة للمدير العام بشأن سياسة بلادها تجاه المنظمة . وتتسارع الأحداث رغم محاولات بذلتها الهيئة التنفيذية للجنة الوطنية الأميركية لليونسكو ، لاقناع الولايات المتحدة بالعدول عن عزمها الانسحاب من اليونسكو . فيتم الانسحاب بالفعل في ٣١ / ديسمبر ١٩٨٤ ، وتتبعها بريطانيا بإشعار بالانسحاب . وفي الشهر نفسه تعلن سنغافورة عن رغبتها في الانسحاب من المنظمة أيضاً .

مايلفت النظر هو أنه في هذه الاثناء صدر بيان باسم مجموعة « الـ ٧٧ » في المنظمة الدولية أشار الى تنازلات ملموسة قدمتها الدول النامية عبر مندوبيها في المجلس التنفيذي لليونسكو .

إذن فهناك الدول النامية وهناك الدول الغربية الكبرى ، الولايات المتحدة ، وبريطانيا وهولندا وكل من هذين الطرفين يقف في جهة وهناك صراع خفي خلف ما هو معلن ، وهناك تنازلات وتنازلات ملموسة . . .

ولكن ما هي القضية التي أدت الى انسحاب الولايات المتحدة من المنظمة الدولية ، ومن بعدها بريطانيا وسنغافورة ؟ لقد أثار إعلان الولايات المتحدة الاميركية قرارها بالانسحاب ، أصداء واسعة تناقلتها وسائل الاعلام العالمية ، ونشرت دعاوى ومزاعم مختلفة تتعلق باتجاهات المنظمة ، وأنشطتها ، وكيفية إدارتها . وقد تحدثت تلك المزاعم عن نوع من العصر الذهبي ، كانت المنظمة خلاله بعيدة عن التوترات العالمية ومثار إعجاب الجميع دون استثناء ! مما يعني ضمنا أن المنظمة دخلت حيز التوترات العالمية ، وأن الماضي المجيد للمنظمة ولّى إلى غير رجعة ، ووجهت اتهامات لليونسكو بطغيان الاعتبارات السياسية على عملها وذلك عبر تعاون الموظفين وممثلي الدول من البلدان الاشتراكية ورعايا العالم الثالث ، كما أثيرت مسألة المعونات التي تقدمها المنظمة لحركات التحرر الوطني

وقضايا خلافية أخرى .

وبالطبع فإن كل هذه الاتهامات تعكس وجهة نظر واحدة ، لانرى بروز دور دول العالم الثالث التى تحررت من الاستعمار بين تاريخ تأسيس المنظمة عام ١٩٤٦ ، وبين الثمانينيات . وتنسى ان لكل من الدول الاعضاء ممثلا في اليونسكو يحمل وجهة نظر بلده السياسية ، وأن المنظمة أنشئت تطبيقا للمقولة التى ذكرناها سابقا ، التى وردت في بداية الميثاق التأسيسى لليونسكو ، والتى تقول :

« لما كانت الحروب تولد في عقول البشر ففى عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام » .

وفي هذه المقولة يبرز ذلك الرابط القوي بين السياسة والثقافة ، والذى على أساسه قامت فكرة اليونسكو ، التى تتكون من دول لكل منها سياستها الخاصة .

لكن انسحاب الولايات المتحدة لم يكن مسألة هينة ، فهى صاحبة أكبر نسبة مساهمة في تمويل أنشطة اليونسكو ومشاريعها ، ومن هنا كان حديث المدير العام السابق عن الأزمة المالية التى عانت منها المنظمة ، ومازالت تعانى ، حتى بعد انتخاب مدير عام جديد ، حظي انتخابه بأغلبية ساحقة . فمن المعروف أن برامج اليونسكو يتم تمويلها من خلال المنظمات الأعضاء فيها ، وذلك بنسب تتفاوت حسب ثراء هذه الدولة وغناها واستعدادها ، ومن هنا كان انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا ضربة مؤثرة ، وربما كان من إنجازات المدير العام السابق أنه استطاع أن يستوعب هذه الضربة ، وأن يستمر في تسيير العمل منها وتنفيذ مشاريعها دون أن يلجأ إلى طلب مساهمات مالية إضافية ، كما قال في كلمته التى أشرنا إليها سابقا .

العمليات الخارجية

ولكن مسألة التمويل لايحكمها هذا البعد الواحد فقط فإلى جانب الأنشطة التى تمول بالميزانية العادية التى تتكون من مجموع حصص الدول ، هناك أنشطة أخرى ، لاسيما أنشطة العمليات الخارجية ، التى تمول من خارج الميزانية . وقد كان التمويل من خارج الميزانية مساوياً للتمويل العادى تقريبا ، لكنه في الفترة الأخيرة زاد عن الميزانية العادية ، وتحت هذا البند ـ بند التمويل الخارجي ـ قام الكثير من المشاريع في بلدان العالم المختلفة ، وكان لوطننا العربى نصيب كبير منها

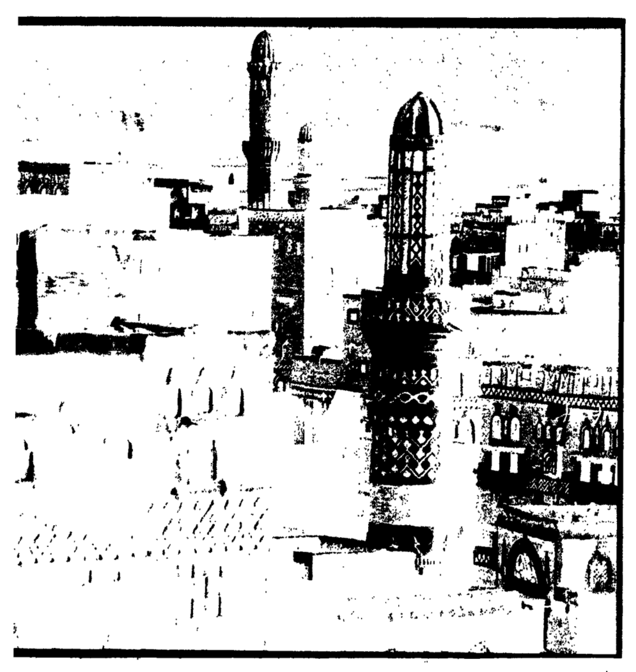
وكلا الأسلوبين من أساليب التمويل يشكلان المورد الأساسى الذى تقوم عليه كل الأعمال العظيمة التى صنعت لليونسكو هذا الاسم الكبير .

ولأن وطننا العربى لايسبح فوق بحر من النفط كما يحلو لأجهزة الاعلام الغربى أن تقول ، بل يقوم فوق مواقع أثرية وتاريخية وبجوارها ، فإن صورة اليونسكو في أذهاننا نحن العرب ترتبط بعمليات التنقيب عن الآثار والحفاظ على الآثار المكتشفة وحمايتها من المخاطر ، سواء كانت هذه المخاطر على شكل احتلال كالاحتلال الصهيونى الجاثم على جزء من أرضنا العربية ، أو كان عوامل طبيعية كالزلازل ، أو العجز المالى عن الحفاظ على هذه الكنوز الأثرية ، أو عدم وجود خبرات تستطيع القيام بهذه المهمة غير السهلة .

لهذا كله كانت العمليات الخارجية في مثل أهمية العمليات الأخرى التى تمولها اليونسكو باعتبارها جزءا من مهمتها ، وربما كانت العمليات الخارجية أكثر أهمية ، ففى السنوات الأخيرة كانت ميزانية تمويل العمليات الخارجية أكبر من الميزانية المخصصة للعمليات المذكورة من داخل اليونسكو .

ويشرف على تنسيق أنشطة العمليات والتمويل الخارجى السيد « بقدور ولد علي » الذى توجهت إليه « العربى » وطرحت عليه سؤالا عن العمليات الخارجية والتمويل الخارجى وجوانبه المختلفة .

قال ولد علي : إن التمويل الخارجى قد يكون عن طريق دولة أو بنك ، أو مؤسسة مالية . في البداية تجرى الدراسات الميدانية ، وبعد ذلك يأتى دور التمويل ، وهذه النقطة البسيطة ظاهريا تلخص جوهر الفرق بين العمليات التى نقوم بها من خارج الميزانية ، وبين العمليات الممولة بالميزانية العادية والتى تهدف أساساً إلى دعم التعاون الفكرى بين



● (فوق) مدينة صنعاء
واحدة من مدن أثرية عدي
وضعت ضمن قائمة الترا
العالمي . و (أسفل
القدس ، لها وضع استثنا
ضمن قائمة التراث العالمي

الطرفين . وذكر ولد علي أسماء السويد وألمانيا الغربية ، واليابان والسعودية ، والعراق ، وليبيا والكويت باعتبارها أمثلة للدول التى تسهم في تمويل العمليات الخارجية . وبالتالى ، فإن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا لم يؤثر على سير العمليات الخارجية . . نظريا على الأقل .

أجاب : إن التمويل الخارجى قد يكون عن طريق دولة أو بنك ، أو مؤسسة مالية في البداية تجرى الدراسات الميدانية ، وبعد ذلك يأتى دور التمويل ، وهذه النقطة البسيطة ظاهريا تلخص جوهر الفرق بين العمليات التى نقوم بها من خارج الميزانية ، وبين العمليات الممولة بالميزانية العادية والتى تهدف أساساً إلى دعم التعاون الفكرى بين الطرفين . وذكر ولد على أسماء السويد وألمانيا الغربية ، واليابان والسعودية ، والعراق ، وليبيا والكويت باعتبارها أمثلة للدول التى تسهم في تمويل العمليات الخارجية . وبالتالى ، فإن انسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا لم يؤثر على سير العمليات الخارجية . . نظريا على الأقل .

ولم ينس « ولد على » أن يشير إلى أهمية دور العمليات الخارجية بالنسبة للعالم الثالث ، ومنه أقطارنا العربية ، وضرب مثلا على مشروع في أوروبا يستفيد منه العالم الثالث أيضا ، وهو مشروع المشكلات الثقافية للعمال المهاجرين في أوروبا . لكنه لم يتبلور بعد .

وحدد جهات التمويل من خارج الميزانية بأنها جهات دولية مثل صندوق التنمية للأمم المتحدة ، والمعروف باسم (UNDP) والذى يمول ٥٠ بالمئة من هذه المشاريع ، أو بنوك أو صناديق التمويل ، وهى صناديق انتمائية مثل البنك الافريقى ، والبنك الاسلامى والصندوق العربى في الكويت وغيرها . وحكومات مثل ألمانيا ، الكويت ، السعودية ، السويد ، العراق وغيرها .

وأشار ولد علي إلى نوع آخر من التمويل كان متقدما بسرعة في الوطن العربى لكنه تقلص وتراجع بعد انخفاض أسعار النفط العالمية . وهو يتضمن تنفيذ مشاريع في دول قادرة على التمويل ، لكنها غير قادرة على تقديم الخبرة ، وأبرز مثال على ذلك بناء متحف بليبيا بتمويل ليبى وخبرات قدمتها لهم اليونسكو ، وقد قامت المنظمة بأعمال مشابهة في الامارات ، والجزائر وغيرها من الاقطار العربية .

وعن الاجراءات المتبعة في مثل هذه الحالات قال ولد علي ان الحكومات المعنية تقوم بالاتصال باليونسكو بشأن مشكلة تتعلق بصلب اختصاصنا فان كانت لدى الحكومة خبرة كافية بالموضوع ، فانها ترسل لنا الملف كاملا ، والا فاننا نقوم بارسال خبراتنا لدراسة الامكانيات المالية ، وتجميع المعلومات الأساسية ، وقد نتصل نحن بجهات التمويل المناسبة باعتبارنا همزة الوصل بين الطرفين .

وبعد ذلك نبرم اتفاقيات مع الحكومات الممولة ، والتى من حقها معرفة كيفية الصرف ، فلا يبقى بعد ذلك إلا المرحلة العملية . وهكذا فإننا نقوم بدور حيادى تماماً باعتبارنا موظفين في منظمة دولية بغض النظر عن اختلاف جنسياتنا .

التربية . . والنفط

ولكن ماذا عن المنطقة العربية ومدى استفادتها من عمليات التمويل الخارجى ، خصوصا بعد انخفاض أسعار البترول ؟

يجيب « ولد علي » :

بالنسبة لنا معظم المشروعات التى نفذت في المنطقة العربية كانت حول التربية ، والنصف الأخر حول الاعلام وما يتعلق به ، مع بعض الاستثناءات بالطبع ، فقد كان لنا الشرف لأن نبادر إلى دراسة مشروع عن الزلازل في المنطقة العربية ، وانطلاقا من هذه الدراسة التى لقيت استقبالا جيدا في الوطن العربى تم تمويل خمس مشروعات في المغرب ، والجزائر واليمن الشمالى وسوريا ، ومازال العمل جارياً في هذه المشروعات .

أما المشروعات الأخرى ، والتى نصفها تربوى كما ذكرنا ، فهناك مشروع التجديد التربوى ويتضمن شبكة لايصال المعلومات بين بلد وآخر من وطننا العربى . . وهناك مشروع آخر لادخال

« الكمبيوتر » في العملية التربوية ، ومشروع ثا لتطوير الصناعات التربوية ، وذلك عن طر مساعدة وتوزيع وتسويق أدوات الدراسة ب شرائها من الخارج

وفي هذا المجال ذكر « ولد علي » بعض الحقا المرة ، فقال « اننا في الوطن العربي لاعلك مصـ لأقلام الرصاص على سبيل المثال »

ومصى يعدد المشروعات التي يتم تمويلها خارجيا ، مشروع لمحو الأمية في موريتانيا ومشروع للحفاظ على التراث القديم ، ومدرسـ لتدريب المعلمين في المغرب . ومشروع لتخطـ التربية في الجزائر . ومشـ وع المكتبة الوطنية لجزائر ، ومشروع لتوسيع التربية في تونس ، وعا مشروعات في ليبيا مثل مشروع علوم البحار ومشـ وع جامعتي بنغازي وطرابلس . ومشـ و كـ في مصر يموله البنك الافريقي للتنمية ومشـ وع عن المعلومات في سوريا ، ومشرو لتطوير التعليم المهني في العراق . وعدة مشاريع ا السعودية ، أحدها بالتعاون مع مؤسسة الملك فيصـ كمؤسسة وليس كدولة

وبالمقابل فقد توقف مشروع في البصره بسـ الحرب ، واوقف الكثير من الانشطة في لبنان ، ؟ حالت ظروف ستند دون المضي في تنفيذ مشرو الجامعة الفلسطينية المفتوحة . وذلك بعد أن قدمـ تقريرا شاملا عنها مستعينين في ذلك بخبراء فلسطينية عديدة

وتمنى لو أنه ود أن ينهي حديثه بالتذكير بتعاسـ أوضاعنا العربية التي كدنا ننساها ونحن نتجاور ا أرجاء المبنى الضخم ، قال « ان وزراء التربـ العرب وافقوا على تمويل بعثات دراسية للطلبـ الفلسطينيين ، لكن لم نحصل الا على ١٢٠ ألف دولار ، وهو مبلغ زهيد بالمقارنة مع ثروات الوطـ العربي .

التراث والاحتلال

كان هذا حديث التمويل والخبرات ، وفي المجا التربوي بشكل خاص ، إلا أن صورة اليونسكو و



● الطيب صا ــ الممثل الاقليمي لليونسكو لدول العربية في الخليج



● مقدور ولد علي ، مسؤول تنسيق انشطه العمليات والتمويل الخارجي



● منير بوشناقي مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات بقسم التراث الثقافي

أذهاننا كعرب ارتبطت بالتراث الحضاري الذي تزخر به منطقتنا العربية من أقصاها الى أقصاها ، وبالحفاظ على الأماكن الأثرية التي كثيرا ما تتعرض لمشكلات تنجم عن اضطرابات تعصف بالمنطقة بين حين وآخر . وربما كانت حملة إنقاذ آثار النوبة في الخمسينيات أول فرصة برز فيها اسم المنظمة الدولية على النطاق العربي في هذا المجال فرسمت لنفسها هذا الانطباع الأول الذي مازال سائداً حتى اليوم .

وفي السادس والعشرين من أكتوبر من العام الماضي أصدر المدير العام السابق لليونسكو نداء للبدء بحملة دولية للحفاظ على المواقع الأثرية في مدينة « صور » وحولها . والتي أصبحت الآن في حالة بائسة

ولست « صور » هي المدينة الوحيدة التي تضم آثاراً إنسانية خالدة . وتعيش في الوقت نفسه في حالة بائسه ، فحين مر الاحتلال الاسرائيلي توجس العالم من حصر حمة ، وتداعت الى الأذهان صور السطو على الآثار وتخريبها من ملفات التحرير ميت ، وحتى سرقة بعض الكنوز الأثرية من كنيسة القيامة ، وإزالة أحياء بكاملها في المدينة المقدسة بعد الاحتلال بقليل ، وذلك بالرغم من ان بناءها يعود الى عصور قديمة ، ويهم البشرية جمعاء المحافظة عليها ورغم ان الاحياء نفسها مناطق أثرية . إلى جانب كونها أماكن للسكنى

مير بوشناقي . هو مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات الذي يتبع قسم التراث الثقافي التابع بدوره لقطاع الثقافة والاعلام عندما توجهت إليه « العربي » بدأ الحديث وكأنه عرف السؤال مقدما :

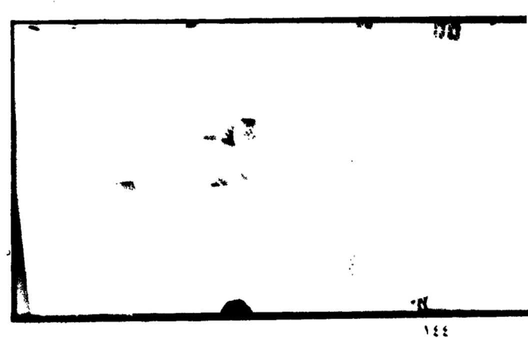
قطاع التراث الثقافي معروف جيداً لأنه يقوم بعمليات إنقاذ وترميم الآثار ، ونحن الذين قمنا بتنفيذ مشروع إنقاذ آثار النوبة . ونعتقد أن من أهم إنجازاتنا أننا جعلنا العالم يعرف أن التراث الذي يوجد في بلد ما هو تراث للعالم كله . لذا وضعت مديرية الآثار والتراث الثقافي نصوصاً قانونية وافقت عليها اكثر من ٩٠ دولة ، يتعلق بعضها بحماية التراث العالمي ، كما تأسس صندوق للتراث العالمي ، وافقت عليه ٩٦ دولة أسهم فيه الأعضاء بنسبة ١٪ من نسبة مساهمة كل منها في المنظمة ، وشكلت لجنة دولية ينتخب أعضاؤها بشكل دوري للاشراف على مثل هذه العمليات .

وعن الطريقة المتبعة لوضع مدينة ، أو موقع أثري ضمن قائمة التراث العالمي قال السيد بوشناقي إن لكل دولة الحق في تقديم طلب بالمواقع الاثرية التي تريد الحفاظ عليها ، أو التنقيب فيها ، أو وضعها ضمن قائمة التراث العالمي فتقوم المنظمة بعرض الأمر على اللجنة التي تتعاون مع مؤسسة مختصة بالتراث لتقوم بدراسة الموقع والبت في شأنه ، وقد وضعت قائمة بأسماء المواقع والأماكن الأثرية تشكل مجموعة عملنا الذي نقوم به الآن ونضم القائمة مدينة شبام في اليمن الديمقراطي ، وصنعاء في اليمن الشمالي ، وصور بلبنان . والبتراء في الاردن ، وقرطاجة في تونس ومواقع عديدة في سوريا أهمها مدينة تدمر الاثرية

للقدس وضع خاص

وماذا عن القدس ، تلك المدينة العظيمة المقدسة والتي يرزح الجزء الشرقي القديم منها تحت الاحتلال الصهيوني منذ أكثر من عشرين عاما ؟

يجيب مسؤول الحملات الدولية ومشاريع العمليات للقدس وضع خاص ، فمنذ ١٥ سنة اتخذ قرار بايلاء أهمية خاصة للقدس ، بحيث أخرجت من إطار لجنة الحفاظ على التراث ونقلت الى اختصاصات المجلس التنفيذي والمؤتمر العام ، وهما أعلى هيئتين من هيئات اليونسكو والقدس هي المدينة الوحيدة في العالم التي تتمتع بهذا الوضع ، وربما كان هذا من الأسباب التي دعت الى انزعاج « إسرائيل » وأمريكا وبريطانيا ودول غربية اخرى ، فهي المدينة الوحيدة في العالم التي توضع صورتها أمام العالم أجمع ، وليس أمام لجنتنا فقط . فالقدس مدرجة ايضا ضمن قائمة التراث وضمن قائمة التراث تحت الخطر ، وهي قائمة أخرى ، وقد كان ذلك بقرار عربي جماعي ، وهذا يجعل « إسرائيل » تتردد اكثر من مرة قبل ان تقدم على



● المتحف العلمي الكويتي (فوق) ساهمت اليونسكو بتقييم أنشطته وتنظيمه والمتحف الليبي بطرابلس(إلى اليمين) أشرفت اليونسكو على تنظيمه

انتهاك حرمة الاماكن التاريخية هناك . لكن هذا بالطبع لايمنع « اسرائيل » من القيام بالانتهاكات إلا أنها تبقى محدودة بفضل هذا الوضع للمدينة المقدسة .

طوال فترة الحديث عن آثارنا القديمة العظيمة . لم تغب عن ذهني صورة لصوص الآثار الذين كتبت عنهم الروايات وأنتجت الافلام السينمائية ، حيث يظهر فيها لصوص أتوا على هيئة خبراء في الآثار الى بلادنا ليسرقوا هذه الآثار أو يشتروها بثمن بخس ، ثم يعودوا إلى بلادهم لبيعها بأثمان باهظة ، وتكوين ثروات غير مشروعة من ورائها .

وطرحت ماجال بذهني على السيد بوشناقي ، وعن الدور الذي تقوم به اليونسكو لمنع مثل هذه الاعمال .

قال السيد بوشناقي ضاحكا ، ليس لدينا قوة شرطة تمنع السرقة وتعيد المسروقات الى أصحابها ، فعملنا اساسا هو التوعية ، فنحن نقوم بتزويد المتاحف بنوع من التوعية عبر مجلتنا المتاحف التي تتضمن سجلا بالقطع الأثرية المتسربة ، حيث يقع على عاتق كل دولة من الدول محاربة تسرب القطع الأثرية من اراضيها ، وعلى المتاحف عدم شرائها ، كما أن هناك وثيقة تمنع تصدير واستيراد الممتلكات الثقافية . . وأضاف ، إن من الصعب جدا حصر عملية السرقة لأنها قريبة من عملية تهريب المخدرات ، ومعظم السرقات تأخذ طريقها إلى سويسرا ومن هناك الى الولايات المتحدة ثم الى أمريكا اللاتينية حيث تباع .

لكن هذا ليس كل ما تقوم به لجنة العمليات ، فهي تسهم أيضا في القيام بمسح أثري لبعض المواقع وتنظيم المتاحف أو بناء مراكز ثقافية ، ففي عام ١٩٨٦طلبت الكويت من اليونسكو تنظيم العمل في المتحف العلمي ، وقد تم لها ذلك عن طريق المجلس الدولي للمتاحف (الايكوم) وهي منظمة غير حكومية ، حيث حضر بعض الخبراء إلى الكويت ومكثوا فيها مدة تقارب الشهرين ثم عادوا بعد انجاز مهمتهم .

وفي السعودية أبرمنا عام ١٩٨١ عقداً لبناء مكتبة وقاعة لعرض الفن الاسلامي وتنظيم أرشيف للمخطوطات الاسلامية ومتحف يضم كل الوثائق والمخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، وقد بدأنا العمل الذي لم ينته بعد والذي كلف أكثر من ١٠ ملايين دولار دفعتها السعودية .

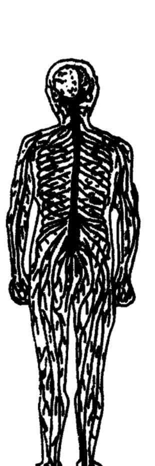
طلبات صغيرة

ولكن هذه المشاريع الكبيرة التي تمولها دول غنية ليست كل شيء ، فهناك احيانا طلبات صغيرة أخرى من جانب بعض الدول التي تمولها الميزانية الاعتيادية للمنظمة ، مثل طلب سوريا المساعدة في شراء فرن لترميم فسيفساء المسجد الأموي ، وطلب من البحرين لترميم قلعة عراد وطلب من قطر لبعض الخبراء لاجراء دراسات في مدينة زبارة .

وأسأله عن آخر طلب عربي فيجيب السيد بوشناقي :

الأردن طلب منا المساعدة في حماية قطعة اثرية نادرة ، وحين سألته عن آخر أخبار السرقات الأثرية ابتسم وقال : مازالت هنا تشكابات بهذا الخصوص فهناك نزاع بين الاردن والولايات المتحدة حول قطعة أثرية مهمة نقوم حاليا بالتوسط لفضه ، والكونغو تطالب بلجيكا باعادة اكثر من الفي قطعة أثرية من الخشب المنحوت على شكل تماثيل وطواطم تعتبر من أفضل أعمال النحت الخشبي في العالم .

ليس هذا سوى بعض ما يمكن أن يقال عن دور هذه المنظمة الدولية في الحفاظ على التراث ، ونشر العلم والثقافة والوعي التربوي ، فعمل أربعين عاما من العطاء في مجالات الثقافة والعلوم والتربية أكبر من أن تحفظه دفتا كتاب مهما عظم حجمه . وقبل أن ننهي حديث العلم والثقافة والتربية ، يحق لنا في مجلة العربي أن نذكر تجربة بسيطة لكنها عظيمة الدلالة ، ففي عام ١٩٨٥ اختارت اليونسكو مجلتنا لتبنى فكرة إنشاء مؤسسة عربية للخدمات الصحفية المصورة وعقدت ندوة لبحث هذه الفكره في الكويت في أبريل من العام نفسه ومازال العمل مستمراً ، ومازالت اليونسكو كما كانت منذ اكثر من اربعين عاما تواصل عطاء الثقافة والعلوم والتربية . □





كهربائية الجسم والأمراض النفسية

بقلم : الدكتورة أمل المخزومي *

يرتقي الانسان ذروة سلم التطور إذا ما قورن بالمخلوقات الحية الأخرى ، وإذا كان هذا الرقي يتجلى في مجالات عديدة فإنه يبرز بشكل خاص في الجملة العصبية التي وهبها الله له ليسخر بواسطتها جميع الامكانات التي منحت له على وجه الأرض .

تتكون الجملة العصبية الانسانية من نظام معقد للغاية وقد استطاع الانسان بعلمه أن يصل إلى كشف بعض غموضها .

تنقسم الجملة العصبية الى الجهاز المركزي الذي يتضمن المخ والنخاع الشوكي ، ويتشعب النخاع الشوكي الى مجموعة من الاعصاب ، يتجه كل منها الى منطقة مختلفة من مناطق الجسم . يكون الجهاز العصبي اللا إداري مسئولاً عن جميع نشاطات الاجهزة ، كجهاز الدوران ، وجهاز الهضم وافرازات الغدد المختلفة ،ويؤدي الجهاز اللاإرادي أعماله ذاتيا أي دون تدخل الافراد ، كما يقوم بالعمل في أوقات النوم أيضا .

يتكون الجهاز العصبي من شبكة هائلة من الخلايا التي تتولى مهمة جمع المعلومات وارسال الأوامر .

تعمل الاشارات في هذه الشبكة العصبية على هيئة نبضات كهربائية، تقوم بنقل الرسائل من خلية الى أخرى . كما يعمل المخ بمنتهى السهولة نتيجة للتعاون الحاصل بين عشرة بلايين من الخلايا ، تتصل كل واحدة منها بحوالي ٢٥,٠٠٠ خلية من رفيقاتها .

يعمل الجهاز العصبي طوال النهار والليل وتتفاوت نشاطات الجهاز العصبي نسبيا بناء على النشاطات التي يمارسها الشخص ، كما تختلف نشاطات الخلايا العصبية في اليقظة عنها في حالة النوم ، وما الاحلام إلا من نتائج النشاط العصبي النسبي . يقدر طول أعصاب الانسان بحوالي ١٠٠,٠٠٠ ميل من الاعصاب المتشابكة ، أما سرعة النبضات العصبية فتقدر بـ ٣٠٠ ميل في الساعة .

* أستاذة مساعدة في علم النفس الاجتماعي ـ جامعة أنقرة ـ تركيا .

تركيب الخلية العصبية

الخلية العصبية هي الوحدة الرئيسية للجهاز العصبي ، تتحكم بجميع النشاطات الصغيرة والكبيرة ، كما أن لها القدرة على الاستجابة لجميع المثيرات الخارجية ، وتتصل الخلايا العصبية بعضها ببعض بواسطة الاشارات الكهربائية التي تصدر عنها يحيط بالخلية العصبية غشاء يتكون من مواد كيماوية مختلفة في نوعها ونسبها ، ويحتوي الجزء

الخارجي من الغشاء على كمية عالية من « البوتاسيوم » ، وكمية منخفضة من الصوديوم ، وتكون الشحنات موجبة في الحالتين.وتكون المواد في داخل الخلية على العكس من ذلك ، أي يكون تركيز البوتاسيوم منخفضا وتركير الصوديوم عاليا ، كما أنهما يحملان شحنات سالبة

وعندما تتسلم الخلية مثيرا من المثيرات الخارجية التي يتعرض لها الانسان ينتقل هذا المثير و الخلايا العصبية بواسطة التنافذ في النسب والشحنات

الموجودة في داخل الخلية وخارجها ، أي ينفذ جزء من الشحنات الموجبة الى داخل الخلية ، وتخرج شحنات سالبة الى خارجها ، كما يحدث اختلاف في

نسب تركيز المواد الكيماوية يقل تركيز الصوديوم في داخل الخلية ويزداد في خارجها ، كما يزداد تركيز البوتاسيوم في داخلها ويقل في خارجها ،

ويأخذ هذا التنافذ مساره عبر الخلايا العصبية على شكل نبضات أو موجات كهربائية ، كما تعيد الخلية

توازنها الكيماوي بعد ذلك ، لكي تستعد لتسلم مثير آحر وهكذا يستمر التنافذ والتوازن الكيماوي الحاصل باستمرار حياة الخلية العصبية ، مما يؤدي الى

شد تلك الخلايا وتوترها . تنتقل الموجات الكهربائية عبر الخلايا كانتقال موجات الحرارة في الاجسام ،

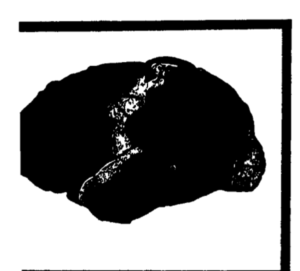
وتعتمد سرعة انتقال الموجة الكهربائية في الخلية العصبية اعتمادا كليا على شدة المثير أو ضعفه ، فان كان المثير شديدا تكون الاستجابة شديدة أيضا ، ويترتب على ذلك شدة وسرعة توتر وشد الخلية والعكس بالعكس .

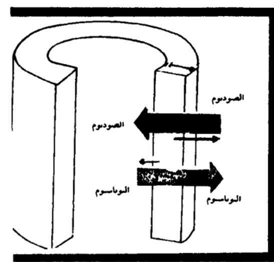
الفروق الفردية في الاستجابة :

هناك فروق فردية في نسبية الكهربائية التي تتولد في الأجسام المختلفة ، تبدأ هذه الفروق الفردية في لحظة تلقيح الحوين للبويضة ، ونزولها الى الرحم ، حيث تتفاعل في داخلها عناصر حيوية كيماوية وميكانيكية وكهربائية ، وعندما تتعرض الحامل الى مثيرات شديدة تلاحظ أن الجنين يكثر من الحركة ،

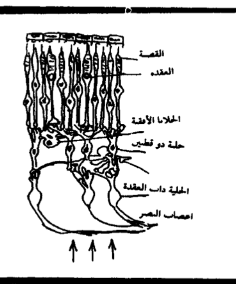
ويكون العكس عندما تكون الحامل في حالة استرخاء وراحة . قد تكون الحركة نتيجة لتلك الموجات الكهربائية الناتجة من شد الخلايا العصبية وتوترها من جراء تلك المثيرات الشديدة التي تعرضت لها الحامل وهكذا يستمر نمو الفرد من المرحلة الجنينية الى مرحلة البيئة الخارجية ، متعرضا لشتى أنواع المثيرات التي تسبب لديه شد الخلايا وتوترها وكهربائيتها ، كما تختلف هذه الكهربائية من حيث الشدة باختلاف الافراد واختلاف الأزمان ، فلو عرضنا مجموعة من الناس لمشهد من المشاهد المثيرة لوجدنا استجاباتهم مختلفة لذلك الموقف ، إذ تختلف الاستجابة باختلاف شخصيات الافراد ومدى ما يتعرضون له من مثيرات شتى ، فهناك من ينفعل ويهتاج ويزج بنفسه بالموقف ، وهناك من يهرب من الموقف ، وآخر يقابل الموقف بعدم المبالاة ، كما تختلف الاستجابات باختلاف الاجناس والمناطق ، فاستجابة سكان المدن تختلف عن استجابة سكان الريف ، والسبب يعود الى أن سكان المدن يتعرضون الى مثيرات أكثر مما يتعرض له سكان الريف ، وبالتالي نجد أن انفعالات رجل المدينة تختلف كثيرا عن انفعالات الريفي ،

وهذا هو سبب التعرض الى الانهيارات العصبية الناتجة عن شدة وتوتر وكهربائية الخلية لدى سكان المدن ، وقد تؤدي الانهيارات العصبية الى الانتحار أحيانا . وهناك مثيرات يستجيب لها الريفي في الوقت الذي لاتثير أية استجابة لدى رجل المدينة ، والسبب يرجع الى كثرة المثيرات التي يتعرض لها


المخ في جسم الانسان .



تركيبة الخلية العصبية في جسم الانسان



تركيب العصب البصري لدى الانسار

رجل المدينة ، حيث نبهت « ميكانزمات » جسمه للعمل على غربلة تلك المثيرات ، فلو استجاب جميع الناس لجميع أنواع المثيرات التي يتعرضون لها لأصيب جميع الناس بانهيارات عصبية ، ولوجدنا جميع سكان المدن منهارين أو نزلاء مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية .

تؤثر فصول السنة على الانسان تأثيرا مباشرا ، فقد وجد بعض الباحثين أن الكآبة تزداد في فصل الشتاء ، وكان تعليل ذلك برودة ليل الشتاء وطوله مما يجبر الافراد على البقاء في البيت خوفا من البرد ، ويؤدي بالتالي الى انعزال الافراد بعضهم عن بعض ، إضافة الى قلة الخروج الى الخارج للعيش في الهواء الطلق والشمس ، مما يكون سببا للاصابة بالكآبة . كما يؤدي طول النهار في الصيف الى تعرض الانسان الى مثيرات عديدة مختلفة ، مما يسبب استمرارية الاستجابة التي تسبب توترا وزيادة في كهربائية الخلايا . لقد أشار دوركايم من خلال بحثه عن الانتحار بأنه يكثر في فصل الصيف ، وعلل تلك الظاهرة بطول النهار في الصيف ، وتعرض الانسان الى مثيرات أكثرمما يتعرض اليه في نهار الشتاء ، مما يؤدي الى الشد المستمر والتوترات المستمرة التي تدفع بعض الافراد الى التخلص منها بالانتحار . كما أن سكان المناطق الحارة يمتازون بالتوتر وسرعة الغضب لنفس السبب المذكور سابقا .

تتعرض بعض أجزاء الجسم الى المثيرات أكثر من غيرها ، فالعين أكثر أجزاء الجسم تعرضا لتلك المثيرات المستمرة ، مما يترتب عليه أن تكون الموجات الكهربائية لهذه المثيرات مستمرة ، وأن يكون شد خلايا البصر وتوترها مستمرا ، والدليل على وجود تلك الكهربائية بشكل مكثف هو عندما تتعرض العين الى ضربة أو كدمة تتطاير الشرارات الكهربائية منها .

تأثير الكهربائية على العلاقات

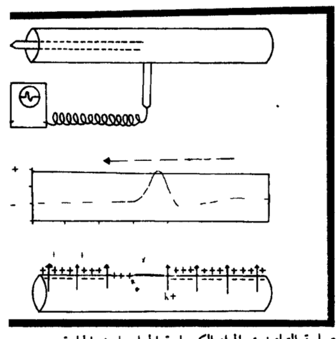
للانسان قدرة معينة على استيعاب المثيرات ، يطلق على هذه القدرة اسم العتبة النفسية ، فان زادت المثيرات عن حدها ، وعجزت « ميكانزمات »

الجسم عن التكيف معها أدى ذلك الى الاختلال في السلوك ، ويستجيب لذلك بالسلوك العدواني في أكثر الحالات .

قد يحدث لموظف معين أن يقع تحت إمرة مدير يكلفه بما لاطاقة له به ، خال من التعزيز والاثابة ، فنجد الموظف يتذمر من الموقف ، ويكون في صراع بين رفضه لهذه المواقف وبين انقطاع لقمة العيش إن هو اصطدم بالمدير ، وتعمل ميكانزمات الجسم على التخلص من تلك التوترات ، وذلك بافراغ ما يعانيه هذا الموظف على زوجته وأطفاله أو المقربين اليه ، وعند ذلك يشعر براحة بعد أن أفرغ ما يعانيه من توترات وشحنات كهربائية زائدة عن الحد الطبيعي . إن لهذا الموقف عواقب وخيمة على الاطفال الذين ينشأون في تلك الظروف ، بحيث قد تجعل منهم عدوانيين وجانحين ومجرمين في المستقبل ، لانعكاس تلك الصراعات العائلية والزوجية على سلوك الاطفال . وكثيرا ما نلاحظ الاطفال الناشئين في تلك الاجواء يصبون عدوانهم على دماهم . على سبيل المثال إن عنفت الأم طفلتها نلاحظ الطفلة تمسك بدميتها وتعنفها بنفس الطريقة التي استعملتها الأم ، لان الافراغ والتقليد موجودان لدى الاطفال أيضا .

وقد يسلك الشخص المتوتر سلوكا معاكسا ، إذ يجعله ذلك التوتر ينصب على نفسه باللوم والتقريع والاهانة ، مما يزيد في الشد والتوتر والكهربائية للخلايا ، وتتمخض عن ذلك الزيادة في الانهيارات العصبية ، وبالتالي قد تدفع الشخص الى التخلص من كل ما يعانيه بالانتحار .

تأتي الشكوى من المعالجين بزيادة أمراض القلب والامراض النفسية في السنوات الاخيرة ، وهناك من يعلل أسباب ذلك بخروج المرأة للعمل خارج البيت ، ومن يعلل ذلك بصعوبة الحياة وكثرة مطالبها ، ومن يعزوها الى الصراعات السياسية ، الا أن هناك سببا قد يكون مباشرا للاصابة بتلك الأمراض ، ألا وهو انتشار استخدام المواد البلاستيكية والنايليونية بين الناس .



عملية التناهد في المواد الكيماوية الحاصل في الخلية العصبية

احتفلت الدول الغربية بعيد ميلاد النايلون الخمسين في ٢٨/٢/١٩٨٧م ، وهذا يعني أن خمسين سنة قد مرت على صناعة النايلون . كما يبشر المختصون في مجال صناعة البلاستيك بأنه سينتشر كثيرا في السنوات المقبلة ، وستبنى محطات فضائية متطورة من البلاستيك وكذلك تبنى الطائرات ، وسوف يكون ٣٠٪ من موادها من البلاستيك بعد أن كان ٥٪ . ويذكر بعضهم أن كمية البلاستيك المستعملة التي تدخل في جميع نواحي الحياة تعادل ٦٠٠ طن من البلاستيك في كل عام .

إن لاستعمال تلك المواد آثارا سلبية على الانسان ، وخاصة على القلب والجهاز العصبي ، لما تسببه تلك المواد في اختلال التوازن في الشحنات الكهربائية في الخلايا العصبية والقلب مما يترتب عليه الاصابة بأمراض القلب المختلفة وأمراض الجهاز العصبي والأمراض النفسية المتنوعة .

اختلال التوازن الكهربائي

تشير الابحاث والدراسات التي أجريت على الرجال والنساء في الاضطرابات النفسية ، بأن الاضطرابات تكون أكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال ، وقد يكون أحد الاسباب لذلك أن النساء

أكثر استعمالا للمواد البلاستيكية من الرجال . وأستعرض بعضا من الاضطرابات النفسية التي تزداد نسبة المصابين فيها بين النساء أكثر منها بين الرجال وهي كما يلي :

١ - القلق النفسي :

القلق مرض خطير ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي يطلق عليه بعضهم اسم عصر القلق . والقلق مركب انفعالي من الخوف والاضطرابات المستمرة . يشعر الشخص القلق بتهديد متوقع أو متخيل ، دون مثير ظاهر . وكثيرا ما يعيق القلق الأداء الفعلي للفرد بشكل عام ، والقلق خوف مبهم غامض ، يصعب علاجه ومعرفة سببه الا بالتحليل النفسي ، ولو أن هناك علاقة وطيدة بين الوراثة والمرض ، إلا أن للبيئة دورا كبيرا في ظهوره .

الهستيريا :

لقد اعتبر أطباء اليونان قديما بأن مرض الهستيريا هو مرض تحرك الرحم في الجسم ، وربما أطلقوا هذا التعبير على المرض لأن الاصابة به أكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال ، أما الاطباء المحدثون فقد أرجعوا الهستيريا الى انهيارات عصبية يعاني منها الفرد ، كالتوتر الناتج عن المثير . وكف الاستجابة المبالغ بها من قبل الشخص ، كما تتضمن العمليات الفيزيولوجية للقشرة اللحائية . ومرض الهستيريا هو اضطراب عصبي يتميز بالتفكك العقلي Mental Dissociation ، والاختلال الواضح في النشاط الجسمي والعقلي . وقد تكون مظاهر المرض عضوية كالعمى الهستيري ، أو فقدان الذاكرة ، أو الصمم أو التمتمة . وللهستيريا في الطب العقلي عدة معان منها : تلك الحالات من الذهول ، أو عدم الثبات الانفعالي أو التوهمات ، وتكون أحيانا قوية جدا .

٣ - التسلط :

وهو عبارة عن اضطرابات عصبية وظيفية ، تظهر في شعور المريض على الرغم من إرادته ، ويدرك المريض أنها غير منطقية ، ولا يستطيع التخلص منها . يتميز هذا المرض بتسلط الافكار والافعال ، ونعني بتسلط الافكار تلك الوساوس التي تستحوذ على ذهن المريض وتسيطر عليه ، بينما يعتبرها المريض غير مألوفة لديه غريبة عنه ، ويعجز عن التخلص منها .

وتسلط الافعال أي القهر النفسي هو أن تفرض الافعال نفسها على المريض ، ويكون مقهورا ومجبرا على أدائها ، ولا يستطيع مقاومتها ، بل يمارسها باستسلام دون ممانعة، وكثيرا ما يعتبر المريض بأ لاقيمة لهذه الافعال ولا معنى لها ، ولا يعترف بمنطقيتها على الرغم من أنه مجبر على الخضوع لسيطرتها ، لأنه يعتقد بأنه إذا لم يمتثل و يعمل بها فالمصيبة ستقع عليه وعلى المجتمع .

وهناك بعض الامراض الأخرى التي تصيب الجنسين ، وهي الناتجة عن اختلال التوازن الكهربائي الحاصل في الجسم ، وهي كما يلي :

١ - مرض الصرع

ينتج مرض الصرع عن تهيجات في مجموعة كبيرة من الخلايا العصبية الموجودة في المخ ، ويعتمد نوع الصرع على مكان هذه المجموعات من الخلايا العصبية وكميتها ، مما يؤدي الى توليد شحنات كهربائية تزيد عن الحد الطبيعي، تسبب تشنجات على شكل نوبات صرعية .

٢ - مرض ضعف الضلات :

يتولد مرض ضعف العضلات (ميشينا جرا نتيجة لاضطرابات نظام المواد الكيماوية و

الانزيمات في الخلايا . تنقبض العضلات وتنبسط وتتحرك نتيجة للاشارات التي تطلقها الخلية العصبية ، وتتلقى الخلية العضلية تلك الاشارات

عند موضع التقاء الخليتين ، ويسبب ذلك إفراز مادة كيماوية معينة يطلق عليها اسم (استيل لولين) ،

وتبدأ سلسلة من التفاعلات الكيماوية قبل ان تتحلل وتختفي بواسطة مواد كيماوية وأنزيمات مضادة لها ، ، وتؤدي تلك التفاعلات الى انقباض العضلة

بالشكل المطلوب ، وينتهي تأثير الانزيم المضاد ثم يعود « الاستيل لوبين » الى جميع عناصره مرة أخرى لتلبي الاشارة العصبية القادمة ويحدث أحيانا خلل

في افراز تلك الانزيمات التي تحلل مادة « الاستيل لولين » الى عناصرها الأولية ، مما يؤدي الى استمرار انقباض العضله وزياده حجمها ، كما أن « الاستيل

لولين » يستهلك أثناء النهار لكثرة المثيرات التي يتعرض لها الانسان ، ويعوض بالراحة والنوم

تتميز أعراض المرض بازدواج النظر مع ارتخاء في الاجفان ، كما يظهر الضعف انحاء في الجسم ،

وخاصة في الرقبة والوجه واللسان يصاب المريض بالاعياء والتعب السريع خاصة في الذراعين والقدمين ، إضافة الى اصابته بالاختناق وصعوبة البلع والعلاج هو النوم مدة ٢٤ ساعة ، مع أخذ

راحة واسترخاء كاملين ، كما أن الانسان الذي يعمل طول النهار يحتاج الى راحة واسترخاء في الليل للتخلص من تلك الظاهرة العضلية الموجودة لكن هناك أفرادا لا ينامون في اليوم الا ساعتين أو ثلاثا ،

قد يكون نظام « الاستيل لولين » لديهم لايستهلك أثناء اليقظة الا بكميات قليلة ، ولهذا نجدهم لا يحتاجون الى نوم فترة طويلة

الاحتياط واجب

هناك طرق عديدة للوقاية من الامراض النفسية وأمراض القلب التي تنتج عن زيادة الكه ء ة

واختلال التوازن الكيماوي في الخلية ، و

١- الابتعاد عن المثيرات التي تزيد من الانفعالات والتوترات

٢- تقليل استعمال المواد البلاستيكية قدر الامكان

٣- أخذ حمام حار عند شعور الشخص بالتوتر والانفعال

٤- خروج الفرد المتوتر الاعصاب الى الهواء الطلق أو أخذ نفس عميق ١٥ مرة

٥- ارتياد الاندية الرياضية وممارسة النشاطات الرياضية المختلفة

٦. مشاهدة الأفلام والبرامج المسلية ، والابتعاد عن الافلام المرعبة والمحزنة

٧- مناقشة ما يعاني منه الفرد مع أقرب الناس اليه ، لكي يساعده على اجتياز تلك الازمة .

٨- الاكثار من اللعب للطفل ، واتاحة الفرصة له ليكسر ما شاء ، وليعبث بتلك الدمى واللعب ، لأن ذلك تشخيص لما يعانيه من ناحية ، وتنفيس هذه المعاناة من ناحية أخرى

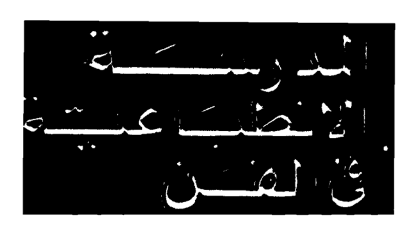
٩- الخروج الى النزهات والرحلات ، والانطلاق من تلك المواقف الرتيبة ، لكي يبدد الشخص ما يعاني من توترات كهربائية وانفعالات مختلفة

١٠- تغيير محل العمل ونوعه إن شعر الفرد بأن عمله سبب في توتراته وانفعالاته .

١١- ابتعاد الزوجين بعضهما عن بعض فترة قصيرة إن حدث بينهما ما يشوب العلاقة الزوجية ، فقد تكون هذه الفترة كافية لازالة التوتر والانفعال

١٢- الاستفادة من أوقات الفراغ ، والاشتغال بهواية واحدة أو هوايات معينة .

١٣- مشي المرء على الأرض حافي القدمين ، وذلك لتبديد الكهرباء من الجسم . ☐



[illegible] على الرسم بطريقة [illegible] بعيدة عن الخطوط [illegible] فاستحقت هذه اللوحة اسمها للمدرسة الانطباعية التي ارتبط اسمها (مونيه) و(مانيه) ، فما هي الانطباعية ؟ ومن هما هذان الفنانان صاحبا الأسلوب الانطباعي ؟

في منتصف الشهر كانون الأول عام ١٩٨٦ اليوم في مدينة لندن مزاد فني عالمي ، ووصل فيه ثمن لوحة (الشارع) للفنان (ادوار مانيه) الفرنسي الى مبلغ سبعة ملايين جنيه استرليني ، وهي تمثل شارع (مونيه) في باريس ، أو شارع (برن) كما يسمى اليوم ، حيث كانت تطل على هذا الشارع نوافذ مرسم (مانيه) من جهة حي (القديس بطرس) ، وقد عمل (مانيه) هذا الشارع بعض لوحات ، تخليدا للذكرى العالقة فيه . وتظهر في لوحة الشارع - عربتان : عربة (حنطور) ، وعربة نقل أمتعة ، ومن على طرفي الشارع تظهر البيوت المزدانة بالأعلام الحمراء . وقد عني (مانيه) من خلال هذه اللوحة بالتعبير عن عميق مشاعره وأحاسيسه ، أكثر من عنايته بالألوان ، حيث بدت العربتان باللون البني الغامق ، وسط جو من ألوان فاتحة زاهية مشرقة . ويرى الناقد الفني

* كاتبة ومدرسة لغة فرنسية من القطر العربي السوري



(ريتشارد سن) أن هـذه اللوحة تجسد الأجواء الباريسية التي حاول (مانيه) أن يجعلها أكثر قربا الى الطبيعة من (مونيه) .

أما مخطط هذه اللوحة ودراسة معالمها فهو موجود في معهد الفنون في شيكاغو ، في الولايات المتحدة الأمريكية .

امرأتان وقطة

قبل أكثر من مائة وعشرين عاما منذ تاريخ بيع لوحته ـ الشارع ـ الدي جرى في صالة كريستي اللندنية قدم (مانيه) في معرض عالمي عام ١٨٦٥ لوحته الشهيرة (أولمبيا) التي تمثل امرأة عارية ، تمددت على سرير ، وبجانبها امرأة زنجية ، تقدم اليها باقة من الورد ، وعلى طرف السرير قطة سوداء صغيرة . وقد منيت هذه اللوحة بفشل ذريع ، وضج جمهور العصر بنقدها نقدا لاذعا شديدا ، ولم يكن ذلك بسبب موضوعها الذي كان الفنان (انغري Ingres) قد تناوله من قبل بل بسبب تضارب الألوان ، فمن أصفر فاتح بسبب الضوء الشديد الذي سلطه على المرأة الى لون قاتم يملأجو اللوحة ، ولأن الفن في تلك اللوحة قد انحط الى درجة لايستحق معها تعليق ، كما ذكر النقاد في ذلك الزمان .

لهذا لم يكن مستغربا أن تطلب لجنة التحكيم رفع اللوحة ، وتعليقها في مكان مرتفع جدا ، حتى لاتبصرها أعين الجمهور .

وقد حزن (مانيه) حزنا عظيما بسبب النتيجة التي آلت اليها لوحته (اولمبيا) ، فكتب الى صديقه الشاعر (بودلير) يبثه همومه وأحزانه ، فأجابه بودلير :

هل تعتقد بأنك أكثر ذكاء وعبقرية من (شاتوبريان) ، أو (فاغنر) ؟ لقد سخر الناس منهما كثيراً ، الا أن ذلك لم يثبط من عزمهما على مواصلة الكفاح .

وقد شجعه هذا الكلام على المضي في الرسم ومتابعة اقامة معارضه الخاصة .

وبعد أن توفي ، طرحت لوحته (اولمبيا) مزاد ، ثم سحبتها السيدة (مانيه) لتهديها ا الحكومة الفرنسية في احتفال رسمي ، بعد ع ١٨٩٠م ، وفي عام ١٩٠٧ أمر (جور كليمنصو) ـ رئيس وزراء فرنسا في ذلك الحين ـ بنة لوحة (أولمبيا) من اللوكسانبورغ الى متحف اللو في باريس،لتعلق مقابل لوحة (الأوداليسك -oda lisque للفنان المخضرم (انغري Ingres)

و(مانيه) الذي سخر منه الناس بالأمس يتهافته اليوم على شراء عمل واحد من أعماله بملايـ الجنيهات . فمن هو (مانيه) ؟ وما علاقته (بمونيه) ؟

زيارة للوڤر

لابد من زيارة مدينه باريس العريقة بالصون ولابد لكل من يزور تلك المدينة الجميلة أن يعر على متحفها الشهير ، متحف (اللوفر) ، حيـ يمضي ساعات طويلة ، يتجول خلالها في ردهـا المتحف وقاعاته الواسعة ، حائرا تارة ، ومعجـ مذهولا تارة أخرى فهنا روائع قدماء المصريين وهناك نفائس الاغريق ، وأمامه كنوز الأوروبيين وكل واحدة منها تدهش بدقة قسماتها ، وعظ أحداثها ، كأن الناظر اليها أمام وثائق تاريخ لاتدحض .

هذه لوحة لمعركة ، وتلك لملك ، أو قائد ، رجل من أسرة عريقة ، أو وجه لأحد وجهـ المجتمع ، مواضيع مختلفة ، وقصص متنوعة وأحداث شيقة ، تضع المشاهد في دوامة من السـ والخيال ، تلك هي أعمال عصر النهضة ممثلة بأعمـ (ليونارد دافنشي) ، و (روفائيل) وعصر الـ (الكلاسيكي) الذي تلاه ، فاتخذ من فناني عصـ النهضة روادا ومعلمين ، حين دخلوا القصور

ورسموا الملوك ، والمعارك ، والخيول المطهمة ، والثياب الفاخرة ، بدقة متناهية ، تضاهي دقة أفضل عدسات التصوير في عصرنا الحديث

لكن عندما يصل المرء الى الطابق الثالث من ذلك المتحف ، في جانب من جوانبه ، يشعر أنه عاد الى نفسه ، الى واقعه ، وحياته ، فيعود من غربته التي شعر بها أمام اللوحات القديمة (الكلاسيكية) . يرى هنا الشجر ، وأوراق الخريف الذهبية ، والزورق العائم فوق مياه رقراقة ، فيتعرف على تلك القرية ، وهذه البحيرة انها لوحات الفن الانطباعي ، بألوانها الزاهية ، وسمائها الصافية ، فاذا أجلنا النظر بين هاتين المدرستين ـ المدرسة الكلاسكية) والمدرسة الانطباعية ـ وجدنا الفرق شاسعا بينها ، فكيف حصل هذا التطور ؟ وكيف تم الانتقال بين المرحلتين ؟

مرحلة وسطى

كانت هناك مرحلة وسطى بين المدرسة (الكلاسيكية) والمدرسة الانطباعية ، كما أن هناك فنانين قد عاشوا تلك المرحلة ، واستقوا من كل من المدرستين ، فأثروا فيها ، وتأثروا بها ، ولعل من أهمهم (تيودور روسو) ، و (كاميل كورو) اللذين اتخذا من الطبيعة حول باريس مرسما لها ، لما يحيط بها من غابات ، مغطاة بالضباب ، وبحيرات شفافة ، وأشجار ضخمة باسقة ، تلهم الفنان ، وتطلق لريشته العنان ، فتضج لوحته بالألوان ، والأنوار الظاهرة حينا ، والخفية أحيانا ، مما أسبغ على فنهم صفة الانطباعية ، كلوحة (ذكرى مورتفونتين) ، لكورو

ويعتبر كورو (Corot) ١٧٩٦ ـ ١٨٧٥ ـ سلفا للانطباعيين ، ومبدعاً كبيراً في رسم الطبيعة ، لما في فنه من لمسات رقيقة ، تذكرنا بالشاعر الفرنسي الكبير صاحب قصيدة (البحيرة) لامارتين . وقد كان (كورو) مولعا بالرسم ، وبخاصة رسم البحيرات من خلال الضباب الذي يغطيها ، والأبخرة المتصاعدة منها مع نسائم الصباح ، وقد ظهرت المدرسة الانطباعية عام ١٨٦٠ ، أي منذ حوالي قرن وربع من الزمن . واشهر من يمثلها خمسة ، من عمالقة الفن ، هم (ادوار مانيه Manet) و (بيسارو Pissaro) ، و (سيسليه Sisley) ، و (مونيه Monet) ، و (بازيل Bazille) ، بالاضافة الى عدد من الفنانين الانطباعيين الآخرين ، من ذوي الأسلوب الخاص ، والاختصاص في موضوع معين ، مثل (أوغست رونوار Renair) ، و (بول سيزان Cezanne) ، و (ادجار دوجا Degas) ، و (جوجان Gaugun) الخ .

أما بالنسبة لتاريخ المدرسة الانطباعية فيمكننا القول ان المؤرخين لم يتناولوا حكايتها بالتفصيل الا مؤخرا ، لأنها مازالت تحيا في نفوسنا واعماقنا ، ولذلك لم تصلنا أخبارها الا عن طريق الرواة الذين بينوا كيف كان أولئك الفنانون المغمورون يترددون على متحف (اللوفر) باستمرار ، من أجل عرض أعمالهم الفنية ، الا أنهم كثيرا ماكانوا يخذلون ، برفض لوحاتهم ، وقلما كانوا ينجحون في عرضها وقد خصصت الدولة فيما بعد جناحا خاصا في متحف (اللوفر) يضم ثلاثمائة لوحة من أجمل لوحات الانطباعيين ، اختيرت منها مائة لوحة ، كي تكون مراجع ووثائق تاريخية للمدرسة الفنية الانطباعية ، ويعتبر (كلود مونيه) خير مثال لهؤلاء المبدعين

ولادة مدرسة بلقاء رجلين

ولدت المدرسة الانطباعية بلقاء رجلين تشابه اسماهما الى درجة الالتباس ، وهما (ادوار مانيه ١٨٣٢ ـ ١٨٨٣) ، و(كلود مونيه ١٨٤٠ ـ ١٩٢٦) اللذان ساهما بلقائهما الفني في ولادة الفن الحديث فيما بعد ، إلا أن جذورهما الاجتماعية كانت مختلفة تماما ، فالأول ـ مانيه ـ كان من أثرياء باريس ، وابن قاض كبير ، أما الثاني ـ مونيه ـ فقد نشأ فقيراً ، ولم

يرض حماية أحد من الأغنياء له كما فعل (مانيه) ، بل شق طريقه بنفسه ، واضعا النجاح نصب عينيه ، الى أن جاء وقت اعتبر فيه هو الزعيم الذي قاد المدرسة الانطباعية حتى النهاية .

وقد تحلى (مونيه) بالصدق والوضوح ، وكان يهوى الانطلاق في الطبيعة ، وفي الهواء الطلق على شواطىء البحر الذي استنشق أنسامه العليلة منذ طفولته ، وأشبع منها رئتيه ، كما أشبع نظره من منظر البحر الذي طالما جال فوق سطحه اللازوردي هائما وراء ندائه اللانهائي .

كان القاسم المشترك بين فناني المدرسة الانطباعية هو رسم وجه الانسان ، ورسم الطبيعة ، فمثلا عندما رسم (كوربيه Courpet) لوحة (الدفن في ارنان) لم يكن أسلوبه يختلف كثيرا عن أسلوب (دافيد) في لوحته (تتويج نابليون) .

أما (مانيه) فقد كان الرسم بالألوان عنده لايعني الانسجام التشكيلي ، ولا ابتكار شكل جديد غير مألوف ، بل يعني ابتكار أسلوب فني جديد، خال من الآثار الرومانسية ، لأنه كان يجرد الرسم بجرأة استثنائية في كل لمسة أخلاقية أو فكرية ، مما جعل منه (رائدا) لعصر جديد ، ينسب اليه وهو (عصر مانيه) .

ان فن (مانيه) هو في الألوان ، وليس في الضوء ، كما هو الحال في فن (مونيه) ، فهو يحشر الوجوه حشرا ، وأحيانا يمزج الخطوط والأشكال بألوان تفقدها معالمها الأصلية ، وقد اعتكف في عام ١٨٦٣ في متحف (اللوفر) ، وكرس جهده لرسم روائعه الفنية الخالدة ، بينما ظل صاحبا (مونيه) وهما (رونوار) و (سيسليه) في غابة (فونتيبلو) لكي يرسما مناظرها الساحرة ، وكانت هذه الغابة قد استهوت في الماضي كبار الرسامين والفنانين أمثال (اودري) في عهد لويس الخامس عشر ، كما استهوت أيضا كثيرا من الفنانين في نهاية القرن الثامن عشر ، وأصبحت قبلة الرومانسيين بعد عام ١٨٣٠ ، مثل (تيودور روسو) ، و (دياز) ، و (مينيه) فيما بعد ، الى أن أصبحت أكاديمية للمناظر الطبيعية .

وبينما كان الأقدمون يجدون في هذه الغابة ظلالا وارفة وجد فيها (مونيه) منبعا للنور والضياء ، كما في لوحته الرائعة التي رسم فيها صديقته (كاميليا) في الهواء الطلق ، بثوبها الأخضر وقد سمى اللوحة (السيدة ذات المظلة) ، وكذلك لوحته (نزهة) التي تقدر مساحتها بثمانية وعشرين مترا مربعا ، والتي وهبها لصاحب النزل الذي كان يقيم فيه ، وذلك تعويضا عن اقامته لديه ، الا أن هذا الأخير طواها ، ورماها بين مهملاته ، فأصابها التلف ، ولم يبق منها الا القسم المركزي المعروض في متحف (اللوفر) ، وتعبر هذه اللوحة عن أبرز خصائص المدرسة الانطباعية ، وهو الرسم في الهواء الطلق ، والرسم بالألوان الزاهية

وكان (مانيه) قد ابتدع ـ من قبل ـ هذه الطريقة في بداية عهده بالرسم ، بلوحتيه ـ (أولمبيا) و (غذاء على العشب) اللتين سببتا له فضيحة كبرى في المعرض الذي رفض (أولمبيا) بسبب وجود امرأة عارية في الهواء الطلق ، وليس في مرسم كما كانت العادة أيام (الكلاسيكيين) ، ولم يكن (مانيه) يعلق أهمية كبرى على الموضوع بحد ذاته ، فقد طرقه غيره من قبل ، وكل ماكان يهمه هو أن يكون عصريا وصادقا في نقل الحقيقة ، أما اللون المسيطر على لوحة (غذاء فوق العشب) فهو اللون الأخضر و درجاته القاتمة والزاهية ، وقد جعل من الأوراق شيئا مناسبا لنفاذ ضوء خفي قادم من جميع الاتجاهات .

أما خلفية اللوحة فقد جعل منها (مانيه) في ألوان كالازرق الفاتح والأصفر والأحمر ولون الثوب الأبيض مايسبغ على اللوحة شفافية ضوئية ، تجعل منه رساما انطباعيا فريدا من نوعه .

فنانون وفنانة

أما أشهر الفنانين الذين ابتكروا عالما خاصا بهم فهم (رونوار) الذي افتتن بالصبا فراح يرسم الفتيات والنساء الصغيرات ، مبرزا براءتهن وملامحهن الطفولية ، كالوجنات الوردية ، والشفاه القرمزية ، واستدارة الذقن والأنف والأصابع الخ

و (ادجار دوجا) الذي رفض أساليب أصدقائه وزملائه ودخل في عام ١٨٧٢ قاعة الرقص في (الاوبرا) كي يراقب حركات راقصات البالية والأضواء الاصطناعية المتكسرة على أجسادهن وثيابهن الرقيقة ، وحركات أيديهن ، لينقلها الى لوحاته

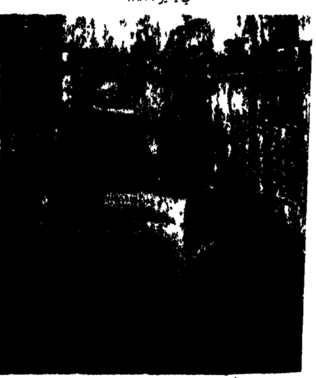
وكذلك (بول سيزان) الذي اتسمت رسومه بالبساطة ، بسبب نشأته الريفية ، والذي كان يصبو الى الكمال ، والى معرفة كل شيء ، وقد ابتكر أسلوبا في الرسم خاصا به ، ثم مالبث أن مال في نهاية حياته نحو الفن التكعيبي ، أي أنه أدخل الخطوط المستقيمة والهندسية في أعماله الفنية ، وهذا ما أثر فيما بعد في بيكاسو وماتيس

وظهرت الفنانة (برت موريزو) التي دعت (مانيه) الى نبذ اللون القاتم في لوحاته وهي وان لم تكن قد تتلمذت على يد أحد الا أنها كانت تقترب بفنها من أسلوب (رونوار) وقد استلهمت لوحاتها التي تمثل الأمومة والطفولة من شقيقتها (ادما) التي رسمتها في لوحة رائعة ، تدعى (المهد) ، وهي موجودة الآن في متحف (اللوفر) بألوانها الرقيقة العذبة ، والحرير الرقراق حول طفل رضيع يرقد هانئا في مهده . وهكذا يمكننا القول بأن الفنان كان يرمي دائما ـ من خلال أعماله ـ الى أن يحيا عصره ، وأن تترك أعماله أثرا يدل عليه ، ويخلده .

لكن يبقى هناك سؤال مطروح بالحاح : ترى ماذا يمكن لنا أن نرى في هذه اللوحة أو تلك ؟ هل نرى فيها ذواتنا ، أم نرى عصرنا ؟ وهل هي للماضي ، أم للحاضر ، أم للمستقبل المجهول ؟ □



● زهور عباد الشمس للفنان فان جوخ في يناير ١٨٨٩



● طريق منحدر عن حانة دي س لـ « ادوارد مانيه » في ١٨٧٨



الحمار

قصــة الكـاتب الاستــرالي : آلان مارشال
ترجمة : حسن يوسف *

كان الحمار مجرد حمار عـادي رث وذاهل ، يقف مطأطئا رأسه وعيناه نصف مغمضتين أمام مدخل خيمة السيرك التي نصبت على البقعة الخضراء الوحيدة المتبقية حول المدينة الكبيرة .

كان ذلك هو أول سيرك تراه المدينة منذ سنة . ولهـذا ازدحمت الطرقـات المفضيـة الى تلك البقعـة الخالية بصفوف من السيارات التي تتحرك وتقف ثم تتحرك من جديد .

النـاس يتحركـون بعجـالـة ، يعبـرون ممـرات المشاة ، ويجتازون الحـواجز الحجـرية الممتـدة على جانبي الطريق . انهم يتحركون على شكل جماعات وصفوف تلتقي وتتعرج لتصب في البقعة التي تتقدم عبرها حشود من الناس يسيرون برؤوس مرفوعـة ليروا ما أمامهم من فوق أكتاف بعضهم بعضا .

تحت هذه الطبقة من الوجوه المرفوعة المترفعة ، نزولا الى حيث الأيدي الكبيرة تمسك بأيد صغيرة ، ثمة وجوه أخرى مندهشة وملطخة « بـالبوظـة » ، تتحرك عبر غابة من السيقان ، ماضية معها الى حيث تتقـدم . كـان الأولاد والبنــات ـ أصحـاب تلك الــوجـوه ـ عــاجــزيـن ، في هــذا العــالم مـن « البنـطلونات » والجـوارب الحريـرية ، عن رؤيـة خيمة السيرك ، ناهيك عن الفيلة التي كانت تتحرك طليقة قرب العربات المطلية · كان على واحدهم أن ينتظر الى أن تمتد اليه يداں قـويتان لتـرفعاه فـوق رؤوس الناس .

وهاهوذا ، مقابلهم تماما ، يقف الحمار الأعجوبة وسط الممر الذي يفضي الى خيمة السيرك .

كانت الخيمة كبيرة للغاية . فالملصقات الزاهيـة التي تستـوقف الناس منـذ أسابيـع ، أمام جـدران القرميد القذرة في الشوارع الخلفية والأزقة ، تقول انها أكبر خيمة في العالم كله ، وانها تتسع لأربعة آلاف انسان دفعة واحدة .

كان الحمار مربوطا الى وتد بحبل بال في منتصف طريق العابـرين بعجلة نحو صفـوف المقاعـد التي ترتفع متدرجة حول الحلقة المضاءة . ولهذا كان لابد لهم جميعا من المرور به بعد شراء البطاقات . وبما أنه تقام كل يوم سبت ثلاثة عروض فهذا يعني أن اثنى عشر ألف انسان قد مروا بذلك الحمار خلال يـوم واحد . ولاشك في أن ثلاثة أرباعهم على الأقل ربتوا على الحمار أو لمسوه أثناء مـرورهم . أي أن تسعة آلاف يد قد قرعت الحمار في مكان ما من جسده في بحر ذلك النهار . ولسوف يكون صعبا أن نـ

* كاتب ومترجم من القطر العربي السوري .

عدد الضربات الرقيقة التي تلقاها خلال أسبوع .

كانت التربيتات تأخذ أشكالا مختلفة بعضها كان نوعا من اظهار الفوقية وبعضها كان علائم احتياج خائف بعضها كان يدل على حب النفس ، وبعضها كان يدل على محبة للحمير بعضها كان مجرد تباه مبتدل يقوم به الآباء بقصد التأثير على أولادهم ، وبعض آخر منها كان تربيتات رقيقة تحولها المخيلة الى تجارب سحرية



الأم التي يجرها ابنها الصغير المهتاج تقف بينها ابنها يحرك يده المرتعشة برفق على كتف الحمار . والأولاد الصغار الذين يرفعهم آباؤهم بافتخار ينحنون ليحكوا ظهر الحمار أو رأسه بأصابعهم القصيرة السمينة ، أو ليشدوه من أذنيه .

أما الأولاد الذين لايرافقهم من يكبح جماحهم فيستعرضون شجاعتهم المرتجلة لتوها بالاتكاء على الحمار أو فرك أنفه وهم ينظرون حولهم طلبا للتشجيع .

بعض الناس اللطفاء يحاولون ، أحيانا ، ادخال حبات الفستق والحلوى بالقوة بين شفتي الحمار ، الا أن ذلك كان صعبا نظرا لأنه كان يطبق أسنانه باحكام ، ويهز رأسه عندما يشعر بأيديهم في فمه .

كل عشر دقائق يصل رجل ممن يفهمون الحمير ، ويقول بلهجة غير متكلفة : « آه ، حور ! »
مما يجعل المربتين يسحبون أيديهم وينظرون اليه .
عندئذ يقوم الرجل الذي يفهم الحمير بتمرير ذراعه حول رقبة الحمار ، ويخاطبه بلهجة تضعه في مكانة المسؤول : « اذن الى هنا آلت أمورك ياصاحبي العجوز ، إيه ! لامزيد من العمل الشاق لك حسنا ، هكذا هي الأحوال اذن » .

ثم يغير الرجل لهجته ، ويوضح للناس الذين يستمعون اليه :
« في الشرق يحمل الحمار أكثر من وزنه . . فهو كما تعلمون من حيوانات حمل الأثقال » . فيتمتم الناس علامة على الفهم ، ويعطون الحمار تربيتة أخيرة ، دليلا على تعاطفهم ، قبل أن يدخلوا ويتركوه .

كان الحمار يقبل اهتمام ذلك الحشد من البشر بخضوع ، مما جعله يوطن نفسه على حياة من التربيت . صحيح أنه كان يشعر بارهاصات التمرد في داخله ، أحيانا ، الا أنه لم يكن يظهر ذلك قط . كان يقف على ثلاث أرجل مدليا إحدى فخذيه ، وشعره الأشعث قد ازداد تشوشا بسبب الأيدي التي فشلت في انتزاعه من الحلم الذي كان تائها فيه .

في آخر أيام السيرك تقدم ، بثقة ، عبر المدخل ، رجل جريء ، يرتدي بذلة زرقاء ضيقة . توقف أمام الحمار ، ملقيا عليه نظرة نقدية شاملة ، ثم عض على شفته ، هازا رأسه ، وتراجع بضع خطوات كي يتمكن من النظر الى الحمار من الخلف ، ثم استدار الى الجهة الأخرى ليتفحصه من هناك . أخيرا أنهى دورانه حول الحمار بالتأمل في رأسه لوقت طويل .

وبعد أن عرف كل مايريد معرفته عن هذا الحمار استدار ليكمل طريقه ، وهو يهوي بيده الثقيلة ، في الوقت نفسه ، على ظهر الحيوان . وكانت تلك هي التربيتة رقم ثمانية آلاف في ذلك اليوم .

كان الحمار نائما ، على مايبدو ، الا أن ثقل يد الرجل على ظهره أثر به كما لو أنه اشارة طال انتظاره لها . فرفع رأسه الثقيل بحركة سريعة ، ثم استدار وأطبق فكه على ذراع الرجل بأسنان انطبقت كمصيدة الأرانب .

انطبقت أسنان الحمار على كم معطف الرجل ، فانتزعت منها مزقة من القماش الأزرق ظلت بارزة من فم الحمار ، الذي أدار رأسه جانبا ، مواصلا أحلامه .

ذهل الرجل ، وترنح متراجعا نحو الناس بعينين جافلتين وفم مفتوح . أمسك ذراعه بيده الأخرى ، ونظر الى الناس ليؤكدوا له ذلك الشيء المذهل الذي جرى له . ثم تعجب بلهجة مرعوبة :
« عضني ! »

وأضاف وهو ينظر الى الحمار كما لو أنه لايصدق عينيه :
« ياله من بهيم شرير ! » .

توقف المارة جميعا لينظروا الى الرجل والحمار الذي ما يزال يحمل قطعة القماش في فمه . هزوا رؤوسهم موافقين على كلمات الرجل . أجل ، هذا الحمار بهيم شرير ! فقد عض الرجل الجريء في ذراعه رغم أنه لم يرد سوى أن يربت عليه . ياله من مخلوق عاق شرير !

مرت خمس دقائق ، بعد ذلك لم يقم خلالها أحد بالتربيت على الحمار . لابد أن تلك هي أول مرة يذوق فيها السلام منذ سنوات . □

البنين العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

نشاط الطفل التمثيلي

كيف نتعامل مع الطفل بطيء التعلم؟





نشاط الطفل التمثيلي

اعداد : محمد بسام ملص*

كانت رائدة نشاط الطفل التمثيلي ومسرح الأطفال تراقب بعض الفتيان وهم يؤدون مشهدا تمثيليا من خيالهم . المكان الذي وقف فيه الفتيان كان مجرد ممشى عادي ، إلا أن خيالهم الخصب قد حوله إلى غابة خضراء ، انتشر فيها الفتيان في مغامرة فما أهمية النشاط التمثيلي للطفل ، وما قيمته في التربية ؟

لايختلف اثنان في أن اللعب بالنسبة للطفل هو الحياة نفسها . ولا بد للأم والمهتمين بتربية الطفل أن يعتنوا به في مجال هذا النشاط ، لينشأ طفلا سليما قويا قادرا على مواجهة التحديات ، فهو أمل هذه الأمة ومستقبلها .

لايبالغ علماء النفس عندما يؤكدون على حقيقة أن الطفل ينمو ويتعلم باللعب . يقول بيتر سليد ، أحد رواد النشاط التمثيلي في بريطانيا : إن لعب الطفل هو طريقته في التفكير والتجربة والاسترخاء والعمل والتذكر والاقدام والابداع والانهماك . وجانب من جوانب لعب الطفل هو النشاط التمثيلي الذي يسمى « دراما الطفل » . يلاحظ المهتم بسلوك الطفل ظهور لحظات تشخيص يؤدي فيها الطفل دور الأب أو الطبيب أو عامل التنظيفات ، وهذه تبرز في سنوات الطفل الأولى التي غالباً ما تسمى بمرحلة ما قبل المدرسة . وقد تلاحظ الأم ـ مثلا ـ أن ابنتها

* كاتب من القطر الأردني ، صدر له كتاب عن ثقافة الطفل سنة ١٩٨٦م .



الصغيرة تعامل دميتها بعنف ، لأنها رفضت أن تشرب الحليب .

الارتجال . . . والمسرح

ويوضح بعض المختصين بأن هذا النشاط ماهو إلا نشاط تمثيلي غير رسمي ويكون من أجل متعة من يمارسونه وفائدتهم .

لا بد من توضيح نقطة ذات أساس في هذا النشاط ، وهي أن المهتمين بتربية الطفل مطالبون أن يميزوا بين نشاط الطفل التمثيلي وبين مسرح الأطفال . تبين آن فيولا ـ إحدى المتخصصات في هذا المجال ـ بأن مسرح الأطفال يعني مسرحية يكتبها أو يعدها مؤلف ولها خصائص معينة ، يقدمها ممثلون ـ كبار أو صغار ـ للأطفال . وتستخدم المناظر والملابس والموسيقا وغيرها من لوازم المسرح الضرورية . أما في النشاط التمثيلي فإن الطفل يقدم مواقف ومشاهد « مرتجلة » ، مع التركيز على أن أحد أهم أهداف هذا النشاط هو التطور الشخصي للطفل ، وليس تسلية جمهور الأطفال وإرضاءهم .

من هذا المنطلق الأساسي يظهر النشاط التمثيلي فنا قائما بذاته ، فهو ليس نشاطا اخترعه شخص ، وإنما هو السلوك الحقيقي للانسان .

دور البيت

يسهم البيت مساهمة غنية في النشاط التمثيلي وينميه ، ومن ذلك أن يهتم البيت بالأصوات ، فالأصوات المختلفة الصادرة عن ألعاب وأدوات تشد الطفل ، وبخاصة في السنتين الأوليين . اهم ما يراعيه البيت في مجال الأصوات إدخال كلمات حقيقية ، وإعادتها أكثر من مرة على مسمع الطفل الذي سيستخدمها فيما بعد ، فإن هذه التجربة الصوتية تبني لديه أساسا متينا للغة .

يتعرض الطفل إلى مشاكل عديدة ، وبخاصة داخل بيته ، فقد تولّد هذه المشاكل عنده توترا وصراعا ، وتترك في نفسه مخاوف عديدة ، وإذا ما بقيت هذه داخله دون أن تجد لها أي متنفس ، فإنها لا شك تؤثر على تكوينه العاطفي والنفسي ، بل إنها تؤثر على مسار حياته . هكذا يبرز النشاط التمثيلي كمحاولة لتفريغ الشحنات السلبية داخل الطفل .

وقد تلاحظ الأم ظهور العنف أثناء هذا النشاط ، فقد يؤدي الطفل دور لص أو رئيس عصابة ، وهذا يجب ألا يقلقها أبدا ، لأن محاولات كهذه تتيح للطفل أن يعبّر عما في داخله من أمور غير شرعية بطريقة مشروعة ، إنه يلعب ويمارس النشاط التمثيلي . ويذكرنا هذا الأمر بمصطلح « النشاط التمثيلي العلاجي » ، الذي يطلق على نشاط يحاول أن يمنع الكثير من الأمراض النفسية ، فهو يتيح للطاقات الكامنة والتوتر والصراع والنوايا الشريرة أن تخرج بطريقة طبيعية .

يشارك الطفل الأطفال الآخرين في هذا اللعب ، وإن تشجيع الأم لطفلها على أن يلعب مع الآخرين يعلمه أن يكون متسامحا ، وسيساعد في نضجه اجتماعيا وعاطفيا .

يحذّر بيتر سليد في كتابه « مقدمة لتمثيليات الأطفال » الأسرة من أن تتفاخر أمام الاخرين بنشاط طفلها ، لأن ما يقوم به الطفل ليس استعراضا أو عرضا مسرحيا ، وإنما هو نشاط يمثل جزءاً لا يتجزأ من حياة الطفل .

في المدرسة

وحين يدخل الطفل المدرسة فإنه يتابع ممارسته هذا النشاط ، ويبرز هنا دور المشرف والمشرفة في توجيه هذا النشاط ، لكن ليس بإدارته من خلال تعليمات صارمة . ولأن الأطفال يحبون الأصوات يمكن للمشرف أن يُسمعهم بعض الأصوات ، ويطلب منهم أن يتخيلوا مواقف مختلفة ، لكنه لا يقترح عليهم أي موقف ، إلا في حالات نادرة جدا ، بل ينتظر اقتراحاتهم ، ويقبلها برحابة صدر ، فالمهم أن يترك المشرف الأطفال يقدمون اقتراحاتهم تمثيلا دون أن يتدخل في كيفية التقديم ، لأن تدخله يعني تقييد إبداعهم .

يتيح المشرف الفرصة للأطفال ليقدموا اقتراحاتهم حول قصص يحبون أن يؤدوها ، ومع نمو الأطفال يراعي المشرف أن تكون القصة بتشخيص أكثر وضوحا ، مع زيادة عدد الشخصيات ، ويهتم المشرف أيضا بارتجال الحوار ، لأن هذا من شأنه أن يسهم مساهمة مؤثرة في تطور اللغة عند الأطفال ، كما حرص المشرف أشد الحرص أن تكون اللغة هي اللغة الفصحى ، وقد يخلط الأطفال بين الفصحى والعامية ، وهذا أمر يتقبله المشرف .

وعندما يصبح الأطفال في سن الثامنة أو التاسعة يشجعهم المشرف على أداء المشاهد الطويلة ، ويهتم بالتقليل من إعطاء التعليمات ، ولا يفاجأ المشرف وهو يرى الأطفال يشاركون في تكوين أحداث القصة ، وفي إضافة أحداث ، كما أنهم يقترحون كيفية تقديم المناظر ، فعلى المشرف هنا أن ينمي عند الأطفال حرية التفكير والتعبير عن الرأي ، وإذا ما لاحظ أن الأطفال لم يحسنوا التصرف في موقف ، فإن عليه أن يشعرهم أنه يمكن جعل الموقف أكثر اهتماما وإثارة .

وقد يغلب الخجل على الأداء الأول للأطفال ، إلا أن الكلمات التشجيعية التي من شأنها أن تعزز ثقة الأطفال بأنفسهم وبما يؤدونه في النشاط التمثيلي تعني أن المشرف سيحصل على محاولة ثانية ، قد تكون مدهشة . وربما يضيفون أبعاداً جديدة اليها .

وفي السن من ٩ إلى ١١ يبدأ اهتمام الأطفال بالأدب وهنا يمكن للمشرف أن يستفيد من الأساطير والخرافات . وتنمو القصة بتشخيص أكثر تعقيدا ومواقف أكثر عمقا عندما تعكس النمو الفكري والعاطفي والنفسي للأطفال . ومن الأفضل عدم الاعتماد على نص مكتوب في هذه المرحلة . والأفضل أن يشجع المشرف الأطفال على كتابة القصة التي يريدون تأديتها في النشاط التمثيلي ، ولا يدهش وهو يرى في النصوص عبارات مباشرة قد صيغت على شكل حوار .

بعد هذه المرحلة تأتي مرحلة الانتقال من الارتجال إلى استخدام النص ، وهنا يُشجع الأطفال (من سن ١١ - ١٥) على أن يكتبوا النصوص ويختاروا الحوار المباشر والحبكة ، والمهم ألا يفرض المشرف عليهم أي نص أدبي قد يراه جيدا ، فهذا الأمر لا يتم إلا تدريجيا ، إذ أن الهدف هو تقديم المسرحية البسيطة التي تتسم بالتشخيص القوي .

وإذا لاحظ المشرف الارتباك عند الأطفال وهم يقدمون النص ، فإن عليه أن يطلب منهم أن يتركوا النص ويرتجلوا الموقف كما يبدو لهم ، فهذا يتيح لهم فرصة الابداع ، وبعد ذلك يمكن استخدام النص بكفاءة .

في مجال التربية والتعليم

لا تقتصر الاستفادة من هذا النشاط على هذا الجانب المتصل بنمو الطفل جسميا وعقليا ولغويا واجتماعيا ، بل تمتد إلى مجال التربية والتعليم ، وبخاصة ما يتعلق بتدريس الموضوعات . يعرف المعلم الذي يمارس تلاميذه الأطفال النشاط التمثيلي خلال الحصة المدرسية أن الموضوع التعليمي يأخذ

بعدا جديدا ، فالطفل يؤدي المادة التعليمية أداء تمثيليا ، ويقترب من المادة بطريقة تختلف تماما عن تعامل المعلم مع المادة نفسها بالأسلوب التقليدي الذي يعتمد على الالقاء والتلقين ، إن الطفل يتفاعل مع الموضوع . وفي حالات كثيرة قد تكون الكلمة المطبوعة جافة ، أو قد يصعب على الطفل تقبلها ، وخاصة إذا كانت تحمل فكرة مجردة وليست ملموسة ، فتأتي الحركة في النشاط التمثيلي لتمنح الكلمة معنى أقوى وتأكيدا ورسوخا أكثر ، فالطفل هنا يواجه الموضوع مواجهة مباشرة .

يذكر ماكجريجور لين في كتابه « التطوير في التعليم التمثيلي » هذه الحادثة ، وهي استعمال نموذج واقعي لاستخدام النشاط التمثيلي من أجل ترسيخ الوعي الاجتماعي ، فقد رأت معلمة أن تتعرف الفتيات إلى موضوع التعدين ، وما يحيط به من مشاكل تخص العاملين فيه عن طريق هذا النشاط في البداية بينت المعلمة الموضوع للفتيات بعدة وسائل ، منها التمهيد للموضوع بتقديم فكرة عن إضراب عمال المناجم في بريطانيا عام ١٩٧٢ ، والاستفادة من عدة كتب تظهر صور الفقر والأمراض التي تعكس ظروف الأطفال والنساء العاملين في المناجم ، وعرض عدة مراجع جغرافية علمية توضح مواقع المناجم وكيفية تكوين الفحم ، والاستعانة بقصاصات الصحف والأشرطة السينمائية المتوافرة حول الموضوع نفسه .

بعد أن ناقشت المعلمة مع الفتيات حياة العمال في المناجم تركتهن لتأدية مشهد تمثيلي ، ظهر فيه الاهتمام والانسجام وروح التعاون والاقتراحات العديدة .

يبين هذا المثال طريقة المعلمة الناجحة في إضفاء الحيوية والحركة على تلقي الطلاب للمادة عن طريق التعلم والتعليم معا ، كما يظهر أهمية النشاط التمثيلي في تشجيع الطلاب على متابعة الموضوعات الدراسية بحماسة وجدية .

هذا ويمكن القول بأن المجال التربوي بمفهومه الواسع في وطننا العربي ما زال بحاجة ملحة إلى النشاط التمثيلي ، ليحقق الأهداف التربوية المرجوة . □

ميكي ماوس فرعوني !

● يقول العلامة الأثري البلجيكي جان كابار : إن المصريين القدماء مع تمسكهم بالرسوم الدينية وتعلقهم بالشعائر المقدسة كانوا يمزجون فنونهم الرصينة ونقوشهم المقدسة بالفكاهة ، فقد اتخذوا الحيوانات رموزا لتمثيل الأفكار الفكاهية والسخرية الانسانية ، على نحو ما يبدو في الأفلام التي اتخذ أبطالها من الحيوانات ، وهي المعروفة بأفلام « ميكي ماوس » ، ففي متحف بروكسل الملكي صورة للملكة الفرعونية « ماكيت » ، ترى فيها وهي تتناول طعامها ، وأمامها قطة تقوم بخدمتها ، كما يوجد في متحف تورينو لوحة من ورق البردي ، صورت عليها جوقة موسيقية من عدة حيوانات ، حمار بيده معزف ، وأسد ينفخ في مزمار ، وتمساح بيده قيثارة ، وقرد يقود الفرقة بحركاته وهذه الصورة تمثل شريطا من نوع أشرطة « ميكي ماوس » المعروفة في السينما الآن .



مع

نتعامل

الطفل بطيء التعلم ؟

بقلم : الدكتور عبد الكريم أبو شويرب

يتخلف كل سنة ـ لأسباب عديدة ـ مجموعة من الطلبة عن زملائهم في الدراسة ، ونسبة كبيرة من هؤلاء مصابون بصعوبة التعلم ، وهذا يعني مجرد بطء في تطور القدرة فما هي أسباب هذا التخلف ؟ وهل في الأمر ظاهرة مرضية ؟

يقدر عدد الأطفال المصابين بصعوبة التعلم بحوالي ١٠٪ من بين كل الطلبة في أي مدرسة ، وهم ربما لا يشكون من أي مرض عضوي أو عقلي ، وإذا لم يتم تشخيصهم وعلاجهم مبكرا فقد يتسبب الإهمال في رسوبهم وتعرضهم لبعض الأمراض النفسية ، لذا تقع المسئولية على المعلم والطبيب فى التعرف على هذه الحالات ، وتقديم العلاج اللازم في وقت مبكر مناسب .

تعلم الأطفال أمر تدريجي ، يحدده عمر الطفل ونوع المادة التي سيتعلمها ، وهو مثل بقية خطوات نمو الطفل ، يتراوح بين المبكر والعادي والمتأخر ، وقد يبكر طفل في مجال الحركة ، ويتأخر في مجال الكلام ، ولكل مجال معدل ، إذا تأخر عنه الطفل عد متخلفا ، ولكل أسباب وعوامل معينة .

ويحتل السلم الدراسي مراحل دراسية ، وحواجز على الطالب أن يجتازها ، ليبدأ المرحلة التي تليها ، وفي كل مرحلة يكتسب الجديد من المعلومات والخبرات التي تضاف إلى حصيلته السابقة ، فضلا

عما يصل له عقله وجسمه من تطور وتبدل مستمر عضوي ووظيفي ، إلى أن يصل إلى مرحلة الاكتمال .

التحدي الكبير

وخلال هذه المراحل يتعرض الطالب لشتى التفاعلات مع زملائه ومع معلميه من جهة ، ومع المنزل والمجتمع من جهة أخرى ، ويكتشف أن عليه أن يبذل جهدا أكثر ، ويفكر وقتاً أطول ويبدع إبداعاً أحسن ، لينافس زملاءه ، ويسبقهم لكي يستمر في هذا السلم الدراسي ، ويصاب الطالب بفترات من السعادة ، وإطراء من الرضا ، وغيرها من خيبة الأمل في أداء بعض الواجبات والامتحانات ، أو حتى خلال احتكاكه اليومي وتعامله مع زملائه .

وبينما يتوالى صعود الطالب على هذا السلم يجد بعضهم أنهم غير قادرين على المتابعة أو اللحاق بالأغلبية في الفصل ، أو أنهم يتأخرون أكثر في كل مرحلة ، وعليهم بذل جهد أكثر ، وأنهم يستوعبون بصعوبة ، ويدركون النتائج والفرضيات في وقت يكون فيه رفاقهم قد اجتازوا إلى نظريات وفرضيات أصعب وأعقد ، وهكذا يتراكم هذا التخلف سنة بعد سنة ، ونتيجة لذلك :

١ ـ إما أن يكمل الطالب دراسته بشكل ضعيف .

٢ ـ وإما أن يحاول تغيير الفصل أو المدرسة أو نوع الدراسة .

٣ ـ أو ينقطع عن الدراسة ويتجه نحو الأعمال اليدوية .

وفي كل الحالات الثلاث تتولد لدى الطالب دوافع نفسية سلبية تجاه زملائه ومجتمعه ، قد تظهر في مراحل المراهقة ، كانحراف أو نوع من أنواع الجنوح أو العنف ، مما يجعل المجتمع ينظر له نظرة خاصة مريبة .

ومن الثابت أن ذكاء هؤلاء الطلبة هو في المعدل بالنسبة لأعمارهم ؛ وأنه من الممكن أن تكتشف هذه الحالات مبكرا ، ويقدم لها العلاج المناسب ، ليلحقوا بزملائهم ويتابعوا دراستهم .

وفي الولايات المتحدة يتخرج ٧٦٪ فقط من طلبة المدارس الابتدائية ، ومن هؤلاء يداوم ٤٤٪ فقط في المعاهد والثانويات ، ويتخرج منهم ٢١٪ فقط ، ويدخل ٦٪ الجامعات ، ويحصل على درجة الدكتوراة ١٪ فقط من هؤلاء .

ولسنا بصدد أين يذهب الطلبة أو لم يرسبون ، لكن يهمنا معرفة كم من هؤلاء المتخلفين مصابون بصعوبة التعلم ، وكم منهم كان يمكن تشخيصه وإنقاذه ومد يد المساعدة له .

أسباب صعوبة التعلم :

هناك عوامل جانبية بدهية تسهم في صعوبة التعلم لدى الطالب ، ومنها الفصل المكتظ بالطلبة ، والمقاعد الخلفية ، وتوقيت الحصة ، وشخصية المعلم ، وغيرها . وما نود أن نناقشه هنا هو سبب فروق الاستيعاب بين الطلبة مع تكافؤ الظروف المحيطة وتساوي درجة الذكاء والعمر وسلامة الجسم .

مستويات الذكاء :

تختلف مستويات الذكاء من طفل لآخر ، وفي كل مجموعة نجد الفوارق الفردية واضحة ، وتمثل نسبة توزيع الذكاء بين الطلبة على شكل هرم ، أوله قليل من الأطفال النجباء ذوي المستوي العالي من الذكاء ، وتمثل قمة الهرم الأغلبية والمعدل العادي للاطفال في نفس العمر، وآخر المنحنى يمثل القلة بطيئي الفهم، وأخيرا المتخلفين بصورة واضحة .

الأمراض الجسدية والنفسية :

ولهذه أيضا أثر كبير على درجة استيعاب الطفل لدروسه ، أو من المعلوم أن الأطفال ذوي الأمراض

المزمنة كأمراض القلب أو الرئة نتيجة لكثرة تغيبهم لا يستطيعون متابعة الدروس واللحاق بزملائهم ، إلا إذا كانوا منتظمين في مدارس خاصة لهذا الغرض تراعى ظروفهم وتعوض أيام غيابهم .

شخصية الطفل :

يميل بعض الأطفال بطبعهم إلى بعض الدروس ، أو الهوايات ، ويأنفون من أخرى ، لذا لا ريب أن نجدهم متفوقين في مادة أو درس ، ومتخلفين في أخرى ،ولا يعني ذلك تخلفا عقليا أو ضعفا في الذاكرة .

ضعف بعض الحواس :

تشترك كل الحواس خلال فترات التركيز والاستيعاب كي توصل المعلومات نقية سهلة ، بما في ذلك النظر والسمع والنطق ، لكن في بعض الحالات التي تكون فيها هذه الحواس سليمة فإن الطفل يصاب بصعوبة التعلم ، نظرا لضعف سماع بعض الموجات الصوتية ، أو لصعوبة نطق بعض الحروف ، أو عدم إحساس ببعض الألوان أو الأضواء .

أسباب تعود للمدرسة :

بالإضافة لمكان الطفل في الفصل ومعاملة زملائه له فإن درجة التفاعل مع المعلم وشخصيته وطريقة التدريس لها أثر في توصيل المعلومات إلى الطفل وانطباعها في ذاكرته .

وكثيرا ما يتهم المعلم نفسه بالفشل ، لكن سرعان ما يدرك فيما بعد أن الأمر يتعدى موضوع الفروق الفردية في المستوى ، وأن عليه تحويل الطفل لأخصائي والاستعانة برأيه ، سواء طبيب الأطفال أو الطبيب النفسي أو غيرهما .

وطبعا قد يؤدي الى تخلف طفل عن الدراسة إذا حاول المعلم تحقيره أو إهانته أو عقابه ، أو قد يهمل المعلم الطفل لسبب أو لآخر ، مما يجعل الطفل معزولا منبوذا بين زملائه .

على أي حال فالمعلم هو المحور الذي يدور حوله كثير ممن لهم علاقة بهذه المشكلة ، وتقع المسئولية على المعلم للتعرف على هذه الحالة ، وتحويلها ، ومتابعة علاجها ، وعليه يعتمد مستقبل الطفل وشفاؤه أو تغيير دراسته ، وذلك من خلال ملاحظة المعلم المستمرة ، وهو الذي سيقيم ذكاء الطفل ، وحركاته ، ودرجة فهمه ، ومدى الفرق بينه وبين زملائه .

ومع تتابع السنة الدراسية يشعر الطفل أنه يختلف عن زملائه في ادراك بعض الدروس وفهمها ، وهذا يدفعه الى اختيار المقاعد الخلفية بعيدا عن مواجهة المعلم وأسئلته ، ولكي لا يتعرض لسخرية زملائه اذا أجاب خطأ ، فضلا عن أن موضعه هذا يحميه من تعنيف المعلم اذا أهمل الطالب اتمام واجباته المنزلية .

المنزل :

للمنزل دور مهم في تعليم الطفل لغته وأدبه وتراثه وتنمية معلوماته وشحذ ذكائه وقواه العقلية ، وللأبوين أكبر الأثر في توجيه الطفل وتعليمه ومتابعة واجباته المنزلية ، والتأكد من أنه يفهمها ويتمها بشكل مرض ، ولابد من أن نشير الى درجة ثقافة الأبوين ، ووجود المواد التثقيفية بالمنزل ، من قصص وكتب وصور ولعب ، بما يتناسب وسنه ، ولكل ذلك أكبر الأثر لدفع الطفل للاستفادة بما حوله ، وتنمية ملكاته وهواياته الخاصة .

الأعراض والظواهر العامة :

لا يصعب الأمر على المعلم المهتم بتخصصه الذي يلاحظ الطالب يوميا عن قرب ويقيم سلوكه وانتاجه مقارنة بزملائه ، وللمعلم أيضا طرقه الخاصة للتعرف على هذه الحالات أو اكتشافها ، وبالتالي إحالتها للاستشارة ، ومما يثير انتباه المعلم الى صعوبة التعليم لدى أحد الطلبة واحد من الأعراض التالية :

- يمسك الطالب القلم بطريقة غريبة بين الأصابع .
- سوء الخط وميل الأسطر الى أعلى أو أسفل .

- كبر الكلمات واتساع المسافة بينها .
- صعوبة في تنظيم واجباته المدرسية واتمامها .
- صعوبة الحفظ وضعف الذاكرة .
- صعوبة التعامل مع الأرقام والعمليات العددية .
- تقديم وتأخير في بعض الحروف داخل الكلمة .
- بطيء في القراءة والتهجي والانشاء .

أما التغيرات التي يلاحظها المعلم على سلوك الطالب فتشمل :

- شرود الذهن أثناء الشرح (أحلام اليقظة) .
- السلوك غير الطبيعي في معاملة المعلم أو زملائه في الفصل .
- قصر فترة التركيز والاصغاء .
- زيادة الحركة دون لزوم أو هدف معين .
- سريع التوتر والتهيج لأبسط الأسباب .
- مشاغب ومثير للنزاع في البيت والمدرسة .
- يصغي لكنه لا يسمع ما يقال له .
- يظهر عليه القلق والضجر خلال فترات الانتظار .

دور المعلم :

مما سبق يتضح أن للمعلم دوراً فعالا ومهما في تشخيص حالات صعوبة التعلم لدى الطلبة بخاصة في الفصول الدراسية الأولية ، وكلما كان المعلم على صلة مباشرة مع الطفل (معلم واحد لكل المواد الدراسية) ومتتبعا تطوره يوما بيوم ، أمكن تشخيص الحالة بشكل مبكر وتقديم العلاج في وقت مناسب .

وبعد أن يشتبه المعلم في حالة ما - مع منح الطفل الوقت والفرص اللازمة ومع قياس الفارق الفردي في الفرق بين الطلبة حتى في نفس الأعمار - عليه محاولة تعديل أداء الطفل وتوجيهه وتصويب أخطائه ومتابعته عن قرب ، ومنحه شيئا من الاهتمام ، كتغيير مقعده إلى الصفوف الأمامية ، أو تقديم المكافآت أو الجوائز التشجيعية .

وبعد ذلك على المعلم أن يطلب رأي طبيب الأطفال إذا ما تأكد أن الطفل يصر على أخطائه ، أو عند عدم اعتدال سلوكه مع زملائه .

ويمكن للمعلم إجراء بعض اختبارات الذكاء البسيطة المعروفة لنفس سن الطفل ، وكذلك التأكد من سلامة النظر والسمع والنطق ، وعدم وجود عيوب أو كسور ظاهرة .

وعلى المعلم أيضا تقع مهمة العلاج ، ومتابعة الحالة خلال السنوات المقبلة ، وأن يكون على صلة مباشرة مع الأبوين والطبيب ويشرح الطريقة التي سيتبعها لعلاج الطفل .

دور طبيب الأطفال :

وتنحصر مسئولية طبيب الأطفال في وضع التشخيص الدقيق ، وتحديد نوع العيوب التي يشكو منها الطفل ، ثم المتابعة في المستقبل بالتعاون مع الأبوين والمعلم .

فإذا تم تشخيص مرض عضوي (كالربو أو داء السكري أو ضعف إحدى الحواس أو غيرها) جرى علاج ذلك حسبما يقتضيه نوع المرض ودرجته ، أما إذا لم نعثر على مرض مع ثبوت الأعراض السابقة فعلى الطبيب أن يوضح للأبوين أن الطفل سليم عضويا وعقليا ونفسيا ، لكنه يشكو من صعوبة التعلم لبطء نضج حواسه وأعضائه ، وهذا يدعو لإدراك الأبوين لحالة الطفل ، وزيادة الاهتمام به ، وبذل بعض وقتهما للمساعدة في تقويمه وإرشاده ، وطبعا من المهم بمكان إقناع الأبوين بأن الطفل سليم عقليا ، وأنه قابل للشفاء ، واللحاق بزملائه .

العلاج :

يكمن نجاح العلاج في التشخيص المبكر وتكاتف الأبوين والمعلم والطبيب ، ومناقشة حالة الطفل ، والتعاون فيما بينهم لإرشاده ومتابعته ، ومن المهم أن يتم التشخيص والعلاج في مراحل الدراسة الابتدائية ، قبل أن يتخلف الطفل عن زملائه ، وقبل أن يصاب بالعقد النفسية ، وقبل أن يوصف بالإهمال أو الغباء . . . الخ . □

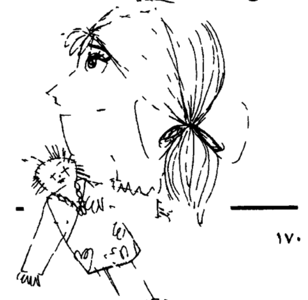
هو.. هي

«وهو كظيم»

تختبيء خلف جدران البيوت مشكلة كمشكلتي ، وداخل العلاقات الانسانية يكمن جزء من عقل الرجل الشرقي

تزوجنا منذ عشر سنوات ، رزقنا الله خلالها ثلاث بنات ، يملأن حياتي بهجة وحنانا ، ولأن ظروفي الصحية ليست طيبة ، وخاصة أن ولادتي ليست أمرا سهلا فقد اقترحت على زوجي أن أجري عملية لوقف الانجاب فترة ، لكن روجي ما أن سمع هذا الاقتراح الذي نقلته له عن طبيبي المعالج ، حتى ثار وأرغى وهدد ، وبعدما راحت ثورته حاولت أن أخاطب عقله ، ففوجئت أن خلف ثورته وغضبه يختبيء عقل شرقي قح ، يتحكم في سلوكه وتصرفاته . قلت له : لقد رزقنا الله البنات ، وقرت أعيننا بهن ، والحمدلله أن وسع علينا في رزقنا ، لكن الطبيب نصحني بأنه من الأفضل لي أن أكف عن الانجاب ، خشية أن أتعرض لمتاعب صحية ، وأعتقد أن الاستجابة لهذا أمر لا يغضب الله ، ولا يتناقى مع العرف ولا التقاليد نظر إلى طويلا وهمس · لكنني أريد ذكرا ودهشت ، فلم أكن أتصور أن رجلا في زماننا هذا يفكر بهذه الطريقة ، وجاء وقت حدتي ، فقلت له · إن الأبوة تتحقق بغض النظر عن نوع المولود ، وهؤلاء الاناث يملأن البيت حنانا ورحمة ومودة ، وهن بلا جدال أكثر عطفا على والديهن من الذكور ، والولد فرحة تذهب إلى أسرة أخرى ، والبنت فرحة تجيء ، وابن جديد ينضم للأسرة وقلت له · لم يعد في عصرنا هذا فرق بين الرجل والمرأة ، ولا بين الذكر والأنثى . وحتى بحساب ذاتي محض ، فأنا أرى أن البنات أكثر راحة لنا ، فهن الصدر الذي يضمنا حين نكبر ، وهن الشجرة الوارفة التي تمتد فتظلنا ، وهن الصغيرات المدللات الحبيبات مهما كبرن ، فهمس لي بحزن . أريد أن يبقى ذكري واسمي ضحكت ساخرة وقلت : وماذا لو جاء ولد عاق ؟ وماذا يعنيك ذكرك إذا كنت أنت قد غادرت الدنيا ؟ إن أبقى الذكر السيرة الطيبة والعمل الصالح ، والمودة بين الناس . نظر إلي برجاء وقال دعينا نحاول مرة أخرى أخيرة ، قلت له . لن أعرض صحتي للخطر ، وأعرض بناتي للخوف من أن أفقد حياتي في هذه المحاولة الأخيرة التي لن تحقق شيئا إلا بقية جاهلية ما زالت في أعماقك ، وأنا والحمدلله راضية قانعة بما رزقني به الله ، أما أنت فخلص نفسك من أوهامك وارض واشكر .

هي..



«خلـــــود»



أؤمن بـالله إيمانـا لا يداخله شـك ، وتمتلىء نفسي رضا وتسليما بمشيئته ، وأعرف معرفة عقلية وقلبية معنى حكمته في أن يرزق من يشاء ذكورا ومن يشـاء إناثـا ، ويجعل من يشـاء عقيما ، لكنني أحلم ، وأتمنى أن يكـون لي ذكـر يحمـل اسمي ، وأصطحبه معي ، وعندما يكبر أشركـه في أمري ، وأسر إليه بخواطري ، وأسمع منه ، ويصير لي ابنا وأخاً وصديقاً .

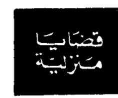
لكن زوجتي سامحها الله تنتصر لبنات جنسهـا ، وتزعم أن البنات أكثر حنانا ، وأكثر رعاية لأهلهن ، وتقـول لي : انظر إلى البيـوت التي تفقد رجلهـا ، فتصبح الأم هي الأب والأم ، وذلك بعكس حالات فقدان الأم . فسرعان ما يأتي الأب لأبنائـه بزوجـة جديدة . إنها تريد أن تدلل بـذلك عـلى أن الأنثى بطبعها وفطرتها أقدر على حـماية البيت من الـولد ، وعنـدما قلت لهـا : إن هناك حـالات لآباء منحـوا أبناءهم حياتهم بعد فقد الأم ، تقول لي : إن هذا هو الاستثناء وليس القاعدة .

لكنني بعيدا عن كل منطق أقول : أليس من حقي أن أفرح بصبيّ ، وأن أسعد بأن يتردد اسمي أجيالاً ممتدة ؟ ؟ فتقول : إن هذه أنانية ضيقة الأفق ، فماذا يفيدني اسمي ؟ أو ماذا تعنيني الـدنيا كلهـا بعد أن أموت ؟ أليس فينا كلنا حب الحياة ، والتعلق بها ؟ وهل يقوى منطقها على الصمود أمـام دعوة نبي الله زكريا عليه السلام عندما سأل ربه أن يهبه وليّاً ، يرث منه ومن ال يعقوب ؟ تصرخ في وجهي متهمة إياي بالخروج عن العقل ، قائلة : إنه لا يجوز لنا ما يجوز للأنبياء ، وأن ظروف نبي الله الكريم غير ظروفنا ، وأين نحن من هذا المستوى الطاهر بين التخاطب بين النبي وربه ، وتضيق على الخناق . أقول لها : لكن ابنتي الملك لـير اتفقتا عليـه ، وأهـدرتـا دمـه ، وضيعتـاه . . تضحك مني وتقـول : أليس عيبا أن نحتمى بقصص من الخيـال لنبرر أنـانيتنا ، وضيق أفقنا ؟ ثم تنقلب حواء زوجتي إلى حية رقطاء وهي تهمس لي : ولا تنس عزيزي أننا نثمر ما تزرعون أنتم أيها الرجال ، فالرجل هو الذي يتحكم في نوع الوليد . وأصرخ في وجهها قائلا : أعرف ، أقسم برأس أبي أنني أعرف ، لكنني أحلم بولد يـرثني ، ويقسم بـرأسي ، ويحمل اسمي ، ويكـون وسيلة خلود لي . وهذا هو حلم البشر





طبيب الأسرة



أخطر ما نسيناه من الطعام

الألياف ..

إعداد : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

هناك منعطفات في تاريخ العلوم الغذائية تعتبر علامات للطريق على درب الصحة والمرض ، لا يمكن للفكر الطبي أن يتجاوزها عند الحديث عن سلامة الطعام .

ولعل من أهم هذه المنعطفات :

أولا : اكتشاف الميكروبات التي تلوث الطعام ، ومعرفة أسرارها على يد حشد من العلماء ، يتصدرهم (كوخ) الألماني و (باستير) الفرنسي .

ثانيا : الكشف عن المخاطر الكامنة في بعض عناصر الطعام ، والضرر من تجاوز الاعتدال فيها إلى حدود الاسراف ، وأبرزها ملح الطعام والسكريات والدهون الحيوانية ، إلخ .

ثالثا : اكتشاف الفيتامينات في الطعام ، ومعرفة الأمراض التي يسببها نقصها . أما ختام هذه المنعطفات وربما أخطرها فكان الكشف عن دور الألياف في الطعام ، وارتباطها بالصحة والمرض . فيما مضى كانوا يظنون بالألياف عنصرا زائدا عن الحاجة ، وأن دورها يتميز بالسلبية ، لهذا عرفوها بقدر ما وسعهم الادراك بأنها ذلك الجزء من الطعام الذي يعبر القناة الهضمية دون أن يهضم ، لهذا لم تنل الألياف حظها من الاهتمام والدراسة الكافيين ، بل ربما وجد فيها بعضهم عبئا ثقيلا على الجهاز الهضمي ، لهذا عملوا على تنقية الطعام منها على حد زعمهم ، فحملت إلينا هذه القناعة قائمة من الأغذية ، أطلقوا عليها اسم (الأطعمة النقية) ، يتصدرها السكر النقي والدقيق الأبيض ، بعد أن خلصوها من الألياف التي اعتبروها من الشوائب ، ليقدموها علفا للحيوانات لهذا لا غرابة أن يكون محتوى طعام الانسان الغربي المتحضر من الألياف الخام يتراوح بين أربعة إلى ستة جرامات فقط في يومه الواحد ، فيما يقدرون الألياف في طعام أهل العالم الثالث في بلدان أفريقيا وآسيا بما قد يتجاوز الخمسة والعشرين جراما يوميا فماذا كانت النتيجة يا ترى ؟

الملاحظة الأولى أن الكتلة البرازية عند الانسان الغربي المتحضر تتراوح ما بين مائة ومائة وخمسين جراما فقط في كل يوم ، وهي كتلة قاسية القوام ، أقرب إلى الجفاف والصلابة منها إلى الليونة ، وهذه هي مقومات الغائط لانسان يعاني من الامساك .

بينما الفضلات عند الانسان الأفريقي الذي يتعايش مع الطبيعة بكل أبعادها قد تصل إلى أربعمائة جرام يوميا ، وهي ذات قوام لين لزج ،

متنظم الاخراج في كل يوم . وهذه هي دلائل سلامة الهضم والاخراج الطبيعيين ، وانتظام عمل القناة الهضمية .

منذ أن تسربت مفاهيم الحضارة الخاطئة عن الطعام ، وغابت الألياف بتحضير (الأطعمة النقية) خلال سنوات القرن العشرين ، تزاحمت أمراض عديدة ، لم تكن موجودة عند الانسان القديم إلا فيما ندر ، بل وبقي أهل العالم الثالث الذين لم تصلهم مفاهيم الحضارة الحديثة عن نقاوة الطعام بمنأى عن مثل هذه الأمراض ، لهذا لا عجب أن تكتسب قائمة هذه الأمراض اسم أمراض المدنية ، وكان أحرى بها أن تسمى أمراض المدينة ، نسبة إلى المدينة لا المدنية .

قبل أن نخوض فى الحديث عن أمراض عوز الألياف كما يحلو لبعضهم أن يسميها ، بديلا عن اسم أمراض المدنية والحضارة ، لا بد لنا أن نتعرف على هذه الألياف ، ونستطلع كنهها ، ونستكشف دورها .

فيما مضى كانوا يظنون أن (السليلوز) هو قوام هذه الألياف . وقد ارتبطت النخالة في أذهان الناس بالسليلوز ، غير أن البحث العلمي والتنقيب قد قلبا المفاهيم رأسا على عقب ، فالألياف هي هيكل الخلية النباتية وغلافها ، وعندما نفذ العلماء في الماضي إلى أعماق الخلية بحثا عن عناصر الغذاء فيها من نشويات وزلاليات ودهنيات نسوا أو أنهم تناسوا هيكلها ، وأغفلوا غلافها ؟

وعندما فرغوا من بحثهم استداروا يتطلعون إلى الهيكل والغلاف ، فإذا بالأمر يتعدى مادة السليلوز إلى مجموعة مواد ، منها ما يذوب في الماء ، ومنها ما لا يذوب ، وتضم قائمة ما يذوب في الماء مواد البكتين والاصماغ والشموع ، أما الذي لا يذوب فتضم قائمته مواد السليلوز وشبيه السليلوز والخشبين .

ولعل من أهم خواص هذه المواد أنها تعمل عمل الاسفنج في امتصاص الماء ، لهذا نجد أن ٨٠٪ من قوام الكتلة البرازية هو ماء ، فيما تشكل البقية الباقية منه ميكروبات مع مواد خشبية مناصفة ، وهذا هو ما يعطي الكتلة البرازية حجمها المطلوب لانتظام حركة الأمعاء وخروج الغائط ، حيث أن البراز الذي يتجمع ويتراكم في قولون الحوض لا بد له من حجم لا يقل عن مائتي جرام ، حتى يمكنه أن يثير جدران القولون لكي ينعكس شعورا بالاخراج ورغبة في التبرز وإلا كانت النتيجة هي الامساك .

الألياف ـ على ـ ماوجدوا مؤخرا ـ لها دور ـ أبعد من مجرد الامتلاء ، وأكثر إيجابية ، إذ أنها أيضا تخفف وتعادل المواد المسرطنة في الطعام التي تسبب سرطان القولون إذا ما تراكمت فيه .

لقد وجدوا أيضا في مادة البكتين معطلا لأحماض الصفراء مما تفرزه الكبد ، ومن هنا ينخفض منسوب الكوليسترول في الدم ، كما تقل احتمالات ترسبه في الشرايين ، أو تكون الحصى في الكيس المراري .

هذه بعض نماذج لما خلفه غياب الألياف عن الطعام الحضاري المزيف ، غير أن القائمة ما زالت طويلة تعد بالعشرات . نذكر منها أهمها وهي :

أولا : الامساك : حيث أن حركة الطعام في أمعاء الانسان الغربي في غيبة الألياف تصير إلى الابطاء إلى درجة يصبح معها الاخراج متعذرا بصورة طبيعية في كل يوم ، وهذا أمر قد يتطلب معاناة وزيادة ضغط داخل البطن في محاولة التغلب على الامساك مما يؤدي بدوره إلى حلقة مفرغة من المعاناة ، تخلف وراءها أمراضا عديدة لا يعاني منها الناس البسطاء في العالم القديم أو العالم الثالث الحديث إلا إذا تفرنجوا وتحضروا وقلدوا حضارة الغرب في نبذ ألياف الطعام . وهنا تكون المعاناة على صور شتى منها :

أولا :

أ ـ البواسير .
ب ـ تجيبات الأمعاء .
جـ ـ دوالي الساقين .
د ـ شرخ الشرج .



ألفاظ مُعرّبة

بقلم : الدكتور حسن عباس

هنالك ألفاظ طارئة على اللغة العربية لم يكن لها وجود سابق في لغتنا ولم يكن لنا عهد بها قبل بضعة عقود . لقد جاءت بها ـ وبغيرها من ألفاظ الحضارة ـ مدنية القرن العشرين ، فدخلت مجال التداول والاستعمال بغير استئذان ولا حرج على العامة ان تداولتها على النحو الذي سمعتها ، ولكن علماء العربية وأدباءها ـ وخاصة المجمعيين منهم ـ ينهضون بعبء تدبرها وتصريفها واخضاعها لنظام اللغة العربية وقواعدها أو إبدالها بغيرها مما يناسبها من ألفاظ عربية .

فإذا كان صدر اللغة قد اتسع قديما لأسماء جديدة فإن هذه اللغة لن تقف موقف التسليم إزاء كل مايطرأ عليها من جديد وتأخذه على علاته ، أو تصده دون النظر فيه ، بل تنفذ فيه أمرها ، وتترك عليه بصماتها يقول محمود تيمور في هذا الصدد . « لقد تعاقبت عليها أي على اللغة العربية في عصورها الغوابر حضارات أمم ، وثقافات عهود ، فلم تقصر بالتعبير عنها من جوهر الفصحى ومن صميمها ، وإذا كانت قد استضافت من لغات الأمم ما استضافت فما ذلك الا الأقل الأندر ، الذى لايكاد يذكر في جانب الأغلب الأكثر ، وعلى الرغم مما أطبق علينا من ألفاظ الحضارة العصرية في يومنا الحاضر فإن الفصحى استطاعت أن توقف زحف الدخيل ، وأن تستبدل به ألفاظا عربية مخترعة في ميادين شتى وفروع متعددة من العلوم والفنون والاداب »

على أن السعي الى ايجاد بدائل فصيحة للالفاظ الدخيلة لايعني فرض ذلك على ألسنة العامة ، بل إلزام الخاصة ممن يكتبون ، فإن دوران الألفاظ المعربة أو بدائلها في الصحافة والدوريات والكتب المتداولة ونشرها « في مجالات الاذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية سيتيح للجمهور أن يستخدم هذه الكلمات ، فإن الجمهرة العامة تستمد من لغة الكتابة ما يهذب لسانها . ويرفع مستواها التعبيري »

من هذه الكلمات الفعل . بستر [١] وهي طريقة في التعقيم تنسب الى صاحب هذه الطريقة

---

* يقصد بالمجمعيين اعضاء مجامع اللغة في عدد من المدن العربية

(١) لايصح احلال الفعل « عقم » محل الفعل « ستر » لاختلاف بينهما فالتعقيم يقضى على الميكروبات في درجة حرارة ١٠٠ مئوية في حين تعنى البسترة رفع درجة الحرارة الى ٧٠١ لمدة ٢٠ دقيقة

العالم الكيميائي الفرنسي « لويس باستور » ولكن قبول الكلمة - أي كلمة - وإدخالها معجم الألفاظ العربية لايتم الا اذا خضعت لطرائق العرب في التعريب . وقد أكد هذا المبدأ مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الاولى . اما الافعال المشتقة من كلمات أعجمية كالفعل « بستر » فلا يصح الأخذ بها الا اذا صحت صياغتها صياغة عربية وساغت في الذوق .

وقد توافرت لهذا الفعل وللأفعال الأخرى التي سنأتي على ذكرها شروط التعريب وجاء اشتقاقها على وزن عربي صحيح . نقول : بستر ، يبستر ، بسترة وهى على وزن فعلل - الرباعى - يفعلل ، فعللة .

ومن هذه الأفعال : بلور ، من البلور ، وقد عربت قديما ، ودرجت على ألسنة الناس وشاعت في الكتابة ، ومنها أيضا الفعل بلشف ، المشتق من (البلشفية) وهى مذهب سياسي . ومنها كذلك تلفن ، يتلفن وهى تعريب للفظ الأجنبي « تلفون » ومنه : فبرك يفبرك ، وهى تعنى صنع الشيء بالآلة ، اما اذا استعملت استعمالا مجازيا فتعني حينئذ : التزوير . والفعل جبّس ، من الجبس وهو من مواد البناء ، وقد عرب قديما . ومنها - أخيرا - كهرب ، من الكهرباء . على أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقر هذه الافعال دون الفعل كهرب حيث أقر الاسم فقط .

وقد حفز المجامع العربية على النظر في هذه الافعال وأشباهها واتخاذ القرارات باضافتها الى المعجم العربي لصلتها الوثيقة بالعلوم الحديثة والحاجة الماسة الى تداولها نطقا وكتابة . يؤكد لنا ذلك أن هناك كلمات كانت قد شاعت في عدد من الأقطار شيوعا لم يجاوز العامة ، ولم ترق الى لغة الكتابة على الرغم من طول العهد بها ، ومن هذه الكلمات :كار : أخذت عن التركية من أصل فارسيّ ومعناها صنعة ، مهنة عمل،كشك : تركية وتدعى (كوشك) وهى من أصل فارسي وتعني القصر او البيت الصغير المعد للاصطياف .

أما في اللهجتين الشامية والمصرية فهى تعني البناء الخشبي أو المعدنى الذي يقام على الأرصفة لبيع علب الدخان أو الطوابع ، أو غير ذلك .

كرباج : تركية ، تعني السوط المصنوع من الجلد .

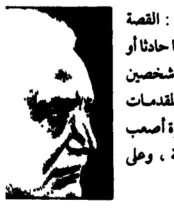
كوبري : تركية ولا تستعمل الا في اللهجة المصرية بمعنى جسر .

المطعم ، والنزل (الفندق) . أما المعنى الاول فهو شائع في بعض بلاد الشام وأما المعنى الثانى فهو شائع في البعض الآخر من بلاد الشام وفي مصر .

كبشة : تركية محرفة فهى تدعى هناك (كفجة) ومعناها مغرفة الطعام ، وتستعمل في بعض بلاد الشام وفي بلدان الخليج العربي .

وعلى الرغم من طول العهد بهذه الكلمات ، فقد ظلت في مستوى متدن منالاستعمال ، ولم تعرب لفقدانها شرط التعريب .

العقاد والقصة القصيرة



● في سؤال وجه إلى الأستاذ العقاد عن رأيه في القصة القصيرة أجاب قائلا : القصة القصيرة تدور حول موقف أو مسلك ، وأنها قد لا تنتهي إلى ختام ، فهي تصور لنا حادثا أو شخصا في حالة معينة . والقصة القصيرة هي تخطيط لا تفصيل ، فقد تدور حول شخصين جالسين إلى مأدبة ، فتصفهما وحسب ، أولا ضرورة للعقدة ، وقد كانت المقدمات والنتائج ضرورية أيام كان الخيال قاصرا وعاجزا . ويرى العقاد أن القصة القصيرة أصعب من الرواية أو القصة الطويلة ، فالقصة القصيرة تعتمد على الملاحظة الشخصية ، وعلى التركيز بينما الطويلة فيها متسع من الوقت والمكان .



العنقاء

للشاعر ايليا أبي ماضي

لو قدر لك أن تضرب في أقطار الأرض ارتحالاً وسياحة لوجدت في كل بلد تطؤه قدماك مهاجرين من لبنان ، وما كل ذلك حبا في السفر ، ولا رغبة في ارتياد الآفاق ، بل بعد عن الوطن عندما تعلو فيه ألسنة اللهب ويصطلي ابناؤه بنار الحرب الاهلية ويعانون مما تستتبعه تلك الحرب من الانهيار الاقتصادي . . والجوع !

ما أشبه اليوم بالأمس ، ففى عام ١٨٦٠ نشبت حرب أهلية كالتي نرى ، وتفاقمت طائفية كالتي نرى ، وكان للدول الكبرى آنذاك يد في كل ما كان يجرى على أرض لبنان ، لكن زمن الحرب لم يطل فقد اتفق الباب العالى في اسطنبول وعدد من الدول الاوروبية سنة ١٨٦١ على أن يكون للجبل نوع من الاستقلال الذاتى ، وأعقب هذا الاتفاق هدوء واستقرار . ولكن الأجانب استغلوا هذا الاستقرار ، وجنوا فوائده ، فضاقت سبل العيش بأبناء البلد ، فلم يجدوا بدا من الهجرة ، فكان أن هاجر البعض منهم الى مصر ، وهاجر آخرون الى أوروبا والأمريكتين .

اما ايليا ابو ماضى فقد هاجر - في باديء الأمر - الى مصر ، وكانت بدايته فيها متواضعة . عمل في التجارة ، ثم في الصحافة لفترة قصيرة وأصدر في مصر ديوانه الاول « تذكار الماضى » واختار هجرة أخرى الى الولايات المتحدة الامريكية .

شارك في تأسيس الرابطة القلمية مع كل من جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما ، وأصدر صحيفة أطلق عليها اسم « السمير » أصدرها اسبوعية في نيويورك ، ثم تحولت الى صحيفة يومية في بروكلن وليست مهنة الصحافة هي التي قدمت أبا ماضي وأحلته المكانة الأدبية المرموقة التى يحتلها ، بل هو شعره .

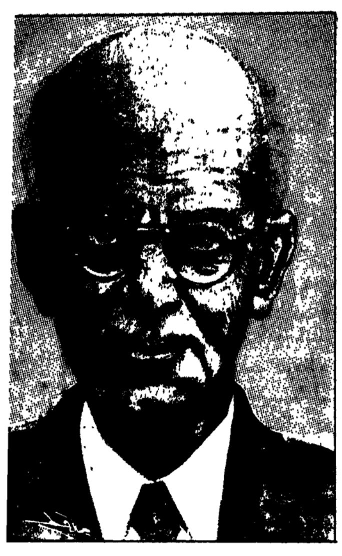
صدر لأبي ماضي أربعة دواوين شعرية كان آخرها « الخمائل » ، وقد توفى الشاعر في عام ١٩٥٧ .

اما القصيدة التى وقع عليها اختيارنا فهى تمثل موقفا فلسفيا يجد السعادة في الذات الانسانية وليس خارجها .

وعلى الرغم من قدم الموضوع فإن القصيدة تحفل بالجديد ممثلا فى صدق التجربة الشعورية . وفي اللغة الرشيقة . وفي الحركة الدائبة المعبرة عن قلق مبدع .

فتشتُ حيث الفجرِ عنها والدُّجى
ومددتُ حتى للكواكب أصبعى

فـاذا همـا مُـتـحـيـران كـلاهُمـا
في عـاشـق مـتـحـيّر مُـتَـضَـعْـضـعِ
واذا الـنـجـومُ لـعـلمـهـا أو جَـهـلهـا
مُـتـرجـرجـاتٍ في الـفـضـاءِ الأوسـعِ
رقـصتْ أشـعتُـهـا عـلى سـطح الـدُّجَى
وعـلى رجـاءٍ فيَّ غـيـر مُـشَـعْـشَـعِ
والبحـرُ كَمْ سـاءلتُـه فتضـاحكتْ
أمـواجـهُ مـن صـوتيَ المـتـقـطّع
فـرجـعـتُ مُـرتَـعشَ الخـواطـر والمُنى
كـحـمـامـة مَحْـمـولـة في زَعـزَعِ
وكـأنّ اشـبـاحَ الـدهـورِ تـألّـبتْ
في الشطّ تضحـكُ كُلُّهـا منْ مـرجعي
فـوأدت أفـراحـي وطـلّقـت المُنى
ونـسـخـتُ آيـات الهـوى من أضـلُعى
وحـطمْـتُ أقـداحـي ولمـا أرتـوي
وعـفـفـتُ عَـنْ زادي ولمـا أشـبَـعِ
وحَـسَـبْـتـني أدنـو الـيـهـا مُـسـرِعـاً
فـوجـدتُ أنى قـد دَنَـوْتُ لمـصـرعَـى
فـكـأنّـني الـبـسـتـانُ جَـرّدَ نَـفـسـهُ
مِـنْ زَهـره المـتـنـوّع المـتـضـوّع
لـيـحسَّ نـورَ الـشـمس في ذَراتـه
ويـقـابـلَ الـنـسـمـات غـيرَ مـقـنَّـعِ
فـمشى عَـليـه مـن الخـريـف سُـرادقٌ
كـالـلـيـلِ خَـيَّـم في المكـان البَـلقـع
وكـأننى الـعـصـفـورُ عَـرى جـسـمَـهُ
مـن ريـشـه المـتـنـاسـق المـتـلمّـع
لـيـخـفّ مَحْـمـلُهُ فـخـر الى الـثَـرى
وسـطا عـلـيـهِ الـنَّـمـل غـير مـروّع
لمَّـا حـلـمـتُ حـلـمـتُ بـزهـرة
لااُجـتـني وبـنـجـمـة لم تَـطْـلع
ثـم انتـهـيتُ فَـلمْ أجـد في مخـدعـي
الا ظـلالِيَ والـفـراشَ ومخـدعـى
من كـان يـشـربُ مـن جـداول وهمـه
قَـطَـعَ الحـيـاة بـغـلّة لم تَـنْـقَـعِ
حـتى اذا نَـشَـرَ الـقـنـوطُ ضَـبَـابَـه
فـوقـي وعـيـنى وغـيـب مـوضـعـى



ايليا ابو ماضى

وتـقـطـعـت امـراس آمـالى بهـا
وهـى الـتى مـن قـبـل لم تـتـقـطع
عـصـر الأسى روحى فـسـالت أدمعـا
فـلمحـتـهـا ولمـسـتـهـا في أدمـعـي
وعـلمت حـين الـعـلم لايجـدي الـفـتى
أنَّ الـتي ضـيـعـتـهُـا كـانَـتْ مـعـي

على هذا النحو يفني الشاعر ـ الانسان ـ عمره في البحث عنها جادا دائبا ، بل مهموما حائرا . أتدرى ما هى ؟ انها السعادة ثم يجدها بعد طول عناء .. ولكن في ذاته !

يأخذ البحث عنها أشكالا متعددة من النشاط المحموم ، فهو يبحث عنها في مظاهر الطبيعة لعله يلقاها في الفجر ، أو فى الدجى أو في البحر ، فإذا أعيته الحيلة مد يده للكواكب ، لعالم غير هذا العالم الذي يعيش فيه ، ولا يجد لدى الطبيعة بمظاهرها

المختلفة أو لدى الكواكب الا الحيرة .. حيرة من هذا العاشق الباحث .

إن القصيدة تحفل بالحركة القلقة المضطربة وتلك سمة من سمات البحث ، ولم يترك الشاعر مظهرا من مظاهر الطبيعة دون توظيفه في التعبير عن تلك الحركة القلقة المضطربة ، فهى ماثلة في رجرجة النجوم ، ورقص الأشعة ، وتضاحك أمواج البحر ، وارتعاش الخواطر ، .. وكلها في حركتها واضطرابها تسخر من سعيه العابث . لقد بدد جهوده دون بلوغ الغاية لذا تراه يمني النفس في العثور عليها في مظاهر الغنى كالقصور المشيدة والرياش وفي حياة الرخاء والنعيم ، فإذا عز منالها في هذا الجانب من جوانب العيش انتقل الى النقيض .. الى الزهد .

فقديما قيل القناعة كنز لايفنى ، فماذا أصاب ؟ جرد نفسه ـ كالبستان ـ من الزهر الذي يزهو به ومن الأوراق التى تقيه ريح الخريف ، فغدا كالعصفور وقد عرى جسمه ليخف وزنه ، فما كان منه الا أن خر صريعا ، فتكاثر عليه النمل وتبدد .

يهجر عالم اليقظة مادام قد خرج منه خالي الوفاض ، ويتجه الى الحلم لعله يجد فيه ما كان قد خاب مسعاه فيها عداه تجلت له في الحلم زهرة لاتجتنى ، ونجمة لم يرها أحد ، فلما أفاق ادرك أنه ضال فقد عول كثيرا على الوهم ، وما كان ينبغى له .

أين يجدها بعد أن أخفق في العثور عليها في عالمى اليقظة والحلم ؟ لم يبق أمامه الا انتظار مرور الزمن فانتظر وطال انتظاره حتى داخله القنوط ، ورانت على صدره خيبة الأمل بكل ما تحمله من أسى لم يفرج عنه الا الدمع .. حينئذ لمحها .. لمس السعادة في أدمعه ، وعلم بعد ضياع العمر أن التى كان يبحث عنها لم تبرح ذاته قط .

لم يتحدث أبو ماضي عن السعادة حديثا مباشرا ، ولم يتوجه اليها بالخطاب ، ولم يلتفت كثيرا الى البحث في كنهها على طريقة الفلاسفة بل عمد الى وصف تجربته في البحث عنها والسعى اليها ، وكانت تجربة صادقة مريرة دهب فيها الى البعيد .. وتطرف . لقد أسرف في الأماني حين كان طموحه لايرضى بأقل من النجوم وأسرف في التواضع حين تحول الى طائر يخر على الأرض صريعا . لقد صور القلق بمعناه العميق ، وجند لذلك لغة وثيقة سهلة وصورا موحية معبرة . □

الحب والزواج


آرنست همنغواي

● يقول الروائي الأمريكي آرنست همنغواي : الحب هو أعظم تجربة في حياة الناس ، والقلب هو أكثر نواحي الطبيعة البشرية نبلا ، والعواطف هي أسمى عناصر الطبيعة الانسانية ، والانسان الحكيم لا يتزوج من أجل الجمال وحده ، فقد يكون للجمال جاذبية قوية في البداية ، ثم يثبت بعد ذلك عدم أهميته النسبية . والزواج من شخص وسيم بلا شخصية لا تزينه العاطفة ولا طبيعة طيبة خطأ جدير بالرثاء ، فكما يحيل التعود المنظر الطبيعي الجميل إلى شيء ممل ، كذلك يتحول الوجه الجميل إلى شيء ممل ، إلا إذا كانت هناك طبيعة تشرق من خلاله ، فجمال اليوم يصبح شيئا عاديا ، أما الطبيعة التي تكمن في الملامح العادية فهي جميلة إلى الأبد ، وهذا النوع من الجمال يتطور مع مرور الوقت ، والزمن لا يدمره ، بل ينضجه ، ولا يجب على الرجل أبدا أن يخضع امرأة للتحليل العميق ، فالنساء أجهزة حساسة ، ينفث الرجال عواطفهم من خلالها ، والصمت يكون أحيانا أفضل زينة للمرأة .

الكلمات المتقاطعة

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■										١
						■				٢
				■			■			٣
		■		■						٤
			■		■					٥
	■									٦
						■				٧
				■						٨
		■					■			٩
■						■				١٠

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة. والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم.

كلمات أفقية

١ ـ السن التي يتبينّ فيها الحدث اتجاه ميوله.

٢ ـ قماش ناصع البياض، أصفر وأخف من الجنحة.

٣ ـ حرفان متشابهان، وجّه هجوماً، شكاية غير مكتملة.

٤ ـ توافر الصفات القانونية، خالص الشيء.

٥ ـ بلد مستقل في الهند الصينية مبعثرة، مرح.

٦ ـ التلاعب بأموال الغير وبخاصة الدولة.

٧ ـ صان بابدال عينها بحرف الزاى، عبر مُعَرّفة ومضافة.

٨ ـ أجور، وهاد مبعثرة.

٩ ـ تجدها في هاج، منغّص ومؤلم، تجدها في طَوْد.

١٠ ـ تصرف في مال أو عقار ضماناً لِدَيْن، تحديد.

كلمات رأسية

١ ـ تصميم مسبق على ارتكاب الجرم

٢ ـ مال يدفعه الزوج لاعالة مطلقته.

٣ ـ قادم، لسان في محل نصْب.

٤ ـ رجال كبار السن، حرفان من تقى.

٥ ـ سلامته. صندوق من خشب مقلوبة.

٦ ـ خد معكوسة، نَبيّ، إله فرعوني

٧ ـ بلغ سن الرشد، الشخص الذي يوكل إليه رعاية شئون القاصر.

٨ ـ طعام مبعثرة، لذْغة.

٩ ـ مال يدفع لضمان عودة المتهم للمحاكمة، فرّقن وضيّعْن (أموالهن مثلا).

١٠ ـ من أشهر الأطباء الأقدمين.

حل مسابقة العدد الماضى ابريل ١٩٨٨

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
ق	ح	س	ا	ن	ب	ن	ي	ن	ح	١
ر	ظ	ك	■	ر	ي	ت	س	ا	ب	٢
و	ر	ت	■	ج	س	و	ع	ل	ا	٣
ح	■	ة	ب	س	■	ح	ف	■	ل	٤
■	ع	■	ل	ي	ح	■	■	ا	ص	٥
ي	ف	ر	ا	ه	م	ا	ي	ل	و	٦
ت	و	ي	ز	■	ق	ا	ي	ر	ت	٧
ج	ن	■	م	س	■	ق	ي	ع	ي	٨
ة	ي	ر	ا	ر	ح	■	■	ا	ه	



صدر العدد الجديد
من مجلتك :
مايو ١٩٨٨
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير : د. محمد الرميحي
يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
اقرأ
في هذا العدد:
صناعة الصناديق الخشبية في الكويت .. فن شعبي عريق
حكاية علي بابا .. قصة من ألف ليلة وليلة
استطلاع بالصورة والقلم عن فن "الاكروبات"
الفأر القارض للشعر .. قصة عربية حديثة
الفسطاط .. أول عاصمة لمصر الإسلامية
قصة علمية عن التحول العظيم ليرقة الفراشة
دائرة معارف العربي الصغير
إسلاميات
اصنع بنفسك
صفحة الكمبيوتر
صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
نتيجة مسابقة العدد الخامس والعشرين
ومسابقة جديدة و ٥٠ جائزة



مكتبة العربي

كتاب الشهر

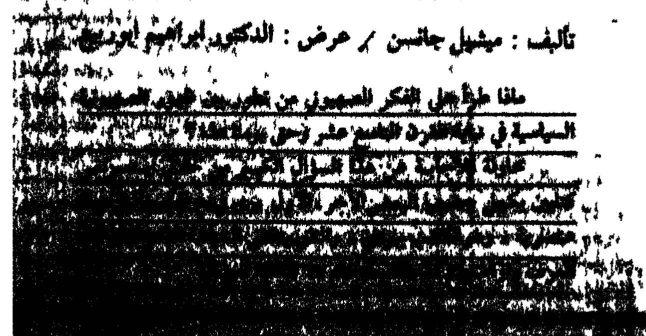


□ «إسرائيل» دولة عنصرية

تأليف: عوري دافيد

□ اختلافات في صهيون

تأليف: ميشيل جانسن / عرض: الدكتور إبراهيم [illegible]



ماذا طرأ على الفكر الصهيوني من تطورات [illegible]

يبدأ د . دافيس كتابه بالتأريخ للحركة الصهيونية ، ويصل إلى استنتاج رئيسي هو أن الحركة الصهيونية كانت وليدة التحولات الصناعية والرأسمالية فى أوروبا وخاصة في القرن التاسع عشر . فمن نتائج التحولات الرأسمالية خلق نظام اجتماعي وسياسي أوروبي جديد ، يختلف في أسسه السياسية . وفي منطلقه الايديولوجي عن النظام الإقطاعي البائد . اعتمد النظام الجديد على مبدأ علمانية العقل والأخلاق . ولكن النظام الجديد كان نتاج تراثين نقيضين في الفكر الغربي الحديث : هما التنوير والعنصرية . ففكرة التنوير شجعت الجاليات اليهودية المتناثرة في دول أوروبا على الانخراط الكلي في أطر النظام السياسي والإجتماعي الجديدة ، وهذا ما حدث للطبقة اليهودية الغنية التي رأت من مصلحتها أن تكون جزءاً من النظام الجديد ، وذلك عن طريق نسيان هويتها اليهودية ، ونشر مبادىء النظام الجديد من عقلانية واقتصاد حر دون تدخل الدولة. مما لاشك فيه أن الأغلبية العظمى من اليهود غير الأغنياء لم يستطيعوا الاندماج كليا في النظام الجديد ، وذلك بسبب العنصرية الموجهة ضدهم كيهود . وعندما تكونت الحركة الصهيونية رسميا بعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا في سنة ١٨٩٧ ، صرح مؤسسها ثيودور هرتسل أن هدف الصهيونية هو القضاء على النظام الأوروبي الجديد عن طريق خلق كيان سياسي لليهود خارج أوروبا . ومن هذا المنطلق فإن هرتسل لم يكن يهمه أين يكون مكان الدولة الصهيونية المتوخاة ما دامت تخدم هدف الصهيونية الأعلى في ذلك الوقت ، وهو وضع حد للمشكلة اليهودية في أوروبا . ومن هنا فإن أحد المبادىء الأيديولوجية للحركة الصهيونية منذ تكوينها حتى الآن هو الفصل بين المجتمع اليهودي وغير اليهودي . وهذا واضح في تاريخ الصهيونية الحديث ، إذ أن الصهيونية ، كما يذكر د . دافيس بالتفصيل ، قد تعاملت مع أعداء اليهود بهدف إجبارهم على اتباع سياسات الحركة الصهيونية . فموقف الصهيونية هو أنه بغض النظر عن ليبرالية غير اليهود نحو اليهود ، فسيشعر اليهود دائما أنهم شعب مبغوض ، وأن الطريق الوحيد هو إقامة دولة مستقلة لليهود . من هذا المنطلق استغلت الحركة الصهيونية الحالة الحسنة النسبية التي كانت الجالية اليهودية تتمتع بها في العالم العربي وخاصة في العراق ومصر ، وبث الرعب في قلوب هذه الجالية عن طريق نسف المحلات التجارية اليهودية وذلك لإجبار الجالية اليهودية على الهجرة إلى « إسرائيل » .

الصهيونية والسكان الفلسطينيون

انطلاقا من مبدأ الصهيونية المشار إليه سابقا ، وهو الفصل بين اليهود وغيرهم ، فإنه مع إقامة دولة « إسرائيل » باشرت الصهيونية عمليا في تطبيق مبدئها هذا عن طريق تدبير المذابح الجماعية للشعب الفلسطيني ، وذلك لإخلاء فلسطين من سكانها العرب « وتهويدها » كليا .

د. دافيس يشير الى هذه النقطة بقوله « ان الصهيونية تدعي أنها تقدم الحل النهائي للمسألة اليهودية عن طريق استعمار فلسطين وإنشاء دولة يهودية لليهود مثلما أن أمريكا دولة للأمريكيين » .

مع نجاح الإستراتيجية الصهيونية في إنشاء كيان سياسي ، وفي التوسع عمليا على حساب الشعب الفلسطيني وشعوب عربية أخرى ، ظهرت مبادىء جديدة مكملة للمبادىء الأولى للصهيونية . هذه المبادىء الجديدة التي ظهرت خاصة بعد حرب ١٩٦٧ تتركز على ثلاث مشاكل رئيسية : ١- الإحتفاظ بالتفوق العسكري والإستراتيجي الإسرائيلي ، ٢-الحفاظ على تفوق سكاني إسرائيلي ، ٣- وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين في إطار

العالم العربي . يقول د . دافيس انه « من غير الممكن تطبيق المبدأين الثاني والثالث للحركة الصهيونية بدون تدبير مذابح جماعية جديدة للفلسطينيين الذين يرزحون تحت الإحتلال "الإسرائيلي" الذين يبلغ عددهم مليوني نسمة » وهذا العدد يحوي على الأقل ستمائة ألف فلسطيني بقوا في أرضهم بعد حرب ١٩٤٨ وأجبروا على حمل الجنسية الإسرائيلية .

يستشهد د . دافيس بأقوال أهارون ياريف أحد كبار قادة الحركة الصهيونية الحالية بقوله انه في حالة وقوع حرب جديدة بين العرب وإسرائيل فإن هذا سوف يخدم مصلحة دولة إسرائيل ، ذلك لأن هذه الحرب سوف تستخدم في طرد ما لا يقل عن مليون فلسطيني من الداخل ، وأن الحركة الصهيونية قد حضرت نفسها عمليا لمثل هذه الإمكانية . من هنا نستطيع أن نستنتج أن هناك أصواتاً كثيرة في المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة التي تشجع العنف ضد الفلسطينيين كوسيلة لطردهم ، وذلك للمحافظة على التفوق (السكاني) اليهودي . بمعنى أن الأقوال العنصرية للحاخام مئير كاهانا الذي يصرح دائما عن عزمه على طرد الفلسطينيين ليست أقوالاً « شاذة » أو متطرفة في الشارع الإسرائيلي ، وإنما تعبر عن أفكار مجموعة مهمة من القيادة الإسرائيلية ، وأن كاهانا أكثر صراحة من بقية القادة الإسرائيليين في التعبير عن آرائه .

« اسرائيل» والرجوع الفلسطيني

يقول د . دافيس إن اسرائيل أسست كدولة يهودية على الرغم من أن الصهيونية هي حركة علمانية تقوم على الفصل التام بين أمور الدين وأمور الدنيا . فعندما تأسست الدولة واجهت الحكومة الجديدة مشكلة الجنسية . ولكن الكنيست الإسرائيلي حل هذه المشكلة عن طريق الموافقة على قانونين في سنة ١٩٥٠ يحددان مستقبل الدولة السكاني . الأول سمي بقانون العودة الذي ما زال ساري المفعول ، والذي يسمح لأي يهودي في أي بقعة من العالم بالهجرة إلى "إسرائيل" مع إعطائه جميع التسهيلات الممكنة . والقانون الثاني سمي بقانون الأملاك الغائبة الذي بموجبه يكون للدولة الحق في الاستيلاء على أراضي وأملاك الفلسطينيين الذين طردوا من موطنهم ، بحجة أنهم غائبون عن أملاكهم . فعمليا هؤلاء الفلسطينيون أصبحوا لاجئين خارج فلسطين وحتى الذين أصبحوا لاجئين داخل فلسطين ، لا يحق لهم العودة إلى أراضيهم وأملاكهم ، بينما يحق لأي إنسان لم يولد في فلسطين أن يهاجر إلى هناك ، وأن يتملك ويصبح مواطنا . يعلق د . دافيس على هذا الوضع المعكوس بسخرية مرة قائلا إن لكل يهودي ـ فيما يسمى الآن بإسرائيل ـ هناك ظل ملازم ، إنه ظل الفلسطيني الذي طرد من أرضه .

ويحلل د . دافيس العنصرية القانونية لإسرائيل عن طريق مقارنتها مع عنصرية الدولة في جنوب أفريقيا فيقول إن الدولتين قد أوجدتا أطراً قانونية للفصل بين السكان . ففي حالة جنوب أفريقيا يجري الفصل على أسس اللون ، فسكان جنوب أفريقيا الأصليين (الذين يبلغون على الأقل ٧٥٪ من عدد السكان الحاليين) لا يحق لهم التصويت ، ولا يُعدُّوا عمليا مواطنين ذوي جنسية في الدولة . أما في حالة العنصرية في إسرائيل فمعظم السكان الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك فلسطين قد صنفوا تحت قانون الأملاك الغائبة وهذا يجرد الفلسطينيين من أبسط الحقوق الطبيعية لأي إنسان ، وهي حقه العيش على أرضه وفي وطنه . وتبعا لقانون الأملاك الغائبة لا يحق لغير اليهود (أي السكان العرب الباقين في الداخل) من شراء أي أرض أو أملاك يعدها القانون يهودية . فكل الأراضي العربية التي استولت عليها إسرائيل تعد قانونيا من أملاك المؤسسة الصهيونية المسماة "بكيرن كيميت" التي أسسها المؤتمر الصهيوني الثاني في ١٩٠٦ . إن الكيرين كيميت استولت على معظم الأراضي العربية بالقوة ، وهذا يدحض الإدعاء الصهيوني القائل أن السكان العرب رحبوا بالمستوطنين الصهاينة وباعوا لهم الأراضي بأبخس الأثمان . فمن أحد الأساليب الفعالة التي

تستعملها "إسرائيل" في سلب الأراضي الفلسطينية (وهنا لا فرق بين الأراضي الفلسطينية في الجليل أو في الضفة الغربية) إعلان الأراضي العربية أراضي مغلقة بحجة أهميتها للدولة . ففي هذا المجال يزودنا د . دافيس بقائمة كاملة للقوانين الإسرائيلية الخاصة بالاستيلاء على الأراضي العربية . من هذه القوانين قانون الأمن ، وقانون إحياء الأرض البوار . وفي الوقت الحالي هناك ألوف الدونمات العربية المغلقة باسم الأمن في الجليل والمثلث والضفة الغربية ولا يسمح لأهلها بفلاحتها . في هذا المجال لا يحلل د . دافيس النتائج العملية لمثل هذه القوانين . فالسؤال هنا هو : ما أثر هذه القوانين على المليوني فلسطيني الموجودين في الداخل ؟

ومن أهم النتائج العملية في رأيي هو وقوف فلسطينيي الجليل والضفة في صف واحد لمواجهة المخططات الصهيونية لاستلاب الأراضي الفلسطينية . ووحدة الصف هذه تظهر واضحة كل سنة في ٣٠ آذار « مارس » وهو يوم الأرض الفلسطيني الذي يعبر عن مواجهة صلدة للعنصرية الصهيونية في محاولاتها لسلب العرب من أراضيهم .

ومن ناحية أخرى فإن من النتائج السلبية لمصادرة الأراضي العربية ، حصر السكان الفلسطينيين في مناطق معينة ، وهذا معناه تحجيم الانتشار السكاني الفلسطيني ببث المستعمرات اليهودية في قلب المناطق العربية كوسيلة لخلق واقع سكاني وقانوني جديد . الى جانب ذلك فإن التضييق الاقتصادي والمالي التي تفرضه "إسرائيل" على السكان الفلسطينيين قد يؤدي بالدرجة النهائية إلى هجرة الكفاءات الفلسطينية إلى الخارج ، وهذا ما يحدث بشكل أو بآخر مع كثير من الفلسطينيين الذين يفقدون حقهم بالرجوع إلى وطنهم بعد مدة من الزمن .

الجيش والسياسة

يذكر د . دافيس أن "إسرائيل" دولة محكومة بواسطة قانونين : قانون مدني وآخر عسكري . فالمناطق الفلسطينية التي احتلتها الحركة الصهيونية سنة ١٩٤٨ كانت خاضعة للحكم العسكري حتى نشوب حرب ١٩٦٧ ، عندما أخضعت إسرائيل المناطق الفلسطينية الجديدة للقانون العسكري . وطبقا لهذا القانون تخضع الضفة الغربية لاشراف عسكري مباشر ويحكمها حكام عسكريون يعينون من قبل وزارة الدفاع . إن معظم الحكام العسكريين يتكلمون اللغة العربية بطلاقة ، وكثير من مستشاريهم السياسيين يحملون درجات جامعية عليا في مجالات اللغة العربية والشرق الأوسط والدراسات الاسلامية . وهذا يبين مدى الإنسجام بين طبقة المثقفين والطبقة العسكرية في إسرائيل . فهذا التطابق في المصالح بين الفئتين يوضح الهيمنة الفعلية للعسكريين على المجالات المهمة من الحياة المدنية والسياسية لإسرائيل ، وهذه الطبقة العسكرية تجد لها تبريراً عقلانياً وثقافياً من قبل طبقة المثقفين . بمعنى أن إسرائيل هي دولة عسكرية بطلاء ديموقراطي .

ويحلل د . دافيس نتائج حرب ١٩٦٧ فيقول ان هذه الحرب قد أدت إلى ظاهرتين متنا قضتين في حياة الحركة الصهيونية المعاصرة : أولا ظاهرة تفوق الصهيونية ، ثانيا ظاهرة اضمحلال الصهيونية . فالصهيونية في نجاحها العسكري ضد ثلاثة دول عربية ، استطاعت أن تحصل على بلايين الدولارات من الجاليات اليهودية في العالم الغربي ، إلى جانب المساعدات الطائلة من دول أوروبا الغربية ومن أمريكا ، ولكن من ناحية أخرى ، فإن حرب سنة ١٩٦٧ لم تؤد إلى إخلاء أكثر من جزء بسيط من السكان العرب ، وهو عكس ماحدث في حرب سنة

١٩٤٨ عندما أخلي السكان العرب من أراضيهم . من جهة نظر الحركة الصهيونية التي أرادت إخلاء الأرض من السكان العرب فإن بقاء العرب في بلدهم كان فشلاً للصهيونية . وهذا ما أدى إلى تقليص فعالية إسرائيل على رسم خطط واضحة لمواجهة الزيادة السكانية العربيةفي الداخل . فحسب الإحصائيات يبلغ معدل الولادة لدى العرب في الداخل ٣,٥٪ ، بينما معدل الولادة عند السكان اليهود لا يتجاوز ٢,٠٠٠٪ وهوالذى يعني عمليا أن عدد السكان العرب في الداخل سوف يعادل ان لم يتفوق على عدد السكان اليهود في أقل من عشرين سنة من الآن . فالحرب السكانية التي يشنها السكان العرب في الداخل سوف تؤثر على المستقبل السياسي والقانوني للدولة اليهودية وباعتقادي أن المعركة القادمة التي سوف تشنها "إسرائيل" بشراسة ، بعد إحراز هدوء نسبي على الحدود مع سوريا ولبنان ، وسوف تكون موجهة ضد السكان العرب في الداخل ، وبخاصة في الضفة الغربية ، وهذا الذي يحدث الآن وتتصاعد حدته يوما بعد يوم كالا غلاق المتواصل للجامعات الفلسطينية في الداخل ، والتضييق المستمر على المؤسسات الوطنية ، ووضع الوجوه الوطنية تحت الإقامة الجبرية ، أو طردهم من بلدهم في كثير من الأحيان ، كل هذا يحدث تحت إطار الدعوة إلى إنعقاد مؤتمر دولي ، تدعو إليه شفهيا بعض قيادات حزب العمل الإسرائيلي . وما هذا برأيي إلا لعبة سياسية "إسرائيلية" لكسب الوقت إذ أن الرأي العام والسياسي في إسرائيل يدعو إلى الإحتفاظ بالجزء الأكبر من الضفة الغربية بحجة أهميتها للأمن .

من أهم النتائج السياسية للسيطرة الصهيونية هي فقدان الحرية السياسية للفلسطينيين . وفي هذا المجال يذكر د . دافيس أن الكنيست الإسرائيلي قد وافق على قانون في سنة ١٩٨٠ يحق بموجبه لوزير الداخلية الإسرائيلي أن ينزع الجنسية "الإسرائيلية" عن أي شخص يقوم بعمل يهدد شرعية الدولة . فمثلا ، إذا أيد أي مواطن إسرائيلي (وهنا المقصود بالذات الستمائة ألف فلسطيني الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية لأسباب شرحناها سابقا) ، منظمة التحرير الفلسطينية ، إما عن طريق رفع شعارات ، أو القيام بأعمال عسكرية وسياسية معادية للدولة ، أو تسلم نقود من المنظمة ، فكل هذه الحالات تعد أسباباً ملائمة لنزع الجنسية عن هذا المواطن . إن هذا القانون وإن لم يطبق حتى الآن قد يؤدي في المستقبل إلى طرد جميع الفلسطينيين من حملة الجنسية الإسرائيلية ، ذلك لأن معظم هؤلاء الفلسطينيين ذوو ولاء قومي ووطني لقضيتهم .

"إسرائيل" : مجتمع يحكمه العسكريون

بالمقارنة مع كتاب دافيس المتشعب النواحي فإن كتاب جانسن يحلل موضوعاً معينا بشكل تفصيلي ، ألا وهو التاريخ العسكري "لإسرائيل" منذ قيامها حتى الأحداث التي تلت حرب لبنان سنة ١٩٨٢ ومذابح صبرا وشاتيلا . تقول الكاتبة ان هدف الكتاب هو شرح الحالة السياسية الراهنة في "إسرائيل"، وتقييم إمكانيات احتمال السلام في المنطقة . من هنا فإن الكتاب يركز على الاعتبارات المختلفة لحرب سنة ١٩٨٢ ، ومنها التناقضات الأيديولوجية في الحركة الصهيونية ، والتي - برأي الكاتبة - قد عمقت من الانقسامات الثقافية والاجتماعية في المجتمع "الإسرائيلي". لذا يجب ألا ننظر إلى حرب لبنان كظاهرة شاذة ، وإنما هي ظاهرة مكملة للحركة الصهيونية بخاصة جناحها العسكري .

خلال تحليلها للتاريخ العسكري "لإسرائيل"، تركز (جانسن) على تقسيم فلسطين وإنشاء "إسرائيل" في ١٩٤٨ . وتقول إن قوات الهاغاناة والارجون التي كونت ما يدعى الآن « جيش الدفاع الإسرائيلي » ، كان بمقدرتها أن تزج بـ ٢٠٠ ألف جندي وجندية إلى المعركة ضد الجيوش العربية ، مزودين بأحدث العتاد الحربي . بينما كل الجيوش العربية مجتمعة لم تكن تستطيع أن تزج إلى المعركة بأكثر من مليون جندي مزودين بعتاد غير متطور . فكان معروفا من قبل الهاغاناة قبل التقسيم انه سيكون بإمكانها أن تقيم



دولة يهودية مع تأمين حدودها .

بعد تأسيس "إسرائيل"، فإن القيادة الحاكمة وإن كانت مدنية في هيئتها إلا أنها كانت عسكرية في تكوينها وطرق تفكيرها . من هنا فإن بن جوريون - الذي كان أول رئيس وزراء لإسرائيل - يعد المؤسس الحقيقي للدولة الصهيونية ، لأنه كان أول شخص له سلطة سياسية وعسكرية ، والذي باشر بتطبيق الأهداف العسكرية للحركة الصهيونية على حساب السكان المحليين . فبن جوريون والقيادة المحيطة به آمنوا عمليا أن الطريق الوحيد للحفاظ على الدولة الجديدة ، هو بناء سور حديدي حول إسرائيل ، وأن السلام مع العرب غير ضروري لأنه كان بمقدرة إسرائيل العيش بالاعتماد على جيشها . بسبب هذا الموقف فإن بن جوريون أجبر على إشراك الجيش في القرارات الحساسة التي تهم الدولة ،لذا فان مسؤولية الأمن كانت تخضع مباشرة للسلطات العسكرية وليس المدنية ، إلى جانب خلق مناوشات عسكرية محدودة ضد الدول العربية المحيطة ، الذي أدى في النهاية إلى مركزية الجيش والأمن في حياة الدولة . وكما تقول الكاتبة فإن بن جوريون بشخصيته العسكرية كان المثل الأعلى لكل إسرائيلي . وقد حاول بيجن أن يحتذي به في حربه ضد لبنان ، ولكن كما سنرى فإن سيرة بيجن العسكرية واجهت فشلا ذريعا . وتبعا لذلك فإن الأحلام التوسعية التي بدأت مع بن جوريون انتهت مع بيغن .

وتتحدث الكاتبة عن تطور العقلية العسكرية الإسرائيلية في عقد الخمسينيات فتقول إن هدف إسرائيل بعد الثورة المصرية في ١٩٥٢ كان زعزعة النظام المصري الجديد ، وبالذات تخريب أي علاقة حسنة للنظام المصري الجديد مع الغرب ، وخاصة مع الولايات المتحدة . فمثلا وزارة الخارجية الأمريكية كانت واعية بالمخططات العسكرية الإسرائيلية تجاه مصر ، وكانت مقتنعة أن هدف إسرائيل هو الدخول في حرب شاملة ضد مصر . من احدى الوسائل التي استعملتها إسرائيل في خلق مشاكل لمصر كانت تشجيع بعض اليهود المصريين على القيام بأعمال تخريبية في القاهرة ، وهذا ماحدث فعلا في ١٩٥٤ . ولكن المشتركين في عمليات الإرهاب مع بعض الجنود الإسرائيليين قبض عليهم حيث اعدم البعض أو انتحر هذه الحادثة تعرف بحادثة لافون ، التي كانت تحت سمع وبصر القيادة الإسرائيلية . بعد حادثة لافون المشهورة فإن القيادة المصرية اتخذت قرارا ببدء مناوشات محدودة ضد المستوطنات الإسرائيلية ، وهذا ما شجع القيادة العسكرية الإسرائيليةعلى تنفيذ خططها ، فاتخذت تبعا لذلك قراراً في سنة ١٩٥٥ بالتحضير لمواجهة عسكرية مع مصر . وتلاحظ الكاتبة أن الطبقة العسكرية القوية في إسرائيل اعتبرت الفعالية العسكرية الهدف الأعلى للدولة . فمثلا تعلق شاريت ، - الذي كان وزيراً للخارجية في ذلك الوقت - هو أن المشكلة التي كانت تواجه القيادة الاسرائيلية لم تكن مشكلة السلام مع العرب ، وإنما الاعتماد على الحرب كوسيلة لرفع المستوى العسكري والنفسي للمواطن "الإسرائيلي". هنا تعلق الكاتبة بسخرية على هذه العقلية بقولها ان الإسرائيليين يحبون القتال ولكن ليس الموت من أجل أهدافهم التوسعية .

بن غوريون وديّان

لم يكن الشخص الذي لعب دورا عسكريا وسياسيا مهما قبل وبعد حرب ١٩٦٧ سوى موشي ديان الذي يعد مكملا للدور الذي بدأه بن جوريون مع تأسيس الدولة . فموشي ديان لم يخطط وينفذ

الإستراتيجية العسكرية قبل وبعد ١٩٦٧ فقط ، بل وضع حجر الأساس للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة والقطاع ايضاً . وكان هدف المستوطنات من منظار ديان هو الوصول إلى تكامل اقتصادي كامل بين الأرض المحتلة وإسرائيل . إن هذين الهدفين ـ بناء المستوطنات والتكامل الاقتصادي ـ ما زالا يشكلان حجر السياسة الإسرائيلية نحو الأرض المحتلة .

لكن النجاح العسكري العربي الجزئي ضد إسرائيل في حرب ١٩٧٣ أدى إلى إنهاء الدور العسكري لديان لأنه كان مسؤولا عن فشل إسرائيل بالتنبؤ بالحرب وبعواقبها . هذا الوضع أفسح المجال فيما بعد ، وبالتحديد في سنة ١٩٧٧ ، لمجيء حزب الليكود إلى الحكم بقيادة مناحيم بيغن وقد أعلن بيغن فور فوزه بالانتخابات عن هدفه في التمسك بالأرض المحتلة بقوله ان « يهودا والسامرة (أي الضفة العربية) هما جزء حيوى من دولتنا . ... فهذه هي بلادنا التي حررناها بالقوة في حرب ١٩٦٧ »

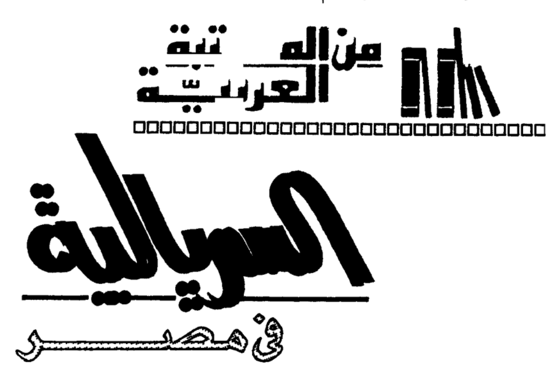
وتعلق الكاتبة على موقف بيغن بالقول « ان بيغن اعتبر نفسه منقذاً وهاديا لليهود . فهو أراد أن ينقذهم من الفلسطينيين ولهذا السبب شن حربا عسكربا على الفلسطينيين في لبنان ، وأخرى نفسية وسياسية في الأرض المحتلة » . وبيغن وشارون هما اللذان جهزا لهذه الحرب على الجبهتين الداخلية والخارجية بأربع خطوات رئيسية . الخطوة الأولى كانت تعيين رفائيل إيتان ، وهو أحد أصحاب الفكر التوسعي ، رئيساً للأركان . والخطوة الثانية كانت « تهدئة » الأرض المحتلة عن طريق تعيين مناحيم ميلسون ، وهو أحد المستشرقين الإسرائيليين المشهورين ، مسؤولاً عما يسمى بالادارة المدنية في الضفة . كان الهدف المرسوم لملسون هو القضاء على القوة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية في الضفة عن طريق الإغلاق المستمر للمؤسسات الوطنية . وخاصة الجامعات ، وأيضا زج الشخصيات الوطنية في السجن ، أو حتى إبعادها إلى خارج الأرض المحتلة . كما شجع ملسون « روابط القرى » ، وحاول إبرازها كبديل سياسي على حساب المنظمة . والخطوة الثالثة كانت مسرحية إخلاء المستوطنين اليهود من سيناء .

وكما تقول الكاتبة فإن الحكومة الإسرائيلية اتفقت مع المستوطنين على أن يرفضوا الخروج من سيناء قبل تسليمها لمصر حسب اتفاقية كامب دافيد . ولكن الحكومة أخرجت المستوطنين بالقوة ، ذلك حتى تبرهن للرأي العالم العالمي صدق رغبتها في السلام . والخطوة الرابعة والأخيرة كانت طبعاً الهجوم على لبنان . وقد استغلت "إسرائيل" استغلالا كبيرا حادثة الهجوم على السفير "الإسرائيلي" في لندن من قبل جماعة أبو نضال ، ونجحت في إثارة الرأي العام الغربي إلى جانبها مع أنها وكما رأينا كانت تعد العدة لشن هجوم عسكري على لبنان منذ زمن بعيد ، وان السبب الحقيقي كان القضاء على أي وجود فلسطيني في لبنان

الثلاثي الارهابي

كان هدف الثلاثي ـ بيغن وشارون وإيتان ـ ليس فقط القضاء على الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ، وإنما ـ كما تلاحظ الكاتبة ـ هو محو الشعور القومي الفلسطيني . لكن الحرب زادت هذا الشعور القومي ، وخاصة في المناطق المحتلة التي عبرت عن هذا الشعور بالمظاهرات العارمة ضد سياسات الاحتلال .

تقول الكاتبة انه على الرغم من نجاح إسرائيل في اخراج المنظمة من لبنان إلا أن إسرائيل لم تنجح في خلق نظام سياسي موالٍ لها هناك ، وأن اسرائيل لم تجد اللعبة السياسية في لبنان ، مما جعلها تخسر خسارة كبيرة ، وأن تعتمد على جيش أنطوان لحد المشى والمسمى بجيش لبنان الجنوبي في الدفاع عن حدودها الشمالية . □



تأليف : سمير غريب / عرض وتقديم : جميل حتمل*

في نهاية ثلاثينيات هذا القرن وبداية أربعينياته كانت القاهرة تمور بالأحداث المنبئة بتغيرات قادمة ، وكانت إرهاصاتها تأخذ أشكالا جنينية لتيارات فكرية وتنظيمات سياسية ومدارس أدبية وفنية ، وكانت الحركة السريالية محصلة لجميع تلك الارهاصات

بين المقدمة والفصل الذي يكشف فيه المؤلف عن غايته من وضع كتابه « السريالية في مصر » الصادر عام (١٩٨٦) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة ، يوضح سمير غريب موقفه مما يسميه الانحطاط في الوضع الثقافي الراهن ، مستندا الى ذلك الازدهار الذي شهدته الثقافة في مصر ، منذ ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن ، الآخذ حاليا بالذبول . ولهذا يضع المؤلف عنواناً (طعناً في الحاضر) لمقدمته الغاضبة والمحقة الى حد كبير ، منطلقا فيما بعد الى متابعة أوضاع الحركة السريالية ورموزها في مصر ، والتأريخ لها .

المؤسسون أولا :

يقسم المؤلف كتابه الى عدد كبير من الأقسام التي يفتتحها بمتابعة حياة اثنين ، يعتبران مؤسسي السريالية في مصر ، أحدهما (رمسيس يونان) الذي ولد في مدينة (المنيا) الصغيرة في مصر عام (١٩٣١) ، والآخر (جورج حنين) الذي ولد عام (١٩١٤) لأب يعمل في الحقل الدبلوماسي .

ويتابع المؤلف في هذا القسم تفاصيل حياة هذين المؤسسين وانتقالاتهما الفكرية والجغرافية التي أتاحت لكل واحد منهما الاطلاع على دقائق مهمة في الثقافة

* قاص وصحفي سوري مقيم في باريس

الغربية المعاصرة ، وذلك من خلال تمكنها من اللغة الفرنسية تحديدا ، مما أتاح لها فيها بعد التعرف على الحركة السريالية في فرنسا وغيرها ، والانغماس فيها . وقد كتب (جورج حنين) في عام (١٩٣٥) أول رسائله الى مؤسس السريالية (اندريه بريتون) الذي قام بعد أشهر بالرد على هذه الرسالة بحماس بالغ ، فقال في أحد مقاطع هذه الرسالة : « يبدو لي أن للشيطان جناحا هنا ، وآخر في مصر » وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التراسل أن يتم التعارف بين الاثنين ، وأن تعقد صداقة بينهما ، ويبدو أنها أججت حماس (حنين) الذي قام عام (١٩٣٧) بتنظيم جماعة للسريالية في مصر ، بعد تقديمه محاضرة عنها قبل ذلك ، وليصبح (رمسيس يونان) أحد رموز هذه الجماعة ، مقدما إسهاماته في نشاطها الفكري ، و« مدشنا » ذلك عمليا بكتابه « غاية الرسام المصري » ، ومساهما في نفس العام بإصدار بيان جريء للجماعة بعنوان « يحيا الفن المنحط » وقد وقع عليه مع أكثر من أربعين شخصا

ويكمل المؤلف ـ سمير غريب ـ رصد نشاطات واتجاهات هذه الجماعة السريالية ، مبينا بشكل خاص إسهامات رموزها ، ومتابعا الاصدارات التي قدمتها ، كنشرة « دون كيشوت » التي صدرت عام (١٩٤٠م) بالفرنسية ، ثم مجلة (التطور) التي كانت أول مجلة تصدر بالعربية للحركة ، والتي لم تعكس موقفا من الفن فقط ، بل قدمت أساسا توجها اجتماعيا واضحا ، قد يكون ميز الجماعة في مصر عن الحركة السريالية العالمية ، وربطها بهموم الواقع .

وعلى الرغم من تعرض نشرات ودوريات سرياليي مصر للتوقف أكثر من مرة ، وللصدور بأكثر من اسم ، إلا أن ذلك لم يوقف ـ كما يوضح الكتاب ـ نشاطهم المتجلي بفعاليات مختلفة ، أبرزها إقامة المعارض الفنية فضلا عن الكتابة . هذه النشاطات التي أهلت أحد رموز السرياليين المصريين وهو (جورج حنين) ليكون أحد ثلاثة يديرون السكرتارية الدولية للسريالية (كوز) .

هموم الوطن

يظهر الرصد الدقيق الذي يقدمه الكتاب لفاعليات السرياليين في مصر أن الهموم المصرية الوطنية احتلت القسم الأكبر من اهتماماتهم ، حيث لم يكن الموقع العالمي الذي احتلته حركة مصر في إطار السريالية العالمية شاغلا يبعدها عن انتمائها ولونها الخاص ، بل إن موقف (رمسيس يونان) يبدو أكبر مثال على ذلك ، حين رفض إذاعة بيانات ضد النظام المصري من الاذاعة الفرنسية حيث كان يعمل ، وذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر ، مما سبب طرده من العمل مع ثلاثة من زملائه ، وليعود على أثرها مباشرة للعيش وللعمل في مصر . وقد سبق مثل هذا الموقف الفردي الشجاع موقف عام للحركة ، حيث رفضت موقف بعض السرياليين الغربيين من إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ، بل وقد شجبت هذه المواقف في العديد من نشاطاتها .

أصوات طليعية

إن فصول الكتاب وأقسامه المتتالية فيها بعد ، توضح بالتفصيل طليعية سرياليي مصر ، ومدى

جديتهم والتزاماتهم ، وبخاصة ضمن الاطار الاجتماعي السياسي ، وكان من نتيجة ذلك مشاركتهم معا ـ أو كأفراد ـ في العديد من المناسبات والمواقف التي يوردها هذا الكتاب ، كالمعارك البرلمانية والنقد والمعارضة ، رابطين بين موقف سياسي متقدم ، وموقف فكري مواز ومماثل ، ومقدمين شروحاتهم ونظرياتهم فيه ، بما يتعلق بمعظم أنشطة الفن ، كالتشكيل والشعر والنقد والقصة والدراسة ، ومساهمين في ميدان الترجمة ، حيث قام بعضهم بنقل العديد من النصوص الطليعية الى العربية ، كما فعل (رمسيس يونان) مثلا عندما ترجم أعمالا للشاعر الفرنسي (رامبو) .

ويقول الكتاب إن الحركة السريالية عموما في مصر قد ربطت ما بين النظري والعملي حين أردفت مواقفها الفكرية بمجموعة من المعالجات والتحركات الاجتماعية في أطر مختلفة ، نجد في الصفحات العديد من أمثلتها .

أسماء أخرى

ضمن التتبع الدقيق للكتاب سنجد أسماء عديدة أخرى ، أغنت بإبداعها نشاط الحركة السريالية المصرية ، كالفنان « كامل التلمساني » ، والفنان « فؤاد كامل » ، إضافة الى عدد آخر . سيبدو ثقلهم الأساسي متركزا في مجال العطاء الفني التشكيلي . وهذا ما توضحه نشاطات الحركة في مجال إقامة المعارض المتلاحقة ، ولعل من أبرز ما يوضحه الكتاب أن الحركة السريالية التى اتخذت اسما أكثر تعبيرا هو « جماعة الفن والحرية » لم تفرق أو تميز بين أعضائها حسب انتماء أي منهم ، بل تجاوزت ذلك نحو صهر توحيدي ، يعتمد على الموقف الفكري المتقارب .

وفي عودة الى إطار الفن ، ستجد فصول الكتاب نفسها مجبرة على متابعة فاعليات أعضاء الحركة في المجال التشكيلي كرمسيس يونان ، وفؤاد كامل ، وابراهيم فارس ، وكامل التلمساني وغيرهم .

كذلك يلقي الكتاب ضوءا على جانب آخر ، ضمن هذا الاطار ، يتعلق بمجال النقد التشكيلي الذي صب بعض رواد الحركة جهدهم عليه ، ولذا لا يجد المؤلف أمام الجانب التوثيقي التاريخي للكتاب بدا من نشر نصوص كاملة في هذا المجال ، وقبل أن ينتقل لتوثيق نصوص أخرى في مجالات إبداعية مختلفة يخلص الى مجموعة نتائج مهمة ، يمكن تلخيصها بالشكل التالي :ـ

١ ـ أن السريالية وحركاتها في مصر أدخلت الفن والثقافة المصريين في الإطار العالمي بما يتبع ذلك من إدخال عوالم وقضايا ومصطلحات جديدة إليها .
٢ ـ مشاركة هذه الحركة في الحيوية الثقافية في مصر .
٣ ـ تأثيرها على عدة مجموعات ثقافية شابة .
٤ ـ تأثيرها في أجيال فنية لاحقة
٥ ـ ملاحظة أن تأثيرها على المستوى الأدبي كان أقل منه على مستوى الفن التشكليلي .
٦ ـ مشاركتها في النضال السياسي والاجتماعي ضمن حدودها

وبعد هذه الخلاصات المدعمة بشرح مستفيض يعمد الكاتب الى إشغال أكثر من ثلث صفحات الكتاب البالغة (٢٤٠) صفحة بمجموعة من النصوص والوثائق المختارة ، كبيانات الحركة الأولى ، وبعض مقالات أفرادها ، وبعض نصوصهم الابداعية ، وإن كان ثقل هذه النصوص التوثيقية لصالح اختيارات لجورج حنين إلا أنها تبدو بحجمها طبيعية قياسا الى دوره الفاعل الرائد .

السريالية المختلفة

إن كتاب « السريالية في مصر » يحمل جهدا واضحا ، ودأبا يبدو أكثر ما يبدو في عملية جمع مادته وتفاصيله ، هذه العملية التي بدت على الرغم من عدم التدخل الكبير للكاتب في الشرح شديدة الأهمية ، نظرا للقيمة التأريخية التي يعينها هذا العمل في رصد حركة كانت ستظل مجهولة بشكل أو بآخر ، على الرغم من طليعيتها واسبقيتها وجديتها . هذا عدا عن أن الكتاب حاول أن يصحح صورة مشوهة ، قدمت مرارا لهذه الحركة ، واعتمدت

موقفا مسبقا حين عاملتها كحركة « تروتسكية » فقط .

كذلك فإن الكتاب يحمل بشكل مباشر الكثير من الايضاحات عن الموقف الوطني لها ، كما يوضح بشكل غير مباشر الوجه الخاص للعطاء السريالي في مصر الذي ظل مرتبطا بالهم الاجتماعي الداخلي ، فاصلا بشكل أو بآخر بين التعريف الاصطلاحي للسريالية بأنها تستخدم العمليات الآلية اللاواعية والحلم في نتاجاتها ، ثم المتحررة من رقابة العقل . فاصلا بين هذا التعريف وبين الممارسة العملية ذات الإطار الملتصق بالواقع المصري والمشاكل التي تعصف به .

لكن المؤلف - في ظننا - يقع في الخطأ فيما يتعلق بإبداعات السرياليين خارج مصر ، فهو يقول في مقدمة كتابه إنه قرأ عن صدور كتاب في سوريا عن السريالية في الأربعينيات لكنه شديد السذاجة ، ويبدو أن الكتاب المقصود هو مجموعة شعرية لأورخان ميسر التي صدرت في مثل هذا الوقت ، وحملت اسم « سوريال » ، وكانت من المجموعات الشعرية السباقة في مجال قصيدة النثر ، أي أنها في المحصلة لم تكن كتابا نظريا كما يظهر من مقدمة المؤلف .

أخيرا لعل العطاء الإبداعي السريالي في مصر يوضح أن الفن التشكيلي ذا المنحى السريالي قد قدم نتاجا يبدو مختلفا عن نتاج السريالية الغربي في هذا الإطار . من جانب أخر فإن اعتماد الحركة السريالية في مصر على اللغة الفرنسية سرعان ما تحول الى اللغة العربية ، حاملا معالجات مرتبطة بروح اللغة ، أي بخلفيتها الاجتماعية ، من هنا فإن السريالية العربية - إن صح التعبير - بدت مختلفة متمايزة . كما أنها قدمت وجهها الخاص ، أي وجه مصر أيضا .

ولعل ميزة الكتاب أنه يسمح باستخلاص ذلك ، وإن لم يقف باستمرار عند معالجة نقطة الاختلاف هذه بين سريالية الغرب وشكل عطائها ، وبين شكل عطاء سرياليي مصر . □

الأدب النقدي

● في استفتاء وجهته إحدى المجلات الأدبية حول (هل هناك أدب تقدمي ، وما هو مفهومه ، وما هي خصائصه ، ومن هم الكتاب الذين يمثلون هذا النوع من الأدب ؟) قال الدكتور عبدالعزيز الدوري : « إن الأدب التقدمي هو الأدب الحر الذي يجعل نصب عينيه هذه الحقيقة الكبرى : حقيقة تطور المجتمع تطورا علميا ، بكل ما في هذه الكلمة من مفهوم ، أما ما يعنيه بعض الناس بالأدب التقدمي الذي يرون أن يتقيد بفلسفة خاصة ، ويتحدد بحدودها ، ويتمسك بمفاهيمها ، فأمر أظن أنه يفتقر إلى الدقة افتقارا واضحا ، وأن كلمة تقدمية لا تزال مبهمة الحدود ، غير واضحة المعالم في اللغة العربية ، لأنها حديثة الاستعمال ، وإن كان البعض يعطي لهذه الكلمة مدلولا خاصا مستمرا من مفاهيم واتجاهات خاصة ، إلا أنه بعيد عن الدقة والوضوح ، وذلك لأن الأدب يجب ان يكون مرآة تعكس أحداث الحياة بمفاهيمها وآرائها المختلفة ، وأن يعبر عن أماني الأفراد والمجتمعات ، ويبين مدى ما فيها من حيوية وركود » .

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ قامات الزبد ـ رواية
المؤلف/ الياس فركوح
الناشر/ دار منارات ـ عمان ـ الأردن
عدد الصفحات/ ٢٦٦ من القطع الكبير
سنة النشر/ ١٩٨٧م

رواية الياس فركوح الأولى تدور أحداثها في بيروت مكاناً ، أما زمانها فهو بداية السبعينيات وحتى منتصفها ، القنص والاشتباكات والقصف المتبادل وحرب الفنادق وحصار مخيم تل الزعتر المريع وسقوطه .

على هذه الأرضية الزمانية والمكانية تتشكل أحداث الرواية من خلال متابعة مصائر شخصيات ثلاث ، تجمع بينها الدراسة الجامعية المتداخلة مع النشاط السياسي والعسكري والفكري الذي كان يعم بيروت في تلك الأيام .

وإلى جانب ذلك تحمل الرواية نفسا تجديديا على مستوى الشكل ، حيث يتعاون النص مع الهوامش مع فصول الرواية وأقسامها على رسم معادلة لحالة التشظي والانهيار الذي شهدته المدينة فيما بعد .

■ ■

الكتاب/ من سيرة حنظلة الشجراوي ـ قصص
المؤلف/ سليمان الشيخ
الناشر/ دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع ـ قبرص
عدد الصفحات/ ١٢٥ من القطع الصغير
سنة النشر/ ١٩٨٨م

الكتاب الثالث لسليمان الشيخ ، ومجموعته القصصية الثانية ، يواصل فيها الكاتب رصده للنواحي المختلفة من حياة المخيم ، فما تزال هناك مخيمات ، وما يزال هناك فقراء ومضطهدون ، وهناك من يحتفظ بالأوراق الرسمية ليثبت أنه كان يملك في فلسطين أرضاً .

قسّم سليمان الشيخ مجموعته إلى ثلاثة أقسام هي : من أوراق المخيم ، ملحق لأوراق المخيم ، مساحة للأطفال . وقد ضم القسم الأخير عددا من قصص الأطفال ، أما القسمان الأول والثاني فقد ضما قصص المخيم التي تبرز بينها القصة التي حملت المجموعة القصصية اسمها ، والتي تقدم فيها شخصية حنظلة المتمرد الثائر ، البسيط المتواضع ، من خلال قصة تروى للأطفال الدين يساعدون في الوقت نفسه بروايتها

■ ■

الكتاب/ السينما المؤجلة
المؤلف/ محمد سويد
الناشر/ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت
عدد الصفحات/ ٢٠٠ من القطع المتوسط
سنة النشر/ ١٩٨٦م

لأول وهلة يبدو طموح هذا الكتاب متواضعاً ، فهو يؤرخ للسينما اللبنانية خلال عشرة أعوام (١٩٧٥ ـ ١٩٨٥) ، وهي فترة زمنية قصيرة نسبيا ، لكن القارىء يدرك صعوبة المهمة عندما يتعرف من خلال الكتاب على التعقيدات الكبيرة المحيطة بالأعمال السينمائية والتلفازية التي تتراوح بين الفيلم الروائي

والتسجيلي والوثائقي وبين آلاف الأشرطة التي تم تصويرها خلال سنوات الحرب الأهلية التي ينطلق تاريخ الكتاب من السنة التي بدأت فيها ، إلى جانب رصده وتحليله لاتجاهات السينما اللبنانية خلال هذا العقد ، ويثبت في نهاية الكتاب ما يسميه (فلموغرافيا) ، وهو عبارة عن قائمة بالأفلام السينمائية اللبنانية التي أنتجت خلال السنوات العشر التي تناولها الكتاب .

■ ■

الكتاب/ نظر
المؤلف/ محيي الدين اللباد
الناشر/ العربي للنشر والتوزيع ـ القاهرة
عدد الصفحات/ ١٥٠ من القطع الكبير
سنة النشر/ ١٩٨٧م

كتاب فريد لفنان « الكاريكاتير » المعروف محيي الدين اللباد ، فهو لا يتضمن الرسوم « الكاريكاتيرية » التي أبدعتها ريشة هذا الفنان فقط ، بل يتضمن مقالاته التي نشرها منذ عام ١٩٨٥ في مجلة « صباح الخير » القاهرية ، وهي مقالات تتراوح بين تقديم شخصية فنية مهمة في مجال فن « الكاريكاتير » على المستوى العالمي أو العربي ، أو في نقد اتجاه ، أو إحياء ذكرى لفنان ، أو للحديث عن اسهاماته بلغة راقية مبسطة في نفس الوقت .

وقد عمد اللباد إلى إثبات مقالاته تلك بنفس الطريقة التي نشرت بها في المجلة ، دون أن يعيد إخراجها وترتيب مادتها ، وقد أضاف إليها بعض رسومه المميزة ، وربط من خلال بصماته وأسلوبه بين مواد الكتاب الجيد والجديد في الوقت نفسه .

■ ■

الكتاب/ الإله اليهودي
المؤلف/ كارل غوستاف يونغ
ترجمة/ نهاد خياطة
الناشر/ دار الحوار ـ اللاذقية ـ سوريا
عدد الصفحات/ ١٤٨ من القطع المتوسط
سنة النشر/ ١٩٨٦م

في مقدمة هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا فرعيا هو « بحث في العلاقة بين الدين وعلم النفس » يقول عالم النفس التحليلي الكبير « كارل غوستاف يونغ » إنه لن يكتب بطريقة موضوعية باردة ، بل سيبيح لذاتيته وعواطفه أن تتكلم . ويضيف بأنه لا يكتب كما يكتب عالم بالكتاب المقدس

من هذه المقدمة ينطلق يونغ لدراسة الإله اليهودي « يهوه » ، كما رسمت صورته في « سفر أيوب » ، وهي صورة ـ كما يقول ـ لإله لا يعرف الاعتدال في انفعالاته ، ويكابد من الآلام أشدها بسبب افتقاره لهذا الاعتدال ، ويسلم هو نفسه بأن الغضب والغيرة يأكلانه أكلا .

وخلال رحلة يقوم بها المؤلف في « سفر أيوب » والأسفار الأخرى يرسم يونغ صورة للإله اليهودي « يهوه » . □

من أين أقبلت ؟

● كان الصاحب بن عباد يقول : لم أسمع جوابا أظرف وأوقع وأبلغ من جواب عبادة ، فإنه قال لرجل : من أين أقبلت ؟ قال : من لعنة الله ، فقال رد الله عليك غربتك .



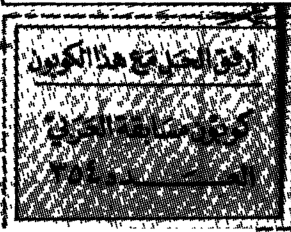
جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٥٤ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يونيو ١٩٨٨



١ - بلغت نسبة الزيادة السكانية في العالم ككل ٢٪ وذلك في سنة ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ، ترى كم تبلغ هذه النسبة حسب اخر الاحصاءات (١٩٧٥ - ١٩٨٠) ؟

* حوالى ١,٧٥٪
* حوالى ٢,٢٥٪

٢ - أي الدول التالية هي الأولى في العالم من حيث ارتفاع نسبة الزيادة السكانية فيها -

* الهند
* البرازيل
* كينيا

٣ - في أي البلدان التالية تهبط كثافة السكان الى أدنى مستوى لها في العالم ؟

* جرينلند
* ايسلندة
* الأسكا

٤ - في أي الدول التالية تبلغ الكثافة السكانية حدها الأقصى في العالم ؟

* بنجلادش
* اليابان
* ج . م . ع

٥

ـ في سنة ١٩٦١ أقامت سلطات ألمانيا الشرقية جداراً يفصل غرب برلين عن شرقها ـ ما هو طول هذا الجدار ؟

* حوالى ١٥٠٠ كم
* حوالى ١٠٠٠ كم
* حوالى ٥٠٠ كم

٦

ـ أي الدول التالية تملك حدودا مشتركة مع أكبر عدد من الدول الأخرى ؟

* الصين
* تشيكوسلوفاكيا
* كندا

٧

ـ ترى كم بلغ مجموع سكان العالم في سنة (١) ميلادية ؟

* حوالى ٢٥ مليون نسمة
* حوالى ٢٥٠ مليون نسمة
* حوالى ٢٥٠ ألف نسمة

٨

ـ ما هو في تقديرك مجموع سكان العالم الكلي ، أي كافة من عاش على سطح هذه الكرة ، ثم مات على مدى الأربعين ألف سنة الماضية ؟

* حوالى ٦٠٠٠ مليون
* حوالى ٦٠,٠٠٠ مليون
* حوالى ٦٠٠ ألف مليون

٩

ـ بلغ عدد سكان العالم في منتصف السنة الماضية (٥٠٠٠) مليون نسمة ، ترى كم سيبلغ هذا المجموع بعد نحو قرن من الزمان حسب تقدير العلماء ؟

* حوالى ١٠,٠٠٠ مليون نسمة
* حوالى ٨٠٠٠ مليون نسمة
* حوالى ١٢٠٠٠ مليون نسمة

١٠

ـ أي الجزر التالية هي أكبر جزيرة في العالم من حيث المساحة ؟

* كالاليت نونات
* مدغشقر
* بورنيو

١١

ـ ما هو عدد الدول المستقلة ذات السيادة في العالم ؟

* ١٧٠ دولة
* ١٦٠ دولة
* ١٥٠ دولة

١٢

ـ أي الدول التالية هي أصغر الدول المستقلة في العالم من حيث المساحة ، وأيها هي الصغرى من حيث عدد السكان ؟

* الفاتيكان
* موناكو
* نورو



١ آية « والضحى » هي من أقصر آيات القران الكريم ، وهي مكونة من (٦) أحرف . وكذلك اية « والعصر » ، وآية « والفجر » .

٢ مذهب المورمون هو المذهب المسيحي الذي يبيح تعدد الزوجات ، غير أن كهنة المذهب قرروا إلغاء مبدأ تعدد الزوجات في اجتماع شامل عقدوه في يوتاه سنة ١٨٩٠ . ويعود تأسيس مذهب المورمون إلى النصف الأول من القرن الماضي ، وقد أسسه جوزيف سميث (١٨٠٥ - ١٨٤٤) ، وذلك بناء على الدعوة التي تلقاها لهذا الغرض سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٢٧ (وهي دعوة ربانية كما يعتقد المورمون . .) .

٣ إن المذهب المسيخي الذي أسسه نناك (١٤٦٩ - ١٥٣٩) في بلاد الهند ، والذي يعتبر المذهب السائد في ولاية البنجاب يقوم على وحدة الله عز وجل ، وعلى الإخاء بين الناس ، وكان الهدف من تأسيسه التوفيق بين العقائد الهندوكية وبين العقيدة الإسلامية ، وقد غلب الطابع العسكري السياسي على جماعة السيخ في وقت لاحق ، وتسنى لهم إقامة ولاية خاصة بهم ، واحتلال المناطق المجاورة لولاية البنجاب . وهم يسعون في الوقت الحاضر إلى الحصول على الاستقلال الذاتي في ولايتهم .

٤ يكون الدخان أبيض اللون إذا تمّ اختيار أو انتخاب البابا الجديد ، ويكون رمادي اللون إذا لم يتفق الكردينالات ولم يتم انتخاب البابا الجديد ، وعندئذ يعيد الناخبون الكرة المرة بعد المرة حتى يتم الانتخاب .

٥ متساويان تقريبا (مجموع البوذيين = ٢٥٦ مليون نسمة ، ومجموع الكونفوشيين = ٢٧٥ مليون نسمة) .

٦ متساويان تقريبا وقد بلغ عددهم ، كما جاء في الإحصاءات الغربية (المسيحية) كالتالي :
المسيحيون = ١٢٠٠ مليون نسمة .
المسلمون = ١١٠٠ مليون نسمة .

٧ هو مذهب العلم المسيحي ، وقد أسسته امرأة تعرف باسم ماري بيكر ، وذلك في الولايات المتحدة ، قبل حوالي مائة عام (سنة ١٨٧٩ على وجه التحديد) . والجدير بالذكر أن هذا المذهب يقوم على الاعتقاد بأن الشفاء من الأمراض ممكن بالدعاء دون تناول دواء .

٨ الكونفوشية هي الديانة التي أسسها « كونج زي » أو كونفوشيوس كما

يسميه أهل الغرب ، وقد عاش كونفوشيوس نحو ٧٢ سنة (من سنة ٥٥١ ـ ٤٧٩ ق.م) ، وقد عمل موظفا بسيطا في الحكومة ، ومارس التعليم ، ودعا إلى الأمانة والإخلاص والتعلم ، كما دعا إلى الاعتدال وعدم التطرف

٩ الديانة الشنطوية هي الديانة التي انتشرت في اليابان منذ أقدم الأزمان وقد جاءت حصيلة الدمج بين الكونفوشية والبودية ، أما الاعتقاد بألوهية الامبراطور فقد أخذت من الديانة الشطوية منذ القرن السادس الميلادي ، لكن هذه العقدة ألغيت رسميا بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٦

١٠ يوجد معبد (كراى ما) في مدينة بيكانار في ولاية راجستان الهندية ، والجدير بالذكر أن المعبد المذكور مكرس للالهة (كراي ما) ، وهي في الوقت نفسه الهة شعراء الشاران . ويعتقد عبدة هذه الآلهة أن روح الشاعر الشاران إذا مات تعود لتتقمص أحد الفئران .

١١ الزرادشتيون يتركون جثث موتاهم فوق أبراج خاصة ، يسمونها أبراج الصمت ، وذلك لكي تأكلها النسور ، فهم لا يدفنون جثث موتاهم في التراب ،ذلك أن الزرادشتيين يقدسون التراب كما يقدسون النار . وتجدر الإشارة إلى أن الزرادشتية هي دين الفرس القديم .

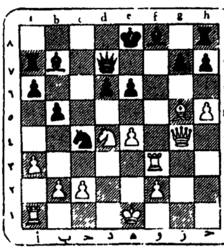
١٢ نعم ، ترجموه إلى الاسبرانتو في لندن سنة ١٩١٤ . وكان المترجم هو المسلم الانكليزي خالد شلدريك .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨

* إيمان الزعبي / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .
* أكرم طه عبدالسلام / محافظة المنوفية / مدينة الباجور ـ جمهورية مصر العربية .
* الهادي بن الطاهر بن ابراهيم / آزمور ـ تونس .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ـ سلوى خوري / بيروت ـ لبنان .
٢ـ محمد الطيبي / تابريكت / سلا ـ المملكة المغربية .
٣ـ عادل عبدالرحيم النور / ام درمان ـ السودان .
٤ـ محمد قاسم سومرو / جنيهاني / باكستان
٥ـ قاسم حوية عاشور / المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية .
٦ـ سيدات بن أحمد / نواكشوط ـ موريتانيا .
٧ـ ماريا محمود حسن / الوحدات ـ المملكة الأردنية الهاشمية .
٨ـ أحمد عارف الفائز / بيروت ـ لبنان .





إذا جاز لنا أن نشبّه مباريات الدقائق الخمس ونقلات الثواني العشر بسباق المسافات القصيرة ، والمباريات السريعة بسباق الأربعمائة متر ، والمسابقات الدولية بسباق الخمسة آلاف متر حَقّ لنا عندئذ أن نشبه الشطرنج بالمراسلة بالماراثون ، فالنجاح في مباريات الشطرنج بالمراسلة كما هو الحال في الماراثون يحتاج إلى نفس طويل وطاقة هائلة وقدرة لا تُحدّ من الصبر والأناة ، وبالاضافة الى ذلك كله فانه يستهلك قدراً لا يستهان به من عمر المتسابق .

ففي بطولة العالم الأخيرة للشطرنج بالمراسلة التي بدأت عام ١٩٧٣ استغرق تأهيل اللاعبين الستة عشر للتصفيات النهائية خمس سنوات ، واستمرت مباريات التصفية التي بدأت عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٨٤ عندما أعلن الاتحاد الدولي فوز الأمريكي فكتور بلاسكياس ببطولة العالم بالمراسلة ، وبذلك تكون هذه المباراة قد استغرقت عشر سنوات غير منقوصة .

ومن الجدير بالذكر أن بطولة العالم الأخيرة للشطرنج بالمراسلة كانت تخلو من الانسحابات والأخطاء المكتبية . وقد قبل بلاسكياس الجامبيت المفضل لديه والمعروف بجامبيت ايفانز من بطل العالم السابق بالمراسلة ج. استرين وفاز في ٣١ نقلة .

ومع أن للسوفييت باعاً طويلا في الشطرنج بالمراسلة إلا أنهم لا يسيطرون عليه كما هو الحال في الشطرنج فوق الرقعة . وهناك أوليمبياد للشطرنج بالمراسلة يجري حالياً ، ونهايته وشيكة ، وهي تبدو في صالح البريطانيين هذه المرة .

ومن المزايا الهامة للشطرنج بالمراسلة أن الافتتاحيات تكون عادة دقيقة وصحيحة ، فاحتمال الخطأ والنسيان بوجود عشرات المراجع بين أيدي اللاعبين الكبار يكاد يكون معدوماً . ومن أجمل أدوار بطولة العالم العاشرة للشطرنج بالمراسلة الدور التالي من الافتتاح الصقلي الذي فاز به اللاعب الفنلندي ر. كارونين على بطل العالم السابق للشطرنج بالمراسلة ج. استرين .

□ ر. كرانين (فنلندا)	■ ج. استرين (روسيا)
١) هـ ٤	جـ ٦
٢) ح - و ٣	هـ ٦
٣) د ٤	جـ × د ٤
٤) ح × د ٤	ح - و ٦
٥) ح - جـ ٣	د ٦
٦) ز ٤	أ ٦ ؟

(حـ ٦ أفضل لعرقلة هجوم الأبيض)

٧) ز ٥	ح (٣) - د ٧

٨) حـ ٤	ب ٥
٩) أ ٣	ح - ب ٣
١٠) ف - هـ ٣	ح (١) - د ٢
١١) حـ ٥	ف - ب ٢
١٢) ر - حـ ٣	ح - هـ ٥
١٣) ز ٦	ح (٣) - جـ ٤؟(رديئة)

(ملك الأسود مكشوف والأفضل حـ × ز ٦ والمبادلات التالية لا تشكل خطورة تذكر) .

١٤) ف × جـ ٤	ح × جـ ٤
١٥) ز × و ٧ +	م × و ٧
١٦) ٥ - ز ٤	٥ - هـ ٧ ؟

(معرضا نفسه للكش دون مبرر) .

١٧) ف - ز ٥	و - د ٧

١٨) ح - د ٥ (لاستغلال التسمير ثم الاعداد لكشة مزدوجة) .

١٨)	ر - أ ٧
١٩) ر - و ٣ +	م - هـ ٨
(لو م - ز ٨	٢٠ - ح - و ٦ +)
٢٠) ح - جـ ٧ (الشكل)	يستسلم

لأنه لو و × جـ ٧ ٢١) ر × و ٨ + فيفوز بالوزير أو ينتهي الدور إذا أخذ بالرّخ .

ر × و ٨	و × هـ ٦ (مات)

مسألة العدد ٣٥٤ مايو ٩٨٨

(مات ٢)

من إهداء القارئة حجيرة نوفل (المغرب)

حل مسألة العدد ٣٥٢ مارس ١٩٨٨

١) ف - حـ ٣	يلعب ما شاء
٢) و - ز ٤	يلعب ما شاء
٣) و - جـ ٨ (مات) .	

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٥١ - فبراير ١٩٨٨

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ رائف صبرا ـ جدة/ السعودية
٢ ـ عامر عبد العلي ـ حماة/ سوريا
٣ ـ محمد المهدي ـ حلوان/ ج . م . ع .
٤ ـ ظافر البكري ـ كشمير/ الهند
٥ ـ هيثم عبد الله جاسم ـ بابل/ العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ بنور عياد ـ بني حسان/ تونس
٢ ـ عمرو إمام ـ الصفاة/ الكويت
٣ ـ أسامة صادق ـ القاهرة/ ج . م . ع .
٤ ـ أحمد محمد أحمد ـ عدن/ الديمقراطية
٥ ـ حسام نعمان محمد ـ عمان/ الأردن

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الكويت

مواقع تاريخية في الوطن العربي

● قرأت في العدد ٣٥٠ من مجلة « العربي » - يناير ١٩٨٨ - تساؤلا من القارىء محمد طريف فرعون من دمشق بالجمهورية العربية السورية يتضمن طلبه من جهات الاختصاص في الوطن العربي أن يسعوا جاهدين للكشف عن الأماكن الأثرية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم .

وأضم صوتي من خلال مجلة « العربي » الى هذا الصوت العربي ، وبالمناسبة أذكر بعض ماله صلة بهذا الصدد مما قرأته في بعض المراجع والمصادر التاريخية التي تتفق على وجود أماكن أثرية تاريخية كثيرة في مناطق عديدة من الوطن العربي ، وان كان ذلك من خلال روايات بينها بعض الاختلاف .

ومن أهم تلك الأماكن في اليمن (جنوبه وشماله) مثلا الآتي : -

(١) قوم عاد :

هم بنو عاد بن عوض بن ارم بن سام من العرب العاربة أو البائدة ، وهم القوم الذين أرسل الله اليهم نبيه هودا . سكن قوم عاد الأحقاف ، وهي أرض بين عمان وحضرموت والشحر كما جاء في سيرة ابن هشام . قال الإمام على بن أبي طالب : الأحقاف واد بحضرموت ، يدعى برهوت ، وتشتهر الجهة الشرقية من هذا الوادي بوجود قبر النبي هود ، وما زال أبناء المنطقة يتوجهون لزيارة القبر في شهر شعبان من كل عام . ذكر الهمداني في صفة الجزيرة : ان الأحقاف شرقي حضرموت ، كما أن برهوت عبارة عن حفرة عميقة في جبل من الجبال الشرقية بحضرموت .

(٢) بنو ثمود :

في اليمن خاصة بحضرموت مواقع لقرى بعضها اندثرت والأخرى عامرة ، كلها تحمل اسم ثمود . ولم يعرف لأهل ثمود مملكة ولادولة ولاحضارة ، بيد أنهم اشتهروا برعي الابل ، واشتغلوا كأدلاء للقوافل المخترقة لبلاد العرب من جنوبها الى شمالها ، أما الموقع فهو واضح (شبه الجزيرة العربية) . ويعتقد أن مساكن ثمود في شمال حضرموت ، اذ أن الروايات تقول ان نبي الله صالحا قد دفن في هذه المنطقة وما يزال موقع القبر يزوره الأهالي ويعتقدون أنه لنبي الله صالح في قرية خونب بوادي سر أحد الوديان التي تتصل بالوادي الكبير لحضرموت . كما أن الكتابات الثمودية وجدت في جمهورية اليمن الديمقراطية خاصة في حضرموت ، ووجدت كتابات ثمودية أخرى بمدائن صالح والطائف بالعربية السعودية ، وكذا في مناطق بشرق الأردن وجمهورية مصر العربية .

(٣) قوم تبع :

سمي ملوك حمير بالتبابعة وقيل : كان ملك اليمن لايسمى تبعا حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير ، وذلك قبل أن يحكم اليمن الحارث بن الرائيش ، وهو تبع الأول ، وكان يحكم اليمن قبله ملكان ملك بسبأ وملك بحضرموت ، وكان اليمنيون لايجتمعون كلهم عليهما، الى أن جاء ملك الرائش فاجتمعوا عليه وتبعوه فسمي تبعا .
تقول كثير من الكتابات ان المقصود بالتبابعة هم أهل حمير الذين يملكون سبأ وحمير وحضرموت ، ومابين عامي ٢٦٠م ـ ٤٥٠ خضعت بلاد اليمن كلها لملوك حمير .

(٤) أصحاب الأخدود :

اعتنق في القرن الرابع الميلادي أحد ملوك حمير المسيحية فبنى كنيسة في حمير والأخرى في عدن . ودخل أحد الملوك التبابعة (حمير) في اليهودية في القرن الخامس الميلادي .

ويقال ان الملك الحميري يوسف ذو نواس الذي تهود سار الى نصارى نجران بحملة من جنوده بحمير الى نجران ، ليدعو أهلها الى اليهودية ، وقد خيرهم بين ذلك وبين القتل فأبوا ، فقاتلهم ، ومثل بهم حرقا بالنار وقتلا بالسيف ، وقد قتل منهم آلافا . والأخدود هو الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق ، وقد وجد نقش في نجران عليه اسم الملك الحميري ذي نواس ، ونقش آخر في رمال الربع الخالي مؤرخا بسنة ٥٢٤م ، وفيهما قصص وأخبار حملة الملك الحميري المذكور .

(٥) أصحاب الرس :

في حضرموت منطقة اسمها بور ، كان يسكنها بنو حارثة بن الأشرس من كندة ، وبنو هذيل من حمير ، وكانت مدينة عامرة. وفي عهد نبيهم حنظلة بن صفوان كانت تسمى الرس ، وهو اسم نهر عظيم ضفافه دفنتها الأتربة فاستحال الى مسيل وما تزال آثاره باقية الى اليوم . وفي هذا النهر قتل أصحاب الرس نبيهم حنظلة في النهر غرقا . ويوجد ببور حاليا بعض المعايين او ينابيع الماء المتفجرة في الشعاب المحيطة بها (شعب الفيل / جبل حلحل / بانجار) . كما أن ببور بيوتا قديمة يستعمل ترابها سمادا . ولقد ذكر أبو الحسن الكسائي في كتابه مبدأ الخلق أن أصحاب الرس بحضرموت .

علوي عبد الله ،
شبام ـ حضرموت ـ جمهورية اليمن الديمقراطية

حوار القراء

للتواصل الثقافي

● تحية عطرة تحملها النسمات الى أرض الأمان والمحبة ، أرض الكويت ، أقول لكم بصدق دون مجاملة ان هذه المجلة من أمتع المجلات وأكثرها فائدة .

حبذا لو تكرمت بنبذة عن تاريخ اصدار المجلة والغرض من اصدارها .

نبيل وهيب حيدر / طرطوس / سوريا

العربي

ـ مجلة شهرية ثقافية بدأت بالصدور عام ١٩٥٨ م عن وزارة الاعلام الكويتية ، والهدف من صدورها أن تكون واسطة ثقافية بين أبناء الأمة العربية ، وجسرا ثقافيا يصل أبناء المجتمع العربي الحديث بتراثهم الثقافي الواسع ، كما أنها تشكل نافذة واسعة ، يستطلع القارىء العربي من المحيط الى الخليج من خلالها ماتوصل اليه العقل الانساني من نتاج أدبي وعلمي وفني . ويسهم في تحرير هذه المجلة نخبة من المفكرين والكتاب العرب محليا وخارجيا . وقد نشرت المجلة خلال السنوات الماضية موضوعات شتى ، في مختلف مجالات الفكر والفنون والأدب والتربية والعلوم الطبية والعلوم التقنية ، والحضارة العربية الاسلامية ، ومايتعلق بشؤون الأسرة والمجتمع ، وغير ذلك من الموضوعات ، هذا بالاضافة الى ماتقدمه مجلة « العربي » من خدمات مهمة للقارىء العربي ، تتمثل في عرض أحدث الكتب العلمية والأدبية ، وتحليلها ، ونقدها بأسلوب فكري سليم ، اضافة الى ذلك يصدر عن المجلة مجلة « العربي الصغير » ، مجلة الفتيان ، وسلسلة كتاب العربي التي صدر الكتاب الأول منها عام ١٩٨٤ ، وهي سلسلة فصلية ، محورها الأساسي تقديم مجموعة من الموضوعات لكاتب واحد ، أو موضوع واحد لعدة كتاب . وقد ارتفع توزيع مجلة « العربي » خلال الفترة (١٩٦٠ ـ ١٩٨٨) من (٣٥) ألف نسخة الى (٣٥٠) ألف نسخة ، أي مايعادل عشرة أضعاف . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال هو أن هذه المجلة تباع بسعر أقل من سعر التكلفة ، لكي تكون في متناول الجميع في الكويت والأقطار العربية ، فهذه المجلة بانتشارها الواسع لاتهدف الى الربح المادي ، وانما تهدف الى نشر الثقافة بين أبناء الأمة العربية وتنمية الوعي الفكري والعلمي لدى الناشئة على امتداد الوطن العربي ، باعتبارهم الدعامات الأساسية التي يبنى عليها الصرح الشامخ للأمة العربية .

■■■

القدوة الصالحة

● تحية طيبة ،

قرأت مقالة الدكتور أحمد كمال أبو المجد في العدد / ٣٥٠/ من « العربي » فخرجت منها بحمد الله على وجود مجلة على هذا المستوى وكتاب على المستوى نفسه من الاستنارة والعطاء الفكري الفذ ، وإلا لأصبح الانسان العربي في غياهب يأس مطبق .

كان عنوان المقال « المسلمون وعبور الفجوة » والواضح من العنوان وماوراءه أن

المقصود بعبور الفجوة هي تجاوز الواقع الحالي للأمة ، والانتقال بها عبر بوابة الاصلاح الى واقع جديد مختلف ، يبدو اذا وصفناه كالحلم العجيب لطول ما انتظرناه والتمسناه وسلكنا اليه سبلا بلا طائل . واذا كان التشخيص في عالم الطب أهم من العلاج فلقد أجاد الدكتور أبو المجد التشخيص أيما اجادة ، لاسيما عندما تحدث عن الكبائر الأربع التي تتلخص بافتقاد العقل المدبر المجاهد المجتهد ، وقلة الاحتفاء بحرية الانسان ، وإسقاط قيمة العمل والانتاج ، وفساد ذات البين .

هذه هي رءوس الكبائر التي ترتكبها الأمم بحق نفسها ومستقبلها وأجيالها ، ولو سلمنا بها دون زيادة أو نقصان لبقي علينا أن نصف العلاج لهذه الأدواء الخطيرة . وقد جاءت المحاولة في المقال نفسه تحت عنوان « الحشد للاصلاح » ، وذلك في المقطع الأخير الذي تساءل فيه الكاتب المفكر قائلا : « فهل يرتفع بعض أولى الأمر وأولي الرأي فينا الى حيث يستطيعون التذكير بهذه الحقائق الكبرى ؟ »

وهنا أقول لماذا التذكير بعد ما ذكر مرارا وتكرارا ؟ ألم يأت علينا ضحى الغد الذي نستبين به الرشد ؟ ألم يفتنا الفوت ألف مرة ؟

ان الواجب المتحتم في رأيي هو أن نبدأ بصرف الدواء فورا من أقرب صيدلية ، وهي صيدلية محاسبة النفس ، واسم الدواء « القدوة الصالحة » . وهو دواء مر الطعم لكنه ناجع ، مركب من ثلاثة عناصر هي : جهاد النفس بالنفس ، والجهر بالحق أمام محب له وكاره ، ومعرفة المرء قدر نفسه سائلا ومسؤولا ، فبقدر مايكون له يكون عليه .

ان مناهل الوعي مبذولة متوافرة لأبناء هذا العصر ، ولاسيما أبناء أمة ذات تراث حضاري كأمتنا العربية ، شيد جسر العبور لها رواد في الفكر والعقيدة والتضحية .

عبد القادر محمد مايو / حلب / سوريا

■■■

فهـــرس خاص بمجلة « العربي »

● رئيس مجلة « العربي »

منذ خمسة وعشرين عاما وأنا أطالع مجلة « العربي » ، وأود أن أقدم اقتراحا بتصنيف فهرس للمجلة يسترشد به للاطلاع على الموضوعات التي نشرت في الأعوام الماضية ، مما يساعد القارىء في الاطلاع على مقاله المنشور في المجلة في أعداد سابقة ، ويسهل عليه أن يحصل على العدد المطلوب ، كما أن الموضوعات المنشورة في مجلتكم قد أصبحت مصدرا للقارىء . أتمنى أن يؤخذ اقتراحي هذا بعين الاعتبار .

يعقوب حقو

حي السريان ـ سوريا

العربي

ـ لقد تم اصدار الكشاف التحليلي لمجلة العربي ، وهو يغطي الفترة من ديسمبر ١٩٥٨ الى نوفمبر ١٩٨٣ ، ويضم الكشاف أربعة أجزاء ، جزءان للموضوعات ، وجزءان للمؤلفين ، وهو يشمل كل ماتقترحه في رسالتك المعبرة عن حرصك على تقدم هذه المجلة وتطورها ، كما أن « العربي » تنشر كشافا سنويا في عدد ديسمبر من نهاية كل عام للموضوعات التي احتوتها أعدادها خلال العام المنصرم . والفهرس يوزع في جميع

حوار القراء

المكتبات ، ويمكن لكل راغب في الحصول عليه أن يطلبه من الموزع المختص نتوزيع « العربي » .

■ ■ ■

رد من الدكتور عبد الوهاب المسيري

●نشر تعليق للقارىء جمال أحمد العيسى في العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧ على مقالي « حقيقة الأقليات اليهودية في العالم » في العدد رقم ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧ ، وقد ذكر بعض المعلومات القيمة فنشكره عليها وقد أثار قضية في غاية الخطورة والأهمية وهي ترجمة الأسماء ، فقد ورد اسم « شبتاي تسفي » في مقالي ، ورأى هو أن صحته « شابيتاي تسيف» ، ولا يمكن أن أقبل أو أرفض تصحيحه ، لأن القضية ماتزال خلافية ، اذ لم يستقر الرأي بعد على طريق ترجمة الأسماء ، وتتفاقم المسألة أكثر حينما ترد هذه الأسماء في سياق يهودي « فشبتاي تسفى » كان يعيش في سالونيكا وكانت جزءا من الدولة العثمانية ، ولذا كان ينطق اسمه باللغات التالية : اللادينو وهي لغة السفارد ، واليدين وهي لغة الاشكناز ، العبرية وهي لغة العبادة اليهودية وايضا والتركية العثمانية وهي لغة الدولة الحاكمة ، ولعل هناك لغات أخرى كان ينطق اسمه بها بطريقة أخرى ، ولاشك أن النطق يختلف من لغة لأخرى . ضمن أي اللغات تترجم الأسماء اذن ؟

الدكتور عبد الوهاب المسيري

على أحمد باكثير

● من حق قرائنا أن يعرفوا نبذة قصيرة عن حياة الأديب على أحمد باكثير الذي ولد في اندونيسيا عام ١٩١٠ لأب من حضرموت وأم اندونيسية . ومن المعروف أن العديد من الحضرميين وسكان عدن والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية كانوا يبحرون الى اندونيسيا وغيرها من مناطق شرق آسيا ويشتغلون بالتجارة . وهكذا كان والد الأديب على أحمد باكثير ، لكن المقام لم يطل به في اندونيسيا اذ أرسله والده على عادة الحضرميين الى حضرموت ، وهناك اشتد عوده وبدأ تعليمه ، ومن هناك رحل باكثير الى السعودية فقضى فيها فترة ، ومنها سافر الى مصر عام ١٩٣٤ فاستقر بها ، حيث التحق بقسم اللغة الانجليزية وآدابها بكلية آداب جامعة القاهرة ، حيث تخرج عام ١٩٣٩ ، وعمل مدرسا بعض الوقت ، ثم التحق بوزارة الثقافة والاعلام بمصر ، ومنح الجنسية المصرية ، وبقى عاملا في حقل الاعلام والأدب حتى وفاته عام ١٩٦٩م . أعظم ما أنتج على أحمد باكثير في باب القصة والمسرح انتاج له أهميته في تطور المجتمع العربي المعاصر ، وقد نشرت له قصص كثيرة من أشهرها « سلامة القس » ، وواسلاماه ، وسيرة الشجاع .

سعيد محمد صالح

صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية

ردود قصيرة

● القارىء محمد غزل من جمهورية مصر العربية محافظة الدقهلية يسأل اذا كانت المجلة تفتح صفحاتها لنشر قصص من انتاج القراء ومجلة« العربي » ترحب بكل انتاج يرد اليها من داخل الوطن العربي وخارجه اذا كان يلتزم بأصول وقواعد النشر المعمول بها في المجلة ضمن خطة النشر الموضوعة ، واذا كان الانتاج غير منشور مسبقا ، وغير مرسل للنشر في جهات أخرى .

●القارىء محمد علي حبيب بوشهري ـ المنامة ـ البحرين ، والقارىء عبد الرزاق السيد محمد من كلية العلوم ـ جامعة طنطا بجمهورية مصر العربية يسألان عن كتاب « الذخائر والتحف » الذي ورد ذكره في افتتاحية العدد ٣٥١ ـ فبراير ١٩٨٨ بقلم رئيس التحرير . والكتاب هو من ضمن المطبوعات التي تقوم وزارة الاعلام الكويتية باصدارها من أجل دفع عجلة المعرفة والثقافة في الوطن العربي ، وقد صدر ضمن سلسلة التراث العربي سنة ١٩٥٩ للقاضي الرشيد بن الزبير ، وراجعه الدكتور صلاح الدين المنجد ، أما عنوان السلسلة فهو وزارة الاعلام ـ الكويت ـ سلسلة التراث العربي .

● القارىء طلال عبد الكريم خليل لديه الأعداد التالية من مجلة « العربي » وهي زائدة عن حاجته ، ويرغب في اهدائها لمن يرغب ، والأعداد هي : ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ومن يرغب في الحصول على عدد منها عليه مراسلة القارىء المذكور وعنوانه : سوريا ـ حمص الحميدية ، شارع بطرس كرامة رقم الدار «٨» ـ ص . ب ١٤٩٢ .



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مايو ١٩٨٨م

طبيعة الحياة

تأليف : فرانسيس كريك
ترجمة : د. أحمد مستجير
مراجعة : د. عبد الحافظ حلمي

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٢٥

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من
المسرح
العالمي

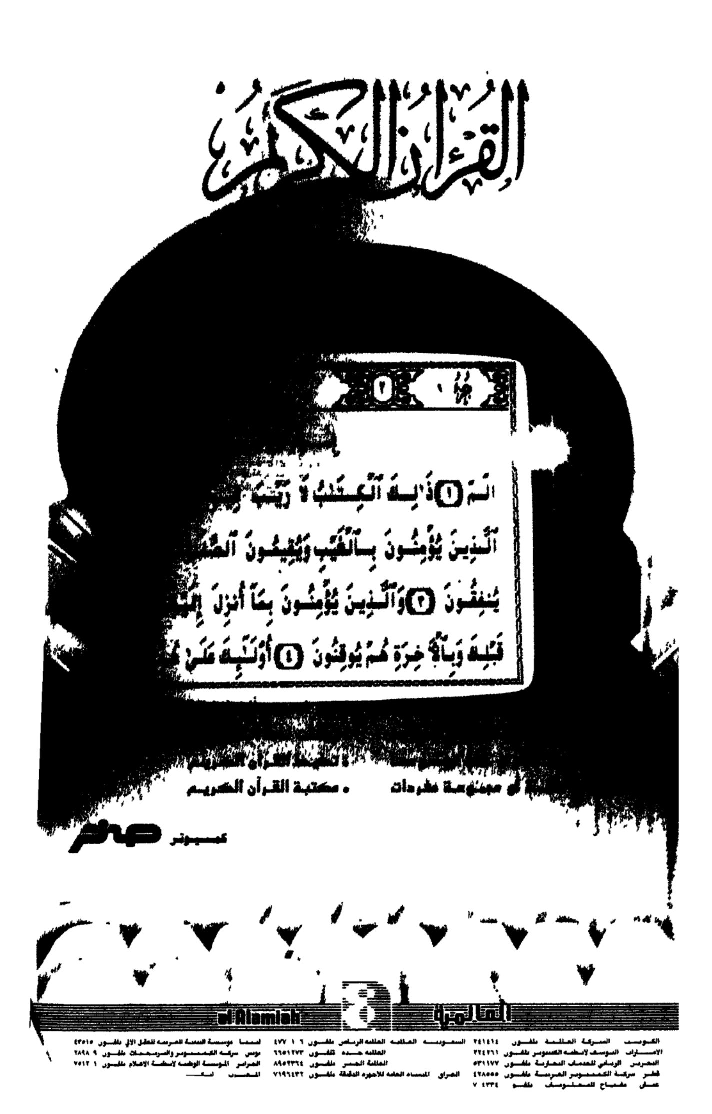
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٢٤ أول مايو ١٩٨٨

شروق الشمس

تأليف : تساويوي
ترجمة وتقديم : عبدالعزيز حمدي
مراجعة : د. تشاتو يوتشي



القرآن الكريم
مكتبة القرآن الكريم
كمبيوتر صخر
al Alamiah
العالمية